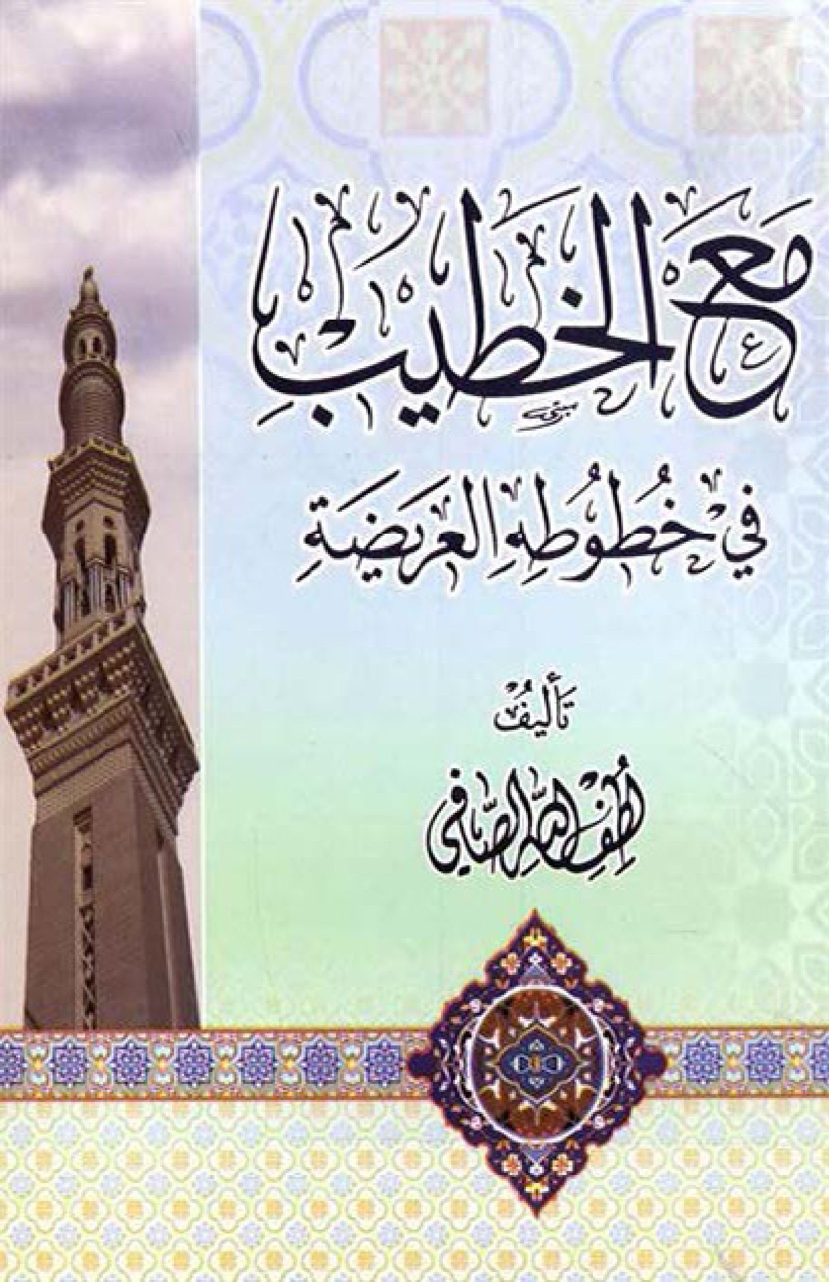
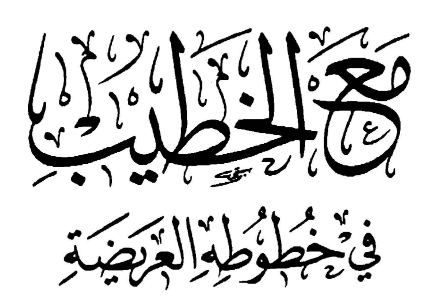

مع الخطيب
في خطوطه العريضة
تأليف
لطف الله الصافي


مع الخطيب
في خطوطه العريضة


تأليف
لطف الله الصافي



اسم الكتاب: مع الخطيب في خطوطه العريضة

المؤلف: سماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى الصافي الگلپايگاني

الطبعة: الثاني / ميلاد الإمام الرضا عليه السلام / ١٤٢٦هـ.ق

طباعة: مطبعة ثامن الحجج عليه السلام

الكميّة: ٣٠٠٠

السعر: ١٠٠٠ تومان

شابک ١ ـ ٢٢ ـ ٦١٩٧ ـ ٩٦٤

ايران / قم / صندوق البريد: ٣٩٣٩

تلفن هاتف: ٧٢٣٣٦٣٥ ـ ٠٢٥١ / ٠٩١٢١٥٣٠٣٧٤



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب‌العالمين وصلى‌الله على سيدنا و نبينا محمد و آله الطيبن الطاهرين.

و بعد فإن سهام الظلم و الافتراء طالما وجهت الى أهل بيت النبي الأعظم صلى‌الله عليه و آله، والى شيعتهم و محبيهم.

وقد كان منها في عصرنا ما كتبه المدعو محب‌الدين‌الخطيب ، باسم الخطوط العريضة ، لمذهب أهل البيت عليهم‌السلام، وضمنه من التهم والافتراء ماالله يعلم أن الشيعة منها براء. و قد استغل خصوم الشيعة هذا الكتب وطبعوه عشرات الطبعات بملايمين النسخ والحمد لله أنه سبحانه وتعالى هيأ في كل عصر من تقف في وجه الباطل و يرد سهام الظلم عن أهل البيت الطاهرين وشيعتهم الأبرار المظلومين.

و قد تصدى للرد على مقولات الخطيب سماحة المصلح المجاهد الساعى الى جمع كلمة المسلمين وبث روح التجاوب والتحابب والأخوه بينهم آية الله العظمى الشيخ لطف‌الله الصافي دام‌ظلّه ،

الذي نذر وجوده لخدمة العلم والدين، وقد كتب هذا الرد قبل ثمان و ثلاثين سنة ، فتلقاه المسلمون بالقبول والشكر، وقد ترجم الى لغات متعددة، وطبع بطبعات متعددة .

ولما كان الطلب على نسخته العربية كثيراً ، قامت مؤسستنا باستجازة سماحته فأجاز بطباعته.

حفظه الله ذخراً للاسلام المسلمين و نفع بوجوده و قلمه الشريف .

موسسة السيدة المعصومة عليها السلام

لطباعة والنشر

مقدمة

كتبت هذا النقد بعد ما انتشر كتاب «الخطوط العريضة» بطبعته الاولى سنة ١٣٨٠، ثم رأيت أن الأولى في هذا العصر ـ الذي تواترت فيه الكوارث والفتن على المسلمين ـ ترك نشره، فخفت أن يكون التعرض للجواب أيضاً سبباً للشقاق والضعف، والفشل والتفرقة المنهي عنها، فذكرت قوله تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وإذا مرُّوا باللغو مروا كراماً﴾[3] فقلت في نفسي: دع الخطيب ومن يحذو حذوه يكتب، ويتقوّل على الشيعة ويفتري عليهم كل ما يريد، فالله سبحانه يقول: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾[4].

---

(١) فصلت / ٣٤. (٢) الانفال / ٤٦

(٣) الفرقان / ٤٢ (٤) ق / ١٨

فالحريُّ بنا وبكل مسلم غيور على دينه وأمته ترك هذه المناقشات المثيرة، والظروف والأحوال على ما يشاهد في العالم الإسلامي، فالفتن والكوارث قد أحاطت بنا من كل جانب. وجحافل الإلحاد بكل أفكاره ومبادئه الشرقية والغربية، والإستعمار الصهيوني، والصليبي أخذ يحاربنا، وبلا هوادة مستعملاً كافة الأساليب الخداعة والمخططات الهدامة، فهم الآن ومنذ زمن غير قريب يغزوننا في عقر دارنا، يهتكون حرماتنا، ويخربون مساجدنا، ويسعون لهدم جميع آثار الإسلام، و صروح الفضيلة، والشرف والأخلاق الكريمةالتي أشادتها رسالة نبينا محمد صلىالله عليه وآله.

فالإسلام مهدد من جانب الإستعمار، ومهدد من جانب الصهيونية، ومن جانب المبشرين الصليبيين، مهدد من جانب المجوسية، مهدد من جانب الشيوعية، مهدد من جانب الصحف والمجلات الأجيرة لإشاعة الخلاعة والدعارة، مهدد من جانب النعرات القومية، مهدد من جانب ما يسمى بالعلمانية، مهدد... ومهدد... ومهدد...

فها هي ذي حرمات الله مساجدنا في فلسطين تهتك، وتدنس بكل وسائل اللهو والخلاعة والمجون.

وها هو ذا المسجد الأقصى المبارك الذي أضرمت فيه إسرائيل نيران حقدها الدفين على الإسلام والمسلمين، وأعلنت بحرقه نواياها الصهيونية الخبيثة.

وهذه فلسطيننا الحبيبة مازالت تئن تحت نير احتلال العدو، وتوجه منها في كل يوم الإعتداءات الإسرائيلية نحو الأراضي الإسلامية المحيطة بها.

وهذه مآت الألوف من إخواننا المسلمين المشردين من أبناء فلسطين ما برحوا لاجئين، يعيشون في المخيمات، ويقاسون أنواعاً من الحرمان والإضطهاد.

فيا أخي ماقيمة كتاب «الخطوط العريضة» ونحن في هذه الأحوال الدقيقة الحرجة؟ وما فائدة هذه الأقلام للإسلام والمسلمين؟ ومن ينتفع بمثل هذه النشريات غير أعداء الدين؟ وهل وراء ذلك غير اليد الصهيونية الإستعمارية الأثيمة؟

واجبنا والظروف والأحوال هذه هو الجهاد، والتضحية في سبيل اللّٰه بنفوسنا وأموالنا وألسنتنا، لتكون كلمة اللّٰه هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

واجبنا سيّما القادة والعلماء، والكتّاب والأثرياء، وذوي القدرة، أن نبذل كل إمكانياتنا لتحرير الأراضي المغتصبة، ومقدساتنا في القدس العزيز، وأن نتسلح بسلاح الإيمان، والإعتصام بحبل اللّٰه والإتحاد، وأن ندعو المسلمين إلى التحابب والتوادد، لا أن نشتغل بالبحث عن المفاضلة بين الصحابة، والخلافات المذهبية، ونجعل ذلك سبباً للجفوة والبغضاء، ونوقد ناراً أخمدَتْها الأزمنة والدهور، ونحيي أحقاداً أماتتها

الشدائد.

فمن أمرّ الامور علينا، ومما يملأ القلوب حسرة هو أن يرى فريق من المسلمين ـ في رحاب الحرمين الشريفين، وفي أعظم مؤتمر إسلامي سنوي كرم الله به هذه الأمة، ويؤمه المسلمون من جميع الأصقاع والأقطار ـ جعلوا همهم تفريق كلمة الأمة والدعوة إلى التباغض و التقاطع والتنافر، بينما كان من الواجب عليهم أن يوجهوا هذا المؤتمر الإسلامي العظيم إلى معالجة مابتلي به المسلمون جميعاً من دعايات الإلحاد، والكفر، فيتخذوا الأساليب الناجحة لدفع هذه النعرات الضالة المضلة، وأن يستنهضوا بهذه الجموع الحاشدة ـ التي جائت من كل فج عميق ليذكروا اسم الله، وليطوفوا بالبيت العتيق ـ الأمم الإسلامية في شرق الأرض وغربها للجهاد والنضال، والعمل لكل ما يحقق النصر، ورفع الظلامة التي حاقت بأولى القبلتين.

إذا لم نتفهم هذه الحقيقة البسيطة فكيف نتوقع أن يعود إلينا مجدنا الذاهب لنعيش كما عاش آباؤنا الذين أكرمهم الله فألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمة الله إخواناً.

فصاروا في جميع الأرض حراً وصرنا في أماكننا عبيداً

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

نعم إني تركت نشر هذا النقد، وأوكلت أمر الخطيب، وما أتى به من البهتان إلى يوم الجزاء، يوم يحكم الله بين عباده فيما كانوا فيه

يختلفون: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾[١].

ولكن لما هو والأيادي الأثيمة، التي كانت ولا تزال وراء هذه النشريات، لم يقتنعوا بطبعته الأولى فكرروا طبعه ثانياً في جدة وثالثاً ورابعاً في الديار الشامية، وخامساً في القاهرة سنة ١٣٨٨، وترجم إلى اللغة الأوردية كأنهم عثروا على كنز مخفي يجب نشره، أو على صحيفة علم لم يطلع عليها أحد.

ثم كرر طبعه للمرة السادسة محرفاً، ووزع مجاناً في هذه السنة ١٣٨٩ في الموسم وفي أرض التوحيد، وفي المملكة العربية التي يدعو عاهلها المسلمين إلى الإتحاد والإتفاق والوحدة الإسلامية، بين الحجاج الوافدين إلى بيت الله الحرام ليحملوا هذه الدعوة الممزقة المفرقة إلى بلادهم، ويثيروا نار الفتن الدامية بين المسلمين، حتى يهدد كياننا من الداخل، ويتشجع أعداؤنا علينا من الخارج.

فلعن الله الإستعمار، والصليبية، والصهيونية، ولا أخالك تظن أن أي عمل يرتكز على إثارة العصبيات المذهبية بين المسلمين كهذا العمل عملاً بسيطاً يقدم عليه متعصب لمذهبه، فما وراء هذه النشريات يا أخي إلا يد الإستعمار والصهاينة، وليس المنفق على هذه الدعايات إلا أعداء الإسلام من إسرائيل وحلفائها.

---

(١) النور/٢٤.

فلهذا طلب مني جمع من الاذكياء بما وراء مثل هذه الكتابات، نشر هذا النقد، لئلا يقع بعض من لا معرفة له بعقائد الفرق في مكايد هذه الأقلام، ويعرف أن ما في كتاب «الخطوط العريضة» إما بهتان محض وافتراء بحت، أو ما ليس الإلتزام به منافياً لأصول الإسلام وما عليه السلف والخلف، خصوصاً إذا كان عن التأول والإجتهاد، فأجبتهم إلى مسؤولهم متوكلاً على الله تعالى.

ولا يخفى عليك أني في هذا الكتاب استهدفت الحقيقة والتاريخ بروح موضوعية مجردة عن كل تعصب وانحياز، فمن الإنصاف لقاري في الكريم الذي ينشد الحقيقة أيضاً ألا يتسرع إلى الحكم حتى يشبع الكتاب دراسة واستيعاباً، وحتى يتجرد عن كل تعصب مقيت، وله بعد ذلك أن يحكم له أو أن يحكم عليه، وعند ذلك فالإختلاف والإتفاق قيمة علمية، وبينة قائمة مادام الرائد هو الإنصاف، والحق هو المنشود.

قم المقدسة

٢٩ ذي الحجة ـ ١٣٨٩

مقدمة

لاريب في أن الدعوة الإسلامية إنما قامت على عقيدة التوحيد، وتوحيد العقيدة، وتوحيد الكلمة، وتوحيد الأنظمة والقواعد، وتوحيد المجتمع، وتوحيد الحكومة، وتوحيد المقاصد.

فعقيدة التوحيد هي المبنى الوحيد لجميع الفضائل، وهي الحجر الأساس للحرية، واشتراك الجميع في الحقوق المدنية.

فلا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود، وكل الناس أمام الحق والشرع سواء، والناس كلهم من آدم، وآدم من تراب، و: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾[1] و: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقيكم﴾[2] و «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[3] و «مثل المؤمنين في توادّهم

---

(١) الحجرات / ١٠ (٢) الحجرات / ١٣

(٣) بخارى: ج ١، ص ١٢٣.

وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى بعضه تداعى سائره بالسهر والحمى»[١] و «من لم يهتم للمسلمين عامة فليس منهم»[٢].

أصبح المسلمون بنعمة اللّٰه إخواناً معتصمين بحبل اللّٰه تعالى، قلوبهم مؤتلفة وأغراضهم واحدة، «أشداء على الكفار رحماء بينهم،» فتحوا الأصقاع والبلدان، وصاروا سادات الأرض، ودعاة الناس إلى الحرية والإنسانية، وقواد الاصلاح والعدالة الإجتماعية.

هدموا قصور الجبابرة المستبدين، وأنقذوا الضعفاء من استعباد الأقوياء الظالمين، وأخرجوا الناس من ذل سلطان الطواغيت وعبادة العباد، وأدخلوهم في عز سلطان الله وسلطان أحكامه وعبادته.

هكذا كان المسلمون الذين أخلصوا دينهم للّٰه، ولولا مافشى فيهم من النفاق وحب الرياسة والحكومة، والمنافرات التي وقعت بينهم في الإمارة، لما كان اليوم على الأرض أمة غير مسلمة.

ولكن فعلت فيهم السياسة فعلها الفاتك، ففرقت كلمتهم، وأزالت وحدتهم ومجدهم، فصاروا خصوماً متباعدين، بعد ما كانوا إخواناً متحابين، واشتغلوا بالحروب الداخلية عوضاً عن دفع خصومهم واعدائهم، ونسوا ما ذكروا به من الأمر بالإتحاد، والإخوة الدينية، فصرنا في بلادنا أذلة بعد أن كنا في غيرأ وطاننا أعزة.

---

(١) مسند احمد: ج٤، ص٢٧٠. (٢) مستدرك‌الحاكم: ج٤، ص٣١٧.

وأكثر هذه المفاسد إنما أتتنا من أرباب السياسات، ورؤساء الحكومات، الذين لم يكن لهم إلا الإستيلاء على عباد الله، ليجعلوهم خولا ومال الله دولا، فأثاروا الفتن، وقلبوا الإسلام رأساً على عقب، وضيعوا السنن والأحكام، وعطلوا الحدود، وأحيوا البدع وقضوا بالجور والتهمة، واستخدموا عَبَدة الدراهم والدنانير، وأمروهم بوضع الأحاديث لتأييد سياساتهم، وفسروا القرآن وحملوا ظواهر السنة وفق آرائهم، ومنعوا الناس عن الرجوع إلى علماء أهل البيت الذين جعلهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عِدْلاً للقرآن، وأمر بالتمسك بهم[1] فراجع بعين البصيرة والإنصاف كتب التاريخ والحديث حتى تعرف أثر أفاعيل السياسة من الغاشمة تلك الفظائع. التاريخ والحديث حتى تعرف أثر.

ولا تنس أيضاً أثر سياسات خصوم الإسلام من المسيحيين

---

(١) في الأحاديث الكثيرة كحديث الثقلين المتواتر الذي توجد له طرق كثيرة في كتب الحديث مثل صحيح مسلم، ومسند أحمد والطيالسي، وسنن الترمذي والبيهقي والدارمي، وأسد الغابة، وكنز العمال، ومشكل الآثار، والجامع الصغير، والصواعق، وتهذيب الآثار، ومجمع الزوائد، وحلية الأولياء، وغيرها، وإليك لفظ الحديث في بعض طرقه: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي. أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي. ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروني كيف تخلفوني فيهما». وفي بعضها الآخر: «إني أوشك أن ادعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عزوجل وعترتي. كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروني بم تخلفوني فيهما».

واليهود وغيرهما في تأجيج نار الشحناء والبغضاء بين المسلمين، فإنهم لم يسلبوا سلطاننا، ولم يملكوا بلادنا الا بما اوقعوا بيننا من التفرق والتشتت، وبما بذلوا من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة لبثّ التنافر والتباغض بين المسلمين، ومنعهم من الإتحاد، فهم لا يزالون يضعون حواجز في طريق تقارب الحكومات الإسلامية، ويصرفونهم عن الدفاع عن وطنهم الإسلامي الكبير ليؤسسوا حكومات مستعمرة، وأوطاناً مفتعلة، من غير أن يعتبروها أجزاءاً لوطننا الإسلامي ويطالبونهم بالدفاع عن حدود هذه الأوطان التي أحدثها المستعمرون وذلك لتفريق كلمة المسلمين، وتضاربهم فيما بينهم حتى تقف كل حكومة منهم في وجه الأخرى.

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت آحادا

والعارفون بأهداف الإستعمار يعلمون أن تجزئة الأُمة الإسلامية أعظم وسيلة تمسك بها المستعمرون للإحتفاظ بسلطتهم.

فيا أخي ما قيمة الوطن الذي افتعله الأجنبي لمصلحة نفسه، وأي امتياز جوهري بين السوداني والمصري، والأردني والسوري، واليماني والباكستاني، والعربي والعجمي، بعد أن كانوا مسلمين خاضعين لسلطان أحكام الإسلام، وأي رابطة أوثق من الروابط الإسلامية والاخوة الدينية.

المسلمون كلهم أولاد علات، أبوهم واحد وهو الإسلام، وأمهاتهم شتى، بلادهم منهم ولكن الإستعمار صيرهم أقواماً

متمايزة، وأراد أن يكون في كل بلد وإقليم حكومة خاصة، وشعائر تميز بعضها من بعض، والله تعالى أراد أن يكون الجميع أمة واحدة.

قال الله سبحانه: ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾[١].

وقال عز من قائل: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾[٢].

فالمسلم أخو المسلم سواء كان من أهل قطره أم لا، المسلم الفلسطيني أخ للمسلم العراقي، وللمسلم الإيراني، وللمسلم للصيني، وللمسلم الأرجنتيني، ورو.

جميع بلاد الإسلام وطن لكل مسلم، والإسلام حكومته، وقانونه وسياسته، وعقيدته ودينه، وأما الحكومات العميلة التي لا يتصل بعضها ببعض بالصلات الإسلامية الوثيقة، والتي جعلت شعارها القوميات الضيقة المحدودة، وتشدقت بالدفاع عنها، ولم تكترث بأوضاع العالم الإسلامي، وما يصيب المسلمين في غير إقليمها من الضعف والإضطهاد، فلا تخدم إلا أعداء الإسلام ما لم تجعل شعارها الوحيد الإحتفاظ بمصالح المسلمين وتحقيق أهداف الإسلام في شرق الأرض وغربها.

فيا ألله، يا منزل القرآن، ويا منزل سورةالتوحيد وحّدْ

---

(١) المؤمنون / ٥٢ (٢) آل عمران / ١٠٥

حكوماتنا، وخلص المسلمين من كل حكومة انفصالية إقليمية، وأجمعهم تحت راية حكومة إسلامية واحدة.

المسلمون شعارهم واحد، ومقصدهم واحد، وعقيدتهم واحدة، لا يعين المسلم غير المسلم على أخيه المسلم، ولا يرغب المسلم في حكومة قامت على خيانة المسلمين، ولا يذل نفسه عند الكفار ليعيّنوه حاكماً على المسلمين.

المسلم لا يكتب ما يوجب اشتداد البغضاء والتنافر بين إخوانه، ويمنعهم عن التقارب والتفاهم.

هذا شيء يسير من تأثير السياسات الغاشمة في الأُمة الإسلامية، ولم يبق منها في هذا العصر ما يمنع من التوفيق بين المذاهب، واتحاد المسلمين واجتماعهم تحت لواء الإسلام الا بعض العصبيات الجامدة التي ليس ورائها حقيقة، ولا مصلحة للمسلمين، وإلاّ دعايات الإستعماريين «من الشيوعيين والرأسماليين» وقد قام بينهما الصراع في استعمار ممالك المسلمين، وكل منهما يريد أن يستعمر، ولا يرى إلا ما فيه مصلحة لنفسه أبعدهما الله عن المسلمين وممالكهم، وخذل عمالهما وكل حكومة تأسست على رعاية منافعهما، وموادة من حاد الله ورسوله.

هذا بلاء المسلمين في عصرنا، ومنه يتوجه الخطر عليهم، وهذه السياسة هي التي لا تتوخى إلا فقر المسلم وجهله، وهذه هي التي تشيع الفحشاء في المسلمين، وتبيح بيع الخمر والقمار والربا، تدعو إلى السفور، وتروج الدعارة والتحلل، وخروج النساء

سافرات عاريات.

هذه السياسة هي التي تريد اشتغال المسلمين بالملاهي و المعازف، وانصرافهم عن حقايق الإسلام والقرآن، وتروج البطالة، ولاتحب اشتغال المسلمين بالعلوم النافعة والصنايع، وتأسيس المعامل حتى لا يباع في أسواقهم إلاّ متاع المستعمرين.

وأما السياسات العاملة لتفريق المسلمين في القرون الأولى والوسطى فقد قضى عليها الزمان، فمضت العصور التي استعبدت النّاس فيها جبابرة الأمويين والعباسيين، ومضت الأعصار التي كان فيها تأليف الكتب وجوامع الحديث تحت مراقبة جواسيس الحكومة.

مضت العصور التي كان العلماء فيها تحت اضطهاد شديد، والعمال والولاة يتقربون إلى الخلفاء والأمراء بقتل الأبرياء، ونفيهم عن أوطانهم وتعذيبهم في السجون، وقطع أيديهم و أرجلهم.

مضىالذين شجعوا العمل علىالتفرقة واختلافالكلمة، واشعال الحروب الداخلية.

مضتالسياسات التي سلبت عنمثل النسائي حريةالعقيدة و الرأي وقتلته شر قتلة.

مضىٰ عهد الجبابرة الذين صرفوا بيوت أموال المسلمين في سبيل شهواتهم، واتخاذ القينات والمعازف هواية لهم.

مضت العصور التي سبوا فيها على المنابر أعظم شخصية ظهرت في الإسلام، لا يريدون بسبه إلا سب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

مضت الأزمنة التي كان يرمي فيها بعض المسلمين بعضهم بالإفتراء والبهتان وحتى الكفر والإلحاد.

مضت العصور المظلمة التي عاشت فيها كل فرقة وطائفة من المسلمين كأمة خاصة لا يهمها ما ينزل على غيرها من المصائب والشدائد، ولم يكن بينهم أي تعاون أو أدنى تجاوب.

نعم قد مضت تلك العصور، وظهرت في تاريخ الإسلام صحائف مشرقة مملوءة بنور الإيمان والاخوة الإسلامية، فقامت جماعة من المصلحين المجاهدين بالدعوة إلى الإصلاح والإتحاد، فأدركوا أن آخر هذا الدين لا يصلح إلا بما صلح به أوله، وأعلنوا أن المستقبل للإسلام، و: **﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾**(١).

فدعوا إلى اتباع الكتاب والسنة، ورفض العصبيات: العصبية الشعوبية، والعصبية المذهبية والقبيلية، فأدوا رسالتهم في شرق البلاد الإسلامية وغربها، رزقهم‌الله التوفيق في توحيد الكلمة، وجمع شمل الأمة، فأثرت أعمالهم الإصلاحية في نفوس المسلمين أثراً جميلاً، ولبىٰ دعوتهم جمّ غفير من الغيارى على الإسلام من

---

(١) الاعراف / ١٢٨.

العلماء الأفذاذ وغيرهم.

فكان من ثمرات هذه الجهود الكبرى بل ومن أحلى ثمارها تأسيس دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة، وإصدار مجلة «رسالة الإسلام» العالمية التي جعلت شعارها قوله تعالى: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾[1] وكتب فيها من كتاب المذاهب ودعاة الخير والإصلاح، ورجالات الإسلام جماعة من المشايخ، والأساتذة، فحققت مساعيهم كثيراً من أهدافهم في رفع التدابر والتنافر.

وكان من فوائد هذه الجهود عرض عقائد كل من الفريقين على الأخر بعد أن لم يكن لأكثرهم معرفة بمذهب غيرهم في الأصول والفروع، وكان هذا الجهل سبباً لتكفير بعضهم بعضاً في الأزمنة الماضية، فعرفوا اتفاق الكل في الأصول، وأن بعض الخلافات التي أدى إليها اجتهاد كل فريق لا يضر بالتقريب والتفاهم بعد اتفاق الجميع في الأصول.

وسيبزغ بفضل هذا الجهاد فجر وحدة المسلمين، ويصبحون كما أصبح أسلافهم في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إخواناً، ويدخل هذا الدين على ما دخل عليه الليل ولا تبقى قرية إلا ونودي فيها بكلمة التوحيد.

نعم إن قوماً إلههم واحد، وكتابهم واحد، وقبلتهم واحدة،

---

(١) الانبياء / ٩٢.

وشعائر دينهم واحدة، وقد جعلهم اللّه أمة واحدة، أترى ليس الى دفع مشاجراتهم واختلافاتهم سبيل؟

إن الإسلام يدعو إلى وحدة الأمم، ووحدة الأقوام والطوائف في مشارق الأرض ومغاربها.

دين الإسلام دين التوحيد، ودين خلع العصبيات، ورفض ما يوجب الشحناء والعداوات، دين يسير بأبناء البشر نحو حكومة عادلة ومساواة إنسانية كاملة، ونظام عدل للإقتصاد والإجتماع، ونظام للحكم والدستور ونظام للتربية والتعليم، ونظام في جميع نواحي الحياة ونظام للجموع وهم فيه سواء.

أترى أن هذا النظام الإلهي لا يقدر على فصل الخصومات، وحسم المنازعات بين أبنائه؟

أترى أن الإسلام لم تكن له أساليب وتعاليم صحيحة لتمكين الأمة في الوطن الإسلامي الكبير الذي يشمل جميع المسلمين، أحمرهم، وأبيضهم، وأسودهم؟

أترى أنه لا يعرض على أبنائه دواء لدائهم؟

أترى أنه لا يقدر على رفع المشاجرات التي أحدثها عمال السياسات الغاشمة. وأيدي الإستعمار الظالمة تلك المشاجرات التي يعود كل فائدتها لأعدائنا؟

أترى أن اللّه حرّم على هذه الأمة أن يجلسوا على صعيد واحد ويعيشوا في ظل حكومة واحدة فأقفل عليهم باب التفاهم

والتجاوب ؟

هذا هو القنوط من رحمة الله واليأس من روحه، وكل دائنا يرجع إلى ذلك.

ودواؤه الثقة بالله، والإيمان بأن النصر من عنده، وأن جند الله هم الغالبون، وأن العالم سيلجأ إلى الإسلام، وأنه هو الدافع الفذ للمشاكل التي أحاطت بالإنسانية، وأن المسلمين هم الذين يجب عليهم أن يؤدوا رسالة الإسلام إلى غيرهم وقد آن وقت ذلك وإن لم يأن فعن قريب سيجيء إن شاء الله تعالى.

فإذاً لاعجب أن قامت في المسلمين نهضات للإصلاح، ورفع التفرقة وجمع الشمل، وإعادة كيانهم المجيد، ومجدهم العزيز.

ونسأل الله تعالى الإستقامة والصبر للمصلحين، ولمن يوازرهم على توحيد كلمة المسلمين إنه لما يشاء قدير.

ربنا أفرغ علينا صبراً، وثبت أقدامنا

وانصرنا على القوم الكافرين

قم المقدسة

شوال ١٣٨٢

بِســـــمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيم

الْحَمْـدُ لِلّٰـهِ رَبِّ العَالَمِـينَ الرَّحْمٰنِ الرَّحيـمِ

مَالِـكِ يَومِ الدّينِ إيّاكَ نَعْبُدُ وَايّاكَ نَستَعِينُ إهْـدِنَا

الصّراطَ المُسْتَقيـمَ صِـراطَ الَّـذينَ أنْعَمْـتَ عَلَيْهِـمْ

غَيْـرِ الْمَغضُـوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضّآلّينَ .

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمّدٍ اَمينِكَ عَلىٰ وَحْيِكَ، وَنَجيبِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَصَفِيِّكَ مِنْ عِبادِكَ، إمامِ الرَّحْمَةِ وَقائِدِ الْخَيْرِ وَمِفْتاحِ الْبَرَكَةِ، وَعَلىٰ آلِهِ الطّاهِرينَ.

رَبَّنا اغْفِرْ لَنا وَلإِخْوانِنَا الَّذينَ سَبَقُونا بِالْإيمانِ وَلا تَجْعَلْ في قُلُوبِنا غِلًّا لِلّذينَ آمَنُوا رَبَّنا إنَّكَ رَؤُوفٌ رَحيمٌ.

وكانَ مِنْ دُعائِهِ عليه السلام
في الصّلاة على اتباع الرُّسُل ومُصَدّقيهمْ[1]

اللّهُمَّ وَأَتْباعُ الرُّسُلِ وَمُصَدِقُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الأَرضِ بِالْغَيْبِ عِنْدَ مُعارَضَةِ الْمُعانِدينَ لَهُمْ بِالتَّكْذيبِ، وَالإِشْتِياقِ إِلىٰ الْمُرْسَلينَ بِحَقايِقِ الإِيمانِ في كُلِّ دَهْرٍ وَزَمانٍ، أَرْسَلْتَ فيهِ رَسُولاً وَأَقَمْتَ لأَهْلِهِ دَليلاً مِنْ لَدُن آدَمَ إِلىٰ مُحَمَّدٍ صَلّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ أَئِمَّةِ الْهُدىٰ، وَقادَةِ أَهلِ التُّقىٰ، عَلىٰ جَميعِهِمُ السَّلامُ فَاذْكُرْهُمْ مِنْكَ بِمَغْفِرَةٍ وَرِضْوانٍ.

اَللّهُمَّ وَأَصْحابُ مُحَمَّدٍ صَلّىٰ اللّٰهُ عَلَيهِ وَآلِهِ خاصَّةً الذين اَحْسَنُوا الصَّحابَةَ، وَالَّذينَ أَبْلَوا الْبَلآءَ الْحَسَنَ في نَصْرِهِ، وَكانَفُوهُ وَأَسْرَعُوا إِلى وِفادَتِهِ، وَسابَقُوا إِلىٰ دَعْوَتِهِ، وَاستَجابُوا لَهُ حَيْثُ أَسْمَعَهُمْ حُجَّةَ رِسالاتِهِ، وَفارَقُوا الأَزْواجَ وَالأَولاد في إِظْهارِ كَلِمَتِهِ، وَقاتَلُوا الاباَءَ والأَبْنآءَ في تَثْبيتِ

---

(١) هذا الدعاء الرابع من الصحيفة السجادية التي يداوم الشيعة على قراءة أدعيتها، نقلناه هنا ليعرف الباحثون منزلة صحابة النبي صلى الله عليه وآله الرفيعة عند الشيعة.

نُبُوَّتِهِ، وَانْتَصَرُوا بِهِ، وَمَنْ كانُوا مُنْطَوِينَ عَلىٰ مَحَبَّتِهِ يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ فِي مَوَدَّتِهِ، وَالَّذِينَ هَجَرَتْهُمُ العَشائِرُ إِذْ تَعَلَّقُوا بِعُرْوَتِهِ، وَانْتَفَتْ مِنْهُمُ الْقَرَاباتُ إِذْ سَكَنُوا فِي ظِلِّ قَرابَتِهِ، فَلا تَنْسَ لَهُمُ اللّٰهُمَّ ما تَرَكُوا لَكَ وَفيكَ، وَأَرضِهِمْ مِنْ رِضْوانِكَ، وَبِما حاشُوا الْخَلْقَ عَلَيْكَ، وَكانُوا مَعَ رَسُولِكَ دُعاةً لَكَ إِلَيْكَ، وَاشكُرْهُمْ عَلىٰ هَجْرِهِم فيكَ دِيارَ قَوْمِهِمْ، وَخُروجِهِمْ مِنْ سِعَةِ الْمَعاشِ إِلىٰ ضيقِهِ، وَمَنْ كَثَّرْتَ فِي إِعْزازِ دينِكَ مِنْ مَظْلُومِهِم.

اَللّٰهُمَّ وَأَوْصِلْ إِلىٰ التّابِعينَ لَهُمْ بِإِحْسانٍ الَّذينَ يَقُولُونَ رَبَّنا اغْفِرْ لَنا وَلإِخْوانِنَا الَّذينَ سَبقُونا بِالإيمانِ خَيرَ جَزائِكَ، الَّذينَ قَصَدُوا سَمْتَهُمْ، وَتَحَرَّوْا وِجْهَتَهُمْ، وَ مَضَوْا عَلىٰ شاكِلَتِهِمْ...

اَللّٰهُمَ وَصَلِّ عَلىٰ التّابِعينَ مِنْ يَوْمِنا هٰذا إِلىٰ يَوْمِ الدّينِ وَعَلىٰ أَزواجِهِمْ، وَعَلىٰ ذُرِّيّاتِهِمْ، وَعَلىٰ مَنْ أَطاعَكَ مِنْهُمْ صَلوةً تَعْصِمُهُمْ بِها مِنْ مَعْصِيَتِكَ (الخ).

الخطوط العريضة

المسلمون كما أسلفنا الإيعاز إليه في حاجة ماسة إلى الاتحاد، ورفض ما أوجب الشحناء بينهم في الأجيال الماضية، وإذا كانت بينهم بعض الخلافات فيجب عليهم أن لا يجعلوها سبباً للتنازع والتخاصم. قال الله تعالى:

﴿ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾[1].

سيما في هذا العصر الذي تداعىٰ علينا الأُمم كما تداعىٰ الأكلة على القصاع[2]

---

(١) الأنفال / ٤٦

(٢) أخرج أبو داود في باب تداعي الأُمم على الإسلام من كتاب الملاحم ص ٢١٠ ج ٢ بطريقه عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يوشك الأمم أن تداعىٰ عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن»، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت».

وأولى الناس برعاية هذا الواجب هم الكتّاب والمصنّفون، فإنهم أدلاء العامة، وهداة الحركات الفكرية، فكما تكون لبعض المقالات والمؤلفات آثار قيمة لجمع الشمل، وعز الإسلام يكون لبعضها الآخر من مصارع السوء، والآثار المخزية ما لايمكن دفعها إلا بعد مجاهدات ومجاهدات، فيجب على المؤلفين الإحتراز عما يوجب إثارة الضغائن المدفونة كما أنه يجب عليهم التجنب عن الإفتراء والبهتان، ورعاية الأمانة والصدق، ونصيحة الأُمة.

فـإن أراد كاتب أن يكتب حول مذهب ما، كلمة أو كتاباً فالواجب عليه الرجوع إلـى مصنفـات علمـاء هذا المذهب في العقايد والفقـه، وملاحظة آراء أكابرهم، والنظرات المشهورة بين أهل هذا المذهب، وترك الآراء الشاذة المتروكة بينهم، وأن لا يأخذ البريء منهم بجرم المسيء، ولا ينسب إلى الجميع ما ذهب اليه بعض من ابتلي بالشذوذ في الرأي، فإنه ليس من مذهب إلا ويوجد فيه من له بعض الآراء الشاذة.

ولعمر الحق لو راعىٰ الكتاب والمؤلفون هذا الأمر حق رعايته لذهبوا بكثير من أسباب المنازعات والمخالفات، ولما وقعت بين المسلمين هذه المنافرات، ولما بهت المسلم أخاه المسلم بالكفر والشرك، وهذا أدب يجب على كل كاتب أن يرعاه وإن لم يكن مسلماً.

إذا طهرت الصحف والأقلام من دنس الأغراض و العصبيات وانتزعت من أيدي الجهال وغير الخبراء، أدى ذلك إلى تخلص

نفوس العامة من الأحقاد والضغائن، ومن إساءة الظن بالأبرياء.

هذا، ونحن لا نخفي أسفنا الشديد على ما يصدر عن بعض الكتاب مما لا ينتفع به إلا أعداؤنا، وليست فيه أية فائدة إلا الضعف والفشل، وخدمة الإستعمار الغاشم مضافاً إلى ما في كلماتهم من الإفتراء والبهتان.

ونحن نحسن الظن بإخواننا المسلمين، ولا نحب أن يصدر عن مسلم بصير بعقائد أهل السنة والشيعة وآرائهم مثل هذه المقالات التافهة، ونرجو أن لا يكون بين المسلمين من يتعمد ذلك، ونكره أن يكون بين الأمة من يخون الإسلام بلسانه وقلمه، ولا يشعر بضرره على قومه وأمته.

وربما سامعنا بعض الكتاب الذين يكتبون في الأجيال الماضية عن الشيعة أو أهل السنة، ويسندون إليهم المقالات المكذوبة عليهم، حيث لم يكن العثور على كتب الفريقين وآرائهم في وسع كل كاتب، وأما في هذا العصر الذي أصبح كتب الفريقين في متناول جميع الباحثين، ويمكن استعلام عقيدة كل طائفة من علمائها بكل الوسائل والسبل، فلا عذر لمن يرمي أخاه بما ليس فيه، ويتهمه بمجرد سوء الظن، وقد قال اللّٰه تعالى:
﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾[1]

ومن الكتب التي نسبت إلى الشيعة المخاريق العجيبة، وسلكت مسلك أنصار الأمويين وغيرهم من أعداء عترة النبي صلى

---

(١) الحجرات / ١٢

الله عليه وآله وسلم كتاب سماه مؤلفه [الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الإثنى عشرية] فبالغ في البهتان والإفتراء، وتجريح عواطف الشيعة وأهل السنة، وفيه من الكذب الظاهر والفحش البين، والخروج عن أدب البحث والتنقيب ما لا يصدر إلا عن جاهل بحت، أو من كان في قلبه مرض النفاق، وأراد تفرقة المسلمين وافساد ذات بينهم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه الترمذي وأحمد وأبو داود:[١].

ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والصلاة، والصدقة، إصلاح ذات البين فان فساد ذات البين هو الحالقة.

وفي خبر من طرقنا إنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة. والصيام[٢].

وأخرج الطبراني عنه صلى الله عليه وآله وسلم: **من ذكر امرءً بما ليس فيه ليعيبه حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاد ماقال**[٣].

فما ظنك ياأخي بمن افتراء على طائفة من المسلمين الذين آمنوا بالله ورسوله، وكتابه وباليوم الآخر، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويصومون ويحجون، ويحرمون ما حرم الله في كتابه وسنة نبيه، ويحلّون ما أحل الله ورسوله، ما هم منه أبرياء.

وقد طعن في هذا الكتاب على أئمة المذهب ومفاخر الإسلام، ودافع عن سيرة يزيد بن معاوية، وأظهر انحرافه عن أمير

---

(١) الجامع الصغير: ج ١، ص ١١٤، الطبعة الرابعة.

(٢) نهج البلاغة: جزء ٣، ص ٤٧. (٣) الجامع الصغير: ج ٢، ص ١٧١.

المؤمنين علي عليه السلام الذي لا يحبه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق،[١] ليهيج الشيعة ويستنهضهم على أهل السنة حتى يعارضوا ذلك بالمثل، فيتحقق أمله وأمل أعداء الدين من المستعمرين وغيرهم بإثارة خصومة حادة بين المسلمين، فإن الإستعمار لا يحب أن يرى الشيعي والسني يغزوانه في صف واحد، ولا يريد اتفاقهما في الدفاع عن الصهيونية، ولا يريد اتحاد المسلمين في إحياء مجدهم واسترجاع تراثهم الإسلامي، واستعادة البلاد والأراضي المغتصبة منهم:

الإستعمار يريد الشقاق والنفاق حتى يصفو له الجو وتتحقق أهدافه، ومحب الدين الخطيب كاتب الخطوط العريضة، ومن يسلك سبيله، يمهد له الوصول إلى مطامعه الخبيثة من حيث يعلم أو لا يعلم.

ولكن لا يبلغ الإستعمار آماله إنشاء الله تعالى، وسينجح المصلحون، ولا تهِنُ عزائمهم بهذه الكلمات، فإنهم أعلم بمقالات أرباب المذاهب وآرائهم، والتقريب فكرة إصلاحية كلما مر عليها الزمان يزداد المؤمنون بها، وإن يرى محب الدين استحالتها لأنه لم يفهم أو لم يشأ أن يفهم معناها.

وبعد ذلك كله فنحن نكره أن نخوض في نية محب الدين، وأنه أراد إثارة الفتن، وخدمة أعداء الإسلام، وإعانتهم على هدم

---

(١) راجع المسند ٢٩٢/٦ ـ المعجم الاوسيط ٢١٧٦/٣ مسند ابى العلى ٦٩٠٤/١٢ و ٦٩٣١ و الترمذى و مجمع الزوايد و كنزالعمال و و و

كيان المسلمين فالله هو العالم بالضمائر، فلا نريد أن نسير معه في مقالاته، ونوضح أخطاءه وعثراته، بل نريد تخليص أذهان بعض إخواننا من أهل السنة، وتطهيرها من هذه التهم والإفتراءات، وجعلنا كتاب الخطوط العريضة مورد البحث والنقد لأنه بالغ في التهجم على الشيعة، وأتى بكل ما أراد من الكذب والبهتان، ولم نعارضه بالمثل فـ ﴿إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون﴾[1] بل لم نتعرض لما عند أهل السنة من آراء شاذة في الفروع والأصول، وما نسب أهل الإعتزال إلى الأشاعرة، والأشاعرة إلى المعتزلة، وأتباع بعض المذاهب إلى غيرهم، وما حدث بينهم من المجادلات الكلامية في الكلام وخلق القرآن وغيره، وتكفير بعضهم بعضاً إلا ما دعت الحاجة إليه لتوضيح المراد وتحقيق البحث والتنقيب، فإنا لا نرى فائدة في نقل هذه المناقشات الا ضعف المسلمين وتشويه منظر الدين ونأخذ بما أدبنا الله تعالى به فقال سبحانه:

﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن
فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾[2].

ونقول:

﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان،
ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾[3].

---

(١) النحل / ١٠٥ (٢) فصلت / ٣٤

(٣) الحشر / ١٠

كيف تمت فكرة التقريب

قال محب الدين الخطيب في ص ٥: «ونضرب لذلك مثلا بمسألة التقريب من أهل السنة والشيعة... ثم هاجم دار التقريب بشدة، لأن غرضه الأصلي من تأليفه الخطوط العريضة ا مهاجمة مبدء التقريب».

من سبر أحوال المجتمع الإسلامي في أمسه ويومه، ووقف على الصراع الطائفي الذي أردى المسلمين في مثل هذا الضعف والإنحلال، والسقوط في أحضان الإستعمار وجد أنّ سبب هذا التنافر والتشاجر جلّه أو كله يرجع إلى سياسات غابرة انتهت وكانت من نتايجها إبادة أربابها، ويدرك كما أدرك المصلحون ودعاة الوحدة والتقارب أنّ الإسلام لن تعود إليه دولته الذاهبة إلا إذا عادت إلى المسلمين وحدتهم في ظل الإسلام.

والواقع: إن من أعظم الأسباب في نشوب هذه المعارك المذهبية إنما هو جهل كل طائفة بآراء الطائفة الأخرى، وإن التقارب

بين المذاهب الإسلامية أمر ممكن إذا ما قدر للمسلمين أن يعيشوا في أُفق أعلى وأنزه مما عاشوه في بعض أجيالهم الماضية.

بل إن ذلك ضرورة حتمية لمصيرهم ومستقبلهم، وليس ذلك من المستحيل كما زعمه الخطيب، بل يمكن أن يعيش المسلمون في محبة ووئام، كما عاش خيار الصحابة في صدر الإسلام، مع اختلافهم في الرأي والفتيا، حيث كانوا إخوة أحباء، تتميز أخوتهم بالتفادي والإيثار، ولم يفض اختلافهم في الرأي إلى جفوة أو بغضاء، أو تدابر أو تقاطع أو شحناء.

نعم أدرك المصلحون أن المجتمع الإسلامي في عصرنا هذا لا يقبل تكفير المسلم المؤمن بكتاب اللّٰه وسنة رسوله صلى اللّٰه عليه وآله بمجرد المزاعم والإفترائات والخلافات الفرعية[1].

فليس إذا فكرة التقريب فكرة شيعية أو فكرة سنية فضلاً عن أن تكون وليدة فكرة حكومة شيعية أو سنية، ولم تؤسس دار التقريب للتقريب بين السنة والشيعة فقط، بل تأسست للتقريب بين جميع المذاهب الإسلامية، وقد ساهم في تأسيسها من رجال العلم والدين أفذاذ لايشك في صدق نياتهم.

وأما ما ذكر من إنفاق دولة شيعية على دار التقريب فنحيل الفاحص عن ذلك إلى أقطاب جمعية التقريب السنة وغيرهم.

---

(١) انظر في ذلك ما كتبه الأستاذ العلامة الشيخ محمد تقي القمي السكرتير العام لجماعة التقريب تحت عنوان «قصة التقريب» في «رسالة الإسلام» في العدد الرابع من السنة الحادية عشرة.

ولو سلم كون التقريب فكرة شيعية، وصدر من مبدء شيعي فلماذا لا يقبله السني لأنه فكرة شيعية ما الذي يمنع من التفكر والتأمل حول آراء الطرفين ؟

وماذا يخسر السني إذا ما عرض له الشيعي آراءه وعقائده لئلا يسيء إليه الظن ولا يتهمه بالفسق أو الكفر ؟

إن الشيعي لا يرى بذلك بأساً ولا يحس ضرراً من أن يدرس عقائد أهل السنة ومذاهبهم فهو حر في دراسة جميع العقائد يقرأ كتب أهل السنة وصحفهم ومجلاتهم.

فهذه مكتبات قم، والنجف وطهران، وجبل عامل وغيرها من البلاد والعواصم الشيعية، والجامعات العلمية مملوة من كتب السنيين القدماء ومن الصحاح، وجوامع الحديث والتفاسير والتواريخ، يدرسونها في مدارسهم، ومن كتب المتأخرين، والمعاصرين أمثال الشيخ محمد عبده، ومحمد فريد وجدي والعقاد، ورشيد رضا، وهيكل، والطنطاوي وأحمد أمين، وسيد قطب، ومحمد قطب، والندوي، والمودودي وعفيف طباره، ومحمد الغزالي، وعبد الرزاق نوفل، والشيخ منصور علي ناصيف مؤلف «التاج الجامع للأصول» والشيخ المراغي والشيخ نديم الجسر وغيرهم.

وهذه محاضرات الشيعة في الفقه يدرسون فيها أقوال جميع أئمة الفقه، ورؤساء المذاهب، ويذكرون خلافاتهم، ويبحثون في أدلة الأقوال، ويأخذون بما هو أوفق بالكتاب والسنة باجتهادهم من

غير تعصب لرأي، وكانت هذه سيرتهم من القديم، فراجع كتاب «الخلاف» للشيخ الإمام أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، و «التذكرة» للعلامة الحلي وغيرهما، لم يمنع أحد من العلماء تلامذته، وطلبة العلوم من مراجعة كتب أهل السنة، ولا ينكر أحد على أحد شراءه وبيعه كتب أهل السنة في العقايد والحديث والكلام، ولا يرون بذلك كله بأساً، بل يستحسنونه ويستحثون عليه.

فرية الخطيب على علماء النجف

حكى الخطيب[1] في ص ٦ نسبة بشعة من بعض كتب الشيعة إلى الخليفة عمر بن الخطاب، ونسب نشر الكتاب الذي ذكر فيه هذه النسبة إلى علماء النجف، ونسب إليهم أنهم قالوا فيه عنه كذا...

من أوضح ما يظهر منه سوء نية الخطيب، وأنه لم يرد إلا إثارة الفتن والشقاق والخلاف بين المسلمين بافتراءاته النابية إسناد نشر الكتاب المذكور إلى علماء النجف، وحكايته عنهم أنهم قالوا فيه عن عمر بن الخطاب إنه كان...

ولو أسند نشره إلى ناشر معين وذكر اسمه واسم مؤلفه لكان له عذر في نقلها، ولكنه أسند نشره كذباً وبهتاناً إلى علماء النجف يعني به جميعهم، وهم من أحوط الناس على رعاية حرمة الإسلام والمسلمين، لا تجري أقلامهم وألسنتهم الطيبة النزيهة إلا في

---

(١) على ما هو ثابت في طبعته الأولى ولكن حذفت من الطبعة السادسة.

الإصلاح بين المسلمين وتوحيد كلمتهم، ودعوتهم وإرشادهم الى الخير، ورفض البغضاء والشحناء، فهم في طليعة المصلحين المجاهدين لتحقيق الوحدة الإسلامية، ونبذ ما يوجب الخلاف والشقاق.

إذاً فلا شك أنه لم يرد بما حكاه عنهم إلا تجريح العواطف وتهييج الفتنة، وافتراق كلمة المسلمين أو النيل من الخليفة بنشر هذه النسبة إليه، وتسجيل نقلها عن علماء النجف، وفيهم من رجالات الدين والعلم والمعرفة بتواريخ الإسلام، وتراجم الرجال مَنْ آرائه وأقواله في غاية الإعتبار والإعتماد، فكأنه أراد بتسجيل ما حكاه على علماء النجف تسجيل أصل النسبة على الخليفة وإشاعتها، فإن الكتاب الذي ذكر فيه هذه النسبة «إن كان الخطيب صادقاً فيما حكاه» ليس معروفاً وفي متناول أيدي الشيعة وأهل السنة، فنحن لم نقف عليه ولا على اسم كاتبه بعد، مع الفحص الكثير في المكتبات، ولم نطّلع على مافيه إلا بحكاية الخطيب في كتابه الذي نشره في أرجاء العالم الإسلامي، وجعله في متناول أيدي أعداء الإسلام، والمتتبعين لعورات المسلمين، وكان الواجب على الحكومات السنية مؤاخذة الخطيب ومصادرة كتابه بإشاعته هذه النسبة، وحكايته في كتاب يقرؤه المسلمون وغيرهم.

وعلى كل حال لاحاجة لنا بتبرئة علماء النجف عما حكى عنهم، فإن شأنهم الرفيع أكبر وأنبل من ذكر الأمور الشائكة في كتبهم، فهم معتمدون في مقالاتهم وآرائهم في المذهب والفقه

والعلوم الإسلامية على أقوى الأدلة العلمية.

هذا، ولو فرضنا ذكر شيء من هذا القبيل في نقل لايعتمد عليه، أيجوز له أن ينسب ذلك إلى الشيعة!؟ وإلا فيجوز أن ينسب إلى السنيين عقايد النواصب الذين سبوا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، وأحدثوا في الإسلام ماأحدثوا، وقتلوا سبطي رسول اللّٰه وريحانتيه صلى اللّٰه عليه وآله.

والعجب أن الخطيب تارة يقول إن التقية عند الشيعة عقيدة دينية تبيح لهم التظاهر بغير ما يبطنون، وأخرى يقول بتظاهرهم بأمر، لوكان التقية من دينهم لكان الواجب عليهم أن يستروه، لا أن يذيعوه ويكتبوه، وينشروه حتى يقرأه كل معاضد ومعاند، فتأمل ما في كلماته من التهافت والتناقض، ومجانبة الحق والإنصاف عصمنا اللّٰه تعالى منها.

الأصول قبل الفروع

قال الخطيب في ص ٧: «ومن أتفه وسائل التعارف أن يبدأ منها بالفروع قبل الأصول، فالفقه عند أهل السنة وعند الشيعة لا يرجع إلى أصول مسلمة عند الفريقين، والتشريع الفقهي عند الأئمة الأربعة من أهل السنة قائم على غير الأسس التي يقوم عليها التشريع الفقهي عند الشيعة، وما لم يحصل التفاهم على هذه الأسس والأصول قبل الإشتغال بفروعها، وما لم يتم التجاوب في ذلك من الباحثين في المعاهد العلمية الدينية للطائفتين فلا فائدة من إضاعة الوقت في الفروع قبل الأصول، ولا نعني بذلك أصول الفقه بل أصول الدين من جذورها الاولى إلخ».

إن كان مراده من الأصول تلك التي قامت عليها دعوة الإسلام

فلا اختلاف فيها بين المسلمين من الشيعة والسنة، لا اختلاف بينهم في أن اللّٰه واحد أحد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وليس كمثله شيء، ولا في أنه عليم قدير، سميع بصير، له الأسماء الحسنى.

ولا في نبوة أنبياء السلف، ولا في نبوة خاتم الأنبياء وسيدهم محمد بن عبد اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله، ولا في أن القرآن كتاب اللّٰه الذي أنزل إليه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ولا اختلاف بينهم في المعاد، والثواب والعقاب، والجنة والنار، وغير ذلك من الأمور الإعتقادية التي يعرفها المسلمون، ويؤمنون بها كلهم، كما لاخلاف بينهم في وجوب الصلاة، والصوم، والحج والزكاة وغيرها من التشريعات المالية والبدنية، والإجتماعية والسياسية.

وإن كان مراده من الأصول مسائل أخرىٰ مما اختلف فيه الصحابة أو التابعون، أو الفقهاء فليست هذه المسائل من تلك، وإذا كان الخطيب يعرف أصلاً من الأصول التي قامت عليها دعوة الإسلام مما يعد الإيمان في عصر النبي صلى اللّٰه عليه وآله والصحابة عند الجميع من شرايط الإسلام، ولايعرفه المسلمون من أهل السنة أو الشيعة في هذا العصر فنحن نطالبه به.

الاسس التي يقوم عليها التشريع الفقهي

أما ما ذكره من أن الفقه عند أهل السنة وعند الشيعة لا يرجع

إلى أصول مسلّمة عند الفريقين، وأن التشريع الفقهي عند الأئمة الأربعة من أهل السنة قائم على غير الأسس التي يقوم عليها التشريع الفقهي عند الشيعة.

فجوابه: أن الفقه عند جميع المسلمين من الشيعة وأهل السنة يرجع إلى الكتاب والسنة، والشيعة من أشد الناس تمسكاً بهما إن لم نقل إنهم أشد الفريقين في ذلك، ومع ذلك كيف تكون الأسس التي قام عليها التشريع الفقهي عند أهل السنة غير الأسس التي قام عليها عند الشيعة، وما الفرق بين السني والشيعي في هذه الأسس[1]؟ نعم لا يجوز عند الشيعة إعمال القياس والإستحسان

---

(١) ونعم ما قال فضيلة العلامة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر فيما كتبه جواباً عن مسائل أبي الوفا الكردستاني وإليك بعض نصوصه:

على ان تقسيم المذاهب إلى شيعة وسنة إنما هو اصطلاح في التسمية، وإلا فكل المسلمين أهل السنة لأنهم جميعاً يوجبون الأخذ بالسنة، والشيعة كذلك من غير شك، إذ إن الشيعي لا يقول: قد يثبت حديث ما عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأرفض العمل به من حيث هو حديث ثابت عن رسول الله، ولكنه يقول كما يقول جميع المسلمين إذا صح الحديث فهو مذهبي. وإنما وقع الخلاف أحياناً في ثبوت الحديث عند فريق وعدم ثبوته عند فريق آخر، وتوضيحاً لذلك نذكر ما ذكره أخونا العلامة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء الشيعي الإمامي في العراق في بعض ما كتب: إن عندنا قضية صغرى وقضية كبرى تؤلفان قياساً واحداً شكله هكذا: «هذا ثبت عن رسول الله وكل ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله يجب العمل به شرعاً». فالخلاف بين المسلمين ليس في الكبرى بل كلهم مجمعون عليها إجماعاً لا يتطرق إليه الشك وإنما هو في الصغرى. «انظر رسالة الإسلام العدد الثالث والرابع من السنة الثانية عشرة».

والرأي في الشريعة، كما هو المعمول به عند بعض رؤساء المذاهب الأربعة، لأن القول بجواز العمل بالقياس والإستحسان يفضي عندهم إلى القول بنقص الشريعة التي لم تترك شيئاً من الأمور الدينية والدنيوية إلا وقد بينت حكمها، ولعدم مسيس الحاجة إلى إعمال القياس، لإمكان استخراج أحكام جميع الوقايع والأحداث والقضايا من الكتاب والسنة، وعدم وجود واقعة لا يمكن إدراجها تحت الأحكام الكلية، وذلك لم يكن من مختصات الشيعة.

ولا يخفى عليك إن أكثر الخلافات الواقعة في الفقه يرجع إلى اختلاف الإجتهاد في استخراج الحكم من النصوص، وثبوت بعض الأحاديث عند مجتهد، وعدم ثبوتها عند مجتهد آخر.

هذا مضافاً إلى أنه لا ملزم لتبعية المجتهد للأسس التي قام عليها التشريع الفقهي بحسب مذهب خاص، ولا أن يكون مقيداً بطريقة إمام خاص كالشافعي وأبي حنيفة وغيرهما، بل يجب أن يكون المتبع هو الأسس التي قام عليها التشريع الإسلامي «الكتاب والسنة» سواء وافق رأي أهل مذهب خاص أم لم يوافق، فإن وافق اجتهاد مجتهد في مسألة فتوى الشافعي، وفي مسألة فتوى الحنفي، وفي مسألة فتوى المالكي، وفي مسألة فتوى مجتهد شيعي لا بأس به، فإن المحذور مخالفة الأصول التي قام عليها التشريع الإسلامي لا الأسس التي قام عليها اجتهاد مجتهد خاص.

وقد كان المسلمون قبل حصر المذاهب في الأربعة يجتهدون في الكتاب والسنة، كما هو سيرة الشيعة الإمامية في الإجتهاد

إلى اليوم.

وأما صحة الإجتهاد في فتوى مجتهد خاص فلم يدل عليها دليل، ولم يقم على اعتباره لغيره من المجتهدين حجة من الكتاب والسنة، مضافاً إلى أنه يوجب سد باب الإجتهاد وسلب الحرية عن المجتهدين ووقوف الفقه الإسلامي عن مسيره، وحرمان العلماء عن التفكير والتأمل في الكتاب والسنة، وأظن أن الأئمة الأربعة أيضاً لم يريدوا أن يكون مسلكهم في الفقه حجة لساير المجتهدين، وسبباً لإقفال باب الإجتهاد عليهم، لتنحصر المذاهب في الأربعة(١)

---

(١) وقد أعلن بفتح باب الإجتهاد، وعدم لزوم اتباع إمام مذهب خاص وعدم حصرها في المذاهب الأربعة، وجواز التعبد بمذهب الإمامية فضيلة العلامة شيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت في فتواه التاريخية، وفي أجوبة مسائل أبي الوفاء المعتمدي الكردستاني، وفي موارد أخر، فراجع رسالة الإسلام العدد الثالث من السنة الحادية عشرة، والعدد الثالث والرابع من السنة الثانية عشرة. وما أدلى فضيلته إلى إحدى الصحف المصرية الكبرى بحديث خطير الشأن سجل أيضاً بعض فقراتها في رسالة الإسلام ـ العدد الأول من السنة الحادية عشرة فقد صرح فيه بإفتائه في كثير من المسائل بمذهب الشيعة خضوعاً لقوة الدليل، ذكر منها على سبيل المثال مسألة الطلاق الثلاث بلفظ واحد، فإنه يقع في المذاهب السنية ثلاثاً، ولكنه في مذهب الشيعة يقع واحدة رجعية، ومسألة الطلاق المعلق فإنه على مذهب الشيعة لا يقع به الطلاق مطلقاً.

وراجع أيضاً حديثه مع مندوب جريدة إطلاعات الايرانية المسجل في رسالة الإسلام في العدد الثاني من السنة المذكورة. وراجع مقالة الشيخ محمد محمد المدني عميد كلية الشريعة بالجامعة الأزهرية في رسالة

←

كما أظن أن المجتهدين لو جعلوا نصب أعينهم التشريع الإسلامي، والكتاب والسنة، ولم يقيدوا أنفسهم باتباع مذهب مجتهد معين، كما كان عليه المسلمون قبل تأسيس هذه المذاهب، لزال كثير من هذه الإختلافات والمنافرات، ولسار الفقه الإسلامي نحو عالم أرقى وأوفق بالكتاب والسنة وبمزاج العصر، ولمزيد البحث في ذلك مجال آخر.

→

الإسلام العدد الرابع من السنة المذكورة تحت عنوان (رجة البعث في كلية الشريعة) وانظر ما كتبه الشيخ محمد أبو زهرة تحت عنوان (الوحدة الإسلامية) في العدد الثالث والرابع من السنة العاشرة.

التقية لا تمنع من التجاوب والتفاهم

قال الخطيب في ص ٧: «وأول موانع التجاوب الصادق بإخلاص بيننا وبينهم ما يسمونه «التقية» فإنها عقيدة دينية تبيح لهم التظاهر لنا بغير ما يبطنون إلخ».

بعد تصنيف الشيعة في عقائدهم وفقههم كتباً كثيرة لا يمكن إحصاؤها، وبعدما اطلع عليه الخاص والعام من معتقدات الإمامية، وبعد عرضهم مذاهبهم بما كتب علماؤهم في التفسير والحديث والكلام والفقه على الملأ الإسلامي، وبعد إعلانهم عقائدهم على رؤوس المنابر، وفي الجرائد والمجلات، وبعد هذه الحوارات الحاصلة بين الفريقين، وبعد المشافهات التي وقعت بين عظمائهم من العلماء وغيرهم حيث يزور إخواننا من أهل السنة بلاد الشيعة، ومعاهد علومهم الدينية، ويشاهدون بأعينهم التزام الشيعة بشعائر الإسلام، ويحضرون دروسهم، ومحاضراتهم في العقائد وفي

الفقه، هل يمكن للشيعة التظاهر في عقايدهم بغير ما يبطنون؟ وهل ينتفعون بإخفاء عقايدهم.

أيزعم الخطيب أن علماء الأزهر، وأقطاب التقريب لم يطلعوا على ما اطلع عليه من كتب الشيعة، ولم يدركوا حقيقة مذهب الإمامية وآرائهم في التقية وغيرها؟

أليس شيخ الأزهر أبصر من الخطيب ونظرائه بالمذاهب الإسلامية؟ هذا المصلح الذي أدرك بعلمه الواسع وغيرته على الإسلام والمسلمين ضرورة الإتحاد والإتفاق، وإمكان التقريب بين الطائفتين، فقام لله وأدى ما عليه من نصيحة الأُمة، ورفع الجفوة، فأيد الزعماء المصلحين، وأسلافه من مشايخ الأزهر كالعلامة الكبير الشيخ عبد المجيد سليم بإصدار فتواه التاريخية بجواز التعبد بمذهب الإمامية وجواز الإنتقال من ساير المذاهب إلى هذا المذهب.

ألا يصير أضحوكة الناس من يقول إن الشيعة حيث يقولون بالتقية لا يقبل منهم إقرار واعتراف في عقائدهم، وإنهم يبطنون خلاف ما يظهرون.

أليست التقية جايزة عند اهل السنة؟

ألم يعمل بالتقية الصحابي الجليل عمار بن ياسر ونزل فيه: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾.(٢)

قال الواحدي فى أسباب النزول: قال ابن عباس: نزلت

---

(١) النحل/١٦.

(يعني قوله تعالى: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه﴾[١] في عمار بن ياسر، وذلك إن المشركين أخذوه وأباه ياسراً، وأمه سمية وصهيباً وبلالاً وخباباً وسالماً، فأما سمية فإنها ربطت بين بعيرين، ووجئ قبلها بحربة، وقيل لها إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت، وقتل زوجها ياسر، وهما أول قتيلين قتلا في الإسلام، وأما عمار فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً فأخبر النبي صلى الله عليه وآله بأن عماراً كفر، فقال: كلّا إن عماراً مليء إيماناً من قرنه إلى قدمه، وأخلط الإيمان بلحمه ودمه، فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يبكي، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يمسح عينيه وقال إن عادوا لك فعد لهم بما قلت، فأنزل الله هذه الآية.

ونحن ننقل كلمات بعض أعلام الفريقين في التقية حتى يعلم أن القول بها متفق عليه بين فرق المسلمين غير الخوارج، فإنه ينقل أنهم منعوا التقية مطلقاً.

قال الفخر الرازي في تفسيره المسمى بمفاتيح الغيب[٢] في تفسير قوله تعالى: **﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾**[٣]:

المسألة الرابعة ـ اعلم أن للتقية أحكاماً كثيرة ونحن نذكر بعضها:

الحكم الأول إن التقية إنما تكون إذا كان الرجل في قوم كفار،

---

(١) النحل / ١٠٦ (٢) ج ٢، ص ٤٣٧، ط ١٣٠٨.

(٣) آل عمران / ٢٨

ويخاف منهم على نفسه وماله فيداريهم باللسان، وذلك بأن لا يظهر العداوة باللسان، بل يجوز أيضاً أن يظهر الكلام الموهم للمعية والموالاة، لكن بشرط أن يضمر خلافه، وأن يعرض في كل ما يقول، فإن التقية تأثيرها في الظاهر لا في أحوال القلوب.

الحكم الثاني للتقية هو أنه لو أفصح بالإيمان، والحق حيث يجوز له التقية كان ذلك أفضل، ودليله ما ذكرنا في قصة مسيلمة.

الحكم الثالث للتقية أنها إنما تجوز فيما يتعلق بإظهار الموالاة والمعاداة، وقد تجوز أيضاً فيما يتعلق بإظهار الدين، فأما مايرجع ضرره إلى الغير كالقتل والزنا، وغصب الأموال والشهادة بالزور، وقذف المحصنات واطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البتة.

الحكم الرابع ظاهر الآية يدل على أن التقية إنما تحل مع الكفار الغالبين إلا أن مذهب الشافعي (رض) أن الحالة بين المسلمين إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركين حلت التقية محاماة على النفس.

الحكم الخامس التقية جايزة لصون النفس، وهل هي جايزة لصون المال يحتمل أن يحكم فيها بالجواز لقوله صلى الله عليه وآله: حرمة مال المسلم كحرمة دمه، ولقوله صلى الله عليه وآله: من قتل دون ماله فهو شهيد. ولأن الحاجة إلى المال شديدة، والماء إذا بيع بالغبن سقط فرض الوضوء، وجاز الإقتصار على التيمم دفعاً لذلك القدر من نقصان المال فكيف لا يجوز هيهنا والله أعلم.

الحكم السادس قال مجاهد: هذا الحكم كان ثابتاً في أول الإسلام لأجل ضعف المؤمنين فأما بعد قوة دولة الإسلام فلا. روى عوف عن الحسن أنه قال: التقية جايزة للمؤمنين إلى يوم القيامة، وهذا القول أولى لأن دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الإمكان (انتهى كلامه).

وقال الشيخ الطوسي في التفسير المسمى بالتبيان في تفسير الآية المذكورة: والتقية عندنا واجبة عند الخوف على النفس، وقد روى رخصة في جواز الإفصاح بالحق عندها (ثم ذكر ما روى الحسن في قصة مسيلمة وقال: فعلى هذا، التقية رخصة، والإفصاح بالحق فضيلة، وظاهر أخبارنا يدل على أنها واجبة وخلافها خطاء[١].

وقال الطبرسي في مجمع البيان: وفي هذه الآية دلالة على أن التقية جايزة في الدين عند الخوف على النفس، وقال أصحابنا: إنها جائزة في الأحوال كلها عند الضرورة، وربما وجبت فيها لضرب من اللطف والإستصلاح، وليس تجوز من الأفعال في قتل المؤمن ولا فيما يعلم أو يغلب على الظن أنه استفساد في الدين، قال المفيد: إنها قد تجب أحياناً وتكون فرضاً، ويجوز أحياناً من غير وجوب، وتكون في وقت أفضل من تركها، وقد يكون تركها أفضل، وإن كان فاعلها معذوراً ومعفواً عنه، ومتفضلاً عليه بترك اللوم عليها.

فهذه جملة من كلمات علماء الفريقين مفصحة بجواز التقية

---

(١) بل ذلك ظاهر بعض أخبار أهل السنة أيضاً.

في الجملة، معلنة بتقارب آرائهم فيها، وأن الكل معتمدون في القول بها على الكتاب والسنة.

إذاً فما ذنب الشيعة في القول بها؟ وما وجه مؤاخذتهم عليها إلا التعصب والجهل، نعم رأي الشيعة جواز التقية، وقد عملوا بها في الأجيال التي تغلبت فيها على البلاد الإسلامية أمراء الجور، وحكام جبابرة مثل معاوية، ويزيد، والوليد، والمنصور، والهادي، وهارون، وزياد، والحجاج، والمتوكل، وغيرهم ممن عذبوا أئمة أهل البيت... أئمة الخير، وقدوة العلم والزهد والدين، وعذبوا أشياعهم شر تعذيب، وقتلوهم أبشع قتلة[1].

وفي العصور التي كان فيها أخذ الحديث من أئمة أهل البيت و عترة النبي صلى الله عليه وآله وممن يحبهم أو يفضلهم على غيرهم من أعظم الجرائم السياسية، في العصور التي سلبت عن المسلمين الحرية التي هتف بها الإسلام، وكان سب أمير المؤمنين علي عليه السلام سنة جارية لا يجترئ أحد أن ينكرها.

نعم عملوا بالتقية في الأزمنة التي كان فيها من بني فاطمة الزهراء بضعة الرسول صلى الله عليه وآله من يخفي انتسابه إليها وإلى بعلها عليهما السلام ليسلم من القتل والسجن والسوط، وأنواع التعذيب للمتشرفين بهذه النسبة الشريفة الطاهرة الزكية، وفي

---

(١) راجع مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الإصبهاني المرواني حتى تعرف فظاعة ماجرى على أهل البيت من المصائب والمحن، من عبدة الرياسة وأرباب السياسة.

الأجيال التي لا يعد الرجل فيها من أهل السنة إلا إذا كان في نفسه عن أمير المؤمنين وفاطمة وسائر أهل البيت شيء من البغض، أو يتظاهر بذلك ويترك أحاديث فضائلهم.

هذا الخطيب البغدادي يذكر في تاريخه[١] أن نصر بن علي الجهضمي المحدث الكبير لما حدث بهذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (من أحبني وأحب هذين (وأشار إلى الحسن والحسين عليهما السلام) وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة)[٢] أمر المتوكل بضربه ألف سوط، وكلمه جعفربن عبد الواحد، وجعل يقول: هذا الرجل من أهل السنة، ولم يزل به حتى تركه.

فهل تجد في مثل هذا العصر بدأ من التقية فتأمل من مغزى هذه القصة وأمثالها، وقد عمل بالتقية في هذه العصور كثير من المحدثين والعلماء من أهل السنة أمثال أبي حنيفة والنسائي، ولم يكن للمحدثين وأرباب الصحاح والمسانيد كأحمد وغيره حرية في تخريج ما يخالف سياسة الحكومة وأهواء الأمراء، ولم يكن للمصنفين في تأليف الكتب ونقل الروايات بد من التقية لكونهم تحت اضطهاد شديد ومراقبة عيون الحكومة التي بثّت جواسيسها في البلاد للفحص عمن يرى أو يروي لأهل البيت منقبة وفضيلة. ولقد أجاد إمام الحنفية في الأشعار المنسوبة إليه:

---

(١) ج ١٣، ص ٢٨٨، رقم ٧٢٥٥.

(٢) وأخرجه القاضي في الشفاط: س ١٣٢٤، ص ٤٢، ج ٢ وابن حجر في تهذيب التهذيب بترجمة نصر بن علي.

حب اليهود لآل موسى ظاهر ... وولاهم لبني أخيه بادي
وإمامهم من نسل هارون الأولى ... بهم اقتدوا ولكل قوم هادي
وكذا النصارى يكرمون محبة ... لمسيحهم نجرا من الأعواد
فمتى يوال آل أحمد مسلم ... قتلوه أو سموه بالإلحاد
هذا هو الداء العياء لمثله ... ضلت حلوم حواضر وبوادي
لم يحفظوا حتى النبي محمد ... في آله والله بالمرصاد [١]

هكذا كان حال المسلمين وعلمائهم في تلك القرون المظلمة، وأما في هذا العصر فالعلماء والباحثون أحرار في إظهار آرائهم حول المباحث الإسلامية، وليس بين الشيعي والسني ذلك التنافر الذي أوجدته السياسة في تلك العصور، فلا خوف ولا قتل ولا سجن لبيان الرأي، ولا يقاس هذا الزمان بعصر الأمويين والعباسيين، وعصر الحجاج والمتوكل، ذلك زمان وهذا زمان[٢]

---

(١) راجع الفاتحة السابعة: ص ١١٥، من شرح الديوان للعلامة الشيخ حسين ابن معين الدين الميبدي من أعلام أهل السنة في القرن التاسع والعاشر.

(٢) نعم يوجد في بعض الأحيان بعض العصبيات في بعض الممالك الإسلامية الذي لا يملك قطانه من الحرية ما ملك غيرهم من المسلمين، فيأخذون الإقرار من المتهمين بأنواع التعذيب فراجع كتاب «جزيرة العرب تتهم حكامها» ففي ظروف وأحوال يؤخذ الإقرار عن المتهم بالسياط، وتعليق أظافره بالكلبتين في السجن، وكيّه بالسفافيد المحماة بالنار، لاعجب أن حكم القاضي بقتل مسلم شيعي يحترم مسجد الحرام أكثر من احترام القاضي بتهمة إرادته تلويث المسجد (العياذ بالله). ولا تستغرب فتوى القاضي بقتل شاب مسلم مخلص بما ابدى من اجتهاده في إسلام ابي

←

ولكن الخطيب لما رأى أن تصريحات علماء الشيعة في رسالة الإسلام، وفي كتبهم في العقايد وغيرها بدء يدفع عنهم ما افترت عليهم السياسة والتعصب والجهل ويذهب بالتنافر الذي بقي بين المسلمين أكثر من ١٣ قرناً لم يتمكن أن يقول شيئاً غير مقالة أن الشيعة يتظاهرون بغير ما يبطنون.

وسواء أراد الخطيب وناشر كتابه أم لم يرد فقد حسن التجاوب بين الفريقين، والتفاهم في ما بينهم، إلى حد أن صدرت عن شيخ الأزهر فتواه التاريخيه بجواز التعبد بمذهب الإمامية كما صدرت عن علماء الشيعة مثل السيد شرف الدين والسيد محسن الأمين، والشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، وغيرهم مقالات وكتب قضت على الإفترائات قضاء حاسماً[1].

←

طالب عم النبي صلى الله عليه وآله والذاب عنه وعن الإسلام في كتابه شيخ الأبطح.

(١) فراجع كتاب «نقض الوشيعة» و «أصل الشيعة وأصولها» و «الدعوة الإسلامية» و الفصول المهمة في تاليف الأمة» و «وأجوبة مسائل موسى جار الله» وكتاب «المراجعات» التي جرت بين العلامة الإمام شرف الدين الموسوى وبين الأستاذ الكبير الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر ـ يوم ذاك ـ وهذا الكتاب كما قال الأستاذ محمود أبوريه في كتابه «أضواء على السنة المحمدية» ص ٣٤٦ نفيس جداً يجب على كل مسلم أن يقرء» لانه حمل من البحوث الدينية والفوائد العلمية مالم يحمله كتاب آخر.

تأويل آيات الكتاب، وتفسيرها عندالشيعة

قال الخطيب في ص ٨ : «وحتى القرآن الذي كان ينبغي أن يكون المرجع الجامع لنا ولهم على التقارب نحو الوحدة، فإن أصول الدين عندهم قائمة من جذورها على تأويل آياته وصرف معانيها إلى غير ما فهمه منها الصحابة عن النبي صلى اللّٰه عليه وآله وإلى غير ما فهمه منها أئمة الإسلام عن الجيل الذي نزل عليه القرآن».

عقائد الشيعة مأخوذة من الكتاب والسنة القطعية، ومن الأدلة العقلية القاطعة، وتمام الملاك والمناط الفذ والمرجع الوحيد في تمييز العقيدة الصحيحة عن السقيمة عندهم هو العقل وظواهر القرآن والسنة، فالشيعي لا يعتقد بما خالف ظواهر الكتاب أو السنة، نعم إذا تعارض الظاهر ما قام عليه البرهان القطعي العقلي أو تعارض ما دل عليه نص أو صريح من الكتاب أو السنة لا يعتمدون

عليه، كما برهنوا عليه في الأصول، ويأولون هذا الظاهر بتأويل صحيح مقبول لدى العقل والشرع، ومع ذلك لا يستندون إلى هذا التأويل، ولا يؤسسون الأمور الإعتقادية، بل والمسائل العملية الفرعية على تلك التأويلات.

وعند الشيعة روايات بطرقهم عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، إسناد بعضها صحيحة وبعضها سقيمة، في تفسير الآيات وبيان مصاديقها، وشأن نزولها وتقييد بعض مطلقاتها، وتخصيص بعض عموماتها، وبيان خاصها وعامها، وغير ذلك. وأفرد بعضهم في هذا القسم من التفسير، وجمع فيه تلك الروايات وليست مقبولة عند الشيعة، وهو بينهم كتفسير السيوطي المسمى «بالدر المنثور في التفسير بالمأثور» عند الجمهور.

والعجب من الخطيب إنه يرمي الشيعة بتأويل الآيات، ويغمض النظر عن تأويلات أكابر أهل السنة، وأقطابهم من المتصوفة وغيرهم مما لا يقبله الطبع السليم والذهن المستقيم، ومما تضحك به الثكلى، فاقرأ يا أخي قليلاً من هذه التأويلات الخيالية الباطلة في تفسير النيشابوري «غرائب القرآن». وراجع التفاسير المشهورة المعتمدة عند الشيعة كالتبيان للشيخ الطوسي، ومجمع البيان لأمين الإسلام الطبرسي حتى تعرف نزاهة الشيعة عن هذه التأويلات الوهمية الشعرية وعدم اعتدادهم بها.

صيانة الكتاب من التحريف

قال الخطيب في ص٨: «بل إن أحد كبار علماء النجف وهو الحاج ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي الذي بلغ من إجلالهم له عند وفاته سنة ١٣٢٠ هـ أنهم دفنوه في بناء المشهد المرتضوي بالنجف، في إيوان حجرة «بانو العظمى» بنت السلطان الناصر لدين الله، وهو إيوان الحجرة القبلية عن يمين الداخل إلى الصحن المرتضوي من باب القبلة في النجف الأشرف بأقدس البقاع عندهم.

هذا العالم النجفي ألف في سنة ١٢٩٢ وهو في النجف عند القبر المنسوب[١] إلى الإمام علي كتاباً سماه «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب

---

(١) راجع ما كتبنا في دفع هذا التشكيك الخبيث من الحقايق التاريخية تحت عنوان «المشهد العلوي المقدس».

رب الأرباب» جمع فيه مآت النصوص عن علماء الشيعة ومجتهديهم في مختلف العصور بأن القرآن قد زيد فيه ونقص منه. وقد طبع كتاب الطبرسي هذا في إيران سنة ١٢٩٨، وعند طبعه قامت حوله ضجة لأنهم كانوا يريدون أن يبقى التشكيك في صحة القرآن محصوراً بين خاصتهم ومتفرقاً في مآت الكتب المعتبرة عندهم، وأن لا يجمع ذلك في كتاب واحد تطبع منه ألوف من النسخ، ويطّلع عليه خصومهم فيكون حجة عليهم، ماثلة أمام أنظار الجميع، ولما أبدى عقلاؤهم هذه الملاحظات خالفهم فيها مؤلفه، وألف كتاباً آخر سماه «رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» وقد كتب هذا الدفاع في آخر حياته قبل موته بنحو سنتين، وقد كافئوه على هذا المجهود في إثبات أن القرآن محرف بأن دفنوه في ذلك المكان الممتاز من بناء المشهد العلوي في النجف إلخ».

القرآن معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وآله الخالدة، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قد عجز الفصحاء عن الإتيان بمثله، وبمثل سورة وآية منه، وحير عقول البلغاء وفطاحل الأدباء قد بين الله تعالى فيه أرقى المباني، وأسمى المبادي، وأنزله على نبيه دليلاً على رسالته، ونوراً للناس، وشفاء

لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين.

قال سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «واعلموا أن هذا القرآن[١] هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنده بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى، ونقصان من عمى، واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم[٢]».

ولا ينحصر إعجاز القرآن في كونه في الدرجة العليا من الفصاحة والبلاغة، وسلاسة الترتيب، وسلامة التركيب، والتأليف العجيب، والأسلوب البكر فحسب.

بل هو معجزة أيضاً لأنه حوى أصول الدين والدنيا، وسعادة النشأتين.

ومعجزة لأنه أنبأ بأخبار حوادث كثيرة تحققت بعده.

كما أنه معجزة في التاريخ، وبما فيه من أخبار القرون السالفة، والأمم البائدة، التي لم يكن لها تاريخ في عصر الرسول صلى الله عليه وآله مما أثبتت الكشوف الأثرية صحتها.

ومعجزة لأن فيه أصول علم الحياة والصحة والوراثة، وماوراء

---

(١) هذا القرآن الذي يشير إليه أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام و يحثون شيعتهم بالرجوع إليه والإستشفاء به في ألوف من الأحاديث ليس إلا هذا الذي هو ما بين الدفتين، والكتاب المجيد الذي يعرفه المسلمون جميعاً يقرؤونه في الليل والنهار.

(٢) نهج البلاغة: ط مصر، مطبعة الإستقامة، ج ٢، خ ١٧١.

الطبيعة، والإقتصاد والهندسة والزراعة.

ومعجزة في الإحتجاج.

وإعجاز في الأخلاق و و و.

وقد مرت عليه أربعة عشر قرناً ولم يقدر في طول هذه القرون أحد من البلغاء أن يأتي بمثله، ولن يقدر على ذلك أحد في القرون الآتية والأعصار المستقبلة، ويظهر كل يوم صدق ما أخبر اللّه تعالى به: **﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا﴾**.

هذا هو القرآن، وهو روح الأُمة الإسلامية، وحياتها ووجودها وقوامها، ولولا القرآن لما كان لنا كيان.

هذا القرآن هو كل ما بين الدفتين، ليس فيه شيء من كلام البشر، كل سورة من سوره وكل آية من آياته متواتر مقطوع به، لاريب فيه، دلّت عليه الضرورة والعقل، والنقل القطعي المتواتر.

هذا هو القرآن عند الشيعة ليس إلى القول فيه بالنقيصة فضلاً عن الزيادة سبيل، ولا يرتاب في ذلك إلا الجاهل أو المبتلىٰ بالشذوذ.

وإليك بعض تصريحات أعلام الإمامية ورجالاتهم في العلم والدين، الذين لا يجتري شيعي على رد آرائهم سيما في أصول الدين، وفي أمثال هذه المسائل، لجلالتهم في العلم والتتبع وكثرة إحاطتهم، وقوة حذاقتهم في الفنون الإسلامية.

قال شيخ المحدثين محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الملقب بالصدوق (ت ٣٨١ هـ) ومؤلف كتاب «من لا

يحضره الفقيه»، وعشرات من الكتب القيِّمة، في رسالته المعروفة «بعتقادات الصدوق»: «اعتقادنا في القرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وآله هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك» ـ إلى أن قال ـ «ومن نسب إلينا أنا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب»، ثم شرع في إقامة البرهان على ذلك، فراجع تمام كلامه.

وقال الشيخ المفيد: «وأمَّا النقصان! وقد قال جماعة من أهل الإمامة إنه لم ينقص من كلمة، ولا من آية ولا من سورة، ولكن حذف ما كان ثبتاً في مصحف أمير المؤمنين عليه السلام من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله، وذلك كان ثابتاً منزلاً، وإن لم يكن من جملة كلام الله تعالى الذي هو القرآن المعجز، وقد يسمى تأويل القرآن قرآناً قال تعالى: **﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علماً﴾**[1] فسمي تأويل القرآن قرآناً، وهذا ما ليس فيه بين أهل التفسير اختلاف، وعندي أن هذا القول أشبه من مقال من ادعى نقصان كلم من نفس القرآن على الحقيقة دون التأويل، وإليه أميل والله أسأل توفيقه للصواب.

وأما الزيادة فيه فمقطوع على فسادها[2]».

وقال الشيخ الجليل أبو علي أمين الإسلام الطبرسي أحد أعلام الشيعة في علوم القرآن، في تفسيره القيم المسمى بمجمع

---

(١) طه / ١١٤ (٢) أوائل المقالات للمفيد: ص ٥٥.

البيان[١].

«فأما الزيادة فيه فمجمع على بطلانها، وأما النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية أهل السنة أن في القرآن نقصاناً. والصحيح من مذهبنا خلافه، وهو الذي نصره المرتضى قدس اللّه روحه. واستوفى الكلام فيه غاية الإستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات، وذكر في مواضع: أن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان، والحوادث العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب، فإن العناية اشتدت، والدواعي توفرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حد لم تبلغه فيما ذكرنا، لأن القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية، والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية، حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته، وحروفه وآياته، فكيف أن يكون مغيراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد».

قال: «وقال أيضاً: إن العلم بتفصيل القرآن وأبعاضه في صحة نقله كالعلم بجملته، وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة، ككتاب سيبويه والمزني، فإن أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من جملتها ما يعلمون من تفصيلها، حتى لو أن مُدخِلاً أدخل باباً من النحو في كتاب سيبويه أو من غيره في كتاب المزني لعرف وميز، وعلم أنه ملحق ليس من أصل الكتاب، ومعلوم أن العناية بنقل القرآن وضبطه أكثر من العناية بضبط كتاب سيبويه،

---

(١) تراجع مقدمة تفسير مجمع البيان الفن الخامس منها.

ودواوين الشعراء».

قال: «وذكر أيضاً: أن القرآن كان على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن، واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان، حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنه كان يعرض على النبي صلى اللّه عليه وآله ويتلى عليه وأن جماعة من الصحابة مثل عبداللّه بن مسعود، وأبي بن كعب وغيرهما، ختموا القرآن على النبي صلى اللّه عليه وآله عدة ختمات، كل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبتوت، وذكر أن من خالف ذلك من الإمامية والحشوية من أهل السنة لا يعتد بخلافهم، فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث، نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع بصحّته».

وقال شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ومؤلف كتاب الخلاف والمبسوط، والتهذيب والإستبصار وغيرها، في تفسيره المسمى بالتبيان[١].

«أما الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يليق به أيضاً، لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى رحمه اللّه، وهو الظاهر في الروايات «إلى أن

---

(١) ج ١، ص ٣، ط النجف.

قال» ورواياتنا متناصرة بالحث على قراءته، والتمسك بما فيه، ورد ما يرد من اختلاف الأخبار في الفروع إليه، وعرضها عليه فما وافقه عمل عليه، وما خالفه تجنب ولم يلتفت إليه، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله رواية لا يدفعها أحد إنه قال: (إني مخلف فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) وهذا يدل على أنه موجود في كل عصر، لأنه لا يجوز أن يأمرنا بالتمسك بما لا يقدر على التمسك به، كما أن أهل البيت ومن يجب اتباع قوله حاصل في كل وقت، وإذا كان الموجود بيننا مجمعاً على صحته فينبغي أن نتشاغل بتفسيره وبيان معانيه وترك ما سواه».

وقال العالم الجليل الشيخ جعفر كاشف الغطاء في كتابه المسمى «بكشف الغطاء»:

«والسابع في زيادته» لا زيادة فيه من سورة ولا آية، من بسملة وغيرها، لا كلمة ولا حرف، وجميع ما بين الدفتين مما يتلى كلام الله تعالى بالضرورة من المذهب بل الدين وإجماع المسلمين، وأخبار النبي والأئمة الطاهرين عليهم السلام. وقال: «الثامن في نقصه» لاريب في أنه محفوظ من النقصان، بحفظ ملك الديان، كما دل عليه صريح القرآن، وإجماع العلماء في جميع الأزمان، ولا عبرة بالنادر، وماورد من أخبار النقيصة تمنع البديهة من العلم بظاهرها «إلى آخر كلامه المتين».

وقال الشيخ الأكبر العالم الشهير، نابغة الزمان، الشيخ محمد

بهاء الدين العاملي على ما حكي عنه في آلاء الرحمن ص ٢٦:

«الصحيح أن القرآن العظيم محفوظ عن ذلك، زيادة كان أو نقصاناً، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وإنا له لحافظون﴾، وقال في كتاب الزبدة: القرآن متواتر لتوافر الدواعي على نقله».

وممن صنّف في نفي النقيصة، بعد الإجماع على عدم الزيادة، الشيخ العلامة الجليل علي بن عبد العالي الكركي. المعروف بالمحقق الثاني.

وقال العلامة الكبير المولى محمد إبراهيم الكلباسي في كتاب «الإشارات» بعد استقراء كلمَات علماء الإسلام بأصنافهم في كتبهم الكلامية والأصولية والتفسيرية، وما اشتمل على الخطابات والقصص، وما يتعلق بعلم القرآن بأصنافه، ومنه علم القراءة والتواريخ وغيرها، مع كمال اهتمامهم في ضبط ما يتعلق بكل واحد منها يتبين أن النقصان في الكتاب مما لا أصل له، وإلا لاشتهر وتواتر، نظرا إلى العادة في الحوادث العظيمة، وهذا منها بل من أعظمها.

وقال العلامة المغفور له المجاهد المعاصر الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في «أصل الشيعة وأصولها»: إن الكتاب الموجود بين المسلمين هو الكتاب الذي أنزله اللّٰه إليه للإعجاز والتحدي، وإنه لا نقص ولا تحريف، ولا زيادة فيه، وعلى هذا إجماعهم.

وممن فند القول بالتحريف زيادة ونقيصة، ورد كل شبهة في

ذلك، بأتم بيان، وأوضح برهان، العالمالجليل المفسر المتكلم المجاهد الشيخ محمدجواد البلاغي صاحب الكتب الممتعة، والتصانيف القيمة، في مقدمة تفسيره المعروف والمسمى «بآلاء الرحمن»، فإنه قد أدى حق المقام، ودافع عن قداسة القرآن، وأظهر الحق وأبطل الباطل، فراجعه حتى تعرف قيمة خدمات الشيعة للإسلام والقرآن، وغيرتهم على الدين والكتاب.

وقال الشريف المصلح السيد عبد الحسين شرف الدين في الفصول المهمة في تأليف الأمة[١]: «والقرآن الحكيم لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، إنما هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس، لا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً، ولا تبديل فيه لكلمة بكلمة، ولا لحرف بحرف، وكل حرف من حروفه متواتر في كل جيل تواتراً قطعياً إلى عهد الوحي والنبوة، وكان مجموعاً على ذلك العهد الأقدس مؤلفاً على ما هو عليه الآن، وكان جبرئيل عليه السلام يعارض رسول الله صلى الله عليه وآله مراراً عديدة، وهذا كله من الأمور المعلومة لدى المحققين من علماء الإمامية، ولا عبرة بالحشوية فإنهم لا يفقهون».

وقال العالم المتتبع، والرجالي الكبير السيد محسن الأمين الحسيني العاملي في أعيان الشيعة[٢]: «لا يقول أحد من الإمامية لا قديماً ولا حديثاً إن القرآن مزيد فيه قليل أو كثير فضلاً عن كلهم، بل

---

(١) ص الفصول المهمه في تأليف الأمه: ١٦٣.

(٢) اعيان الشيعه: ج ١، ص ١٠٨.

كلهم متفقون على عدم الزيادة، ومن يعتد بقوله من محققيهم متفقون على أنه لم ينقص منه».

وقال العالم المفسر الشيخ محمد النهاوندي في مقدمة تفسيره «نفحات الرحمن»:

قد ثبت أن القرآن كان مجموعاً في زمان النبي صلى اللّه عليه وآله، وكان شدة اهتمام المسلمين في حفظ ذلك المجموع بعد النبي صلى اللّه عليه وآله وفي زمان احتمل بعض وقوع التحريف فيه، كاهتمامهم في حفظ أنفسهم وأعراضهم «إلى آخر كلامه التام».

وممن صنف في الإمامية في رد شبهة التحريف العالم الرئيس السيد محمد حسين الشهرستاني، فإنه صنف في ذلك كتاباً أسماه «رسالة في حفظ الكتاب الشريف عن شبهة القول بالتحريف» وقال فيه على ما حكي عنه، بعد رد ما في فصل الخطاب من الشبهات: «لا شبهة في أن هذا القرآن الموجود بين الدفتين منزل على رسول الله صلى الله عليه وآله للإعجاز للتسالم على نفي زيادة الآية والسورة فيها، والشك إنما هو في نزول ما عداه إعجازاً والأصل عدمه».

وممن أدى حق الكلام في بطلان القول بالتحريف العالم الجليل والمرجع الديني السيد أبو القاسم الخوئي في تفسيره المسمى ب«البيان» فراجع ما أفاده في ص ١٨١ ـ ١٣٦ فقد أثبت بما لا مزيد عليه أن مسألة نقصان الكتاب مما لا أصل له، وقال في آخر كلامه:

«وقد تبين للقارئ مما ذكرناه أن حديث تحريف القرآن

حديث خيالي لا يقول به إلا من ضعف عقله، أو من لم يتأمل في أطرافه حق التأمل. أو من ألجأ إليه حب القول به. والحب يعمي ويصم، أما العاقل المنصف المتدبر فلا يشك في بطلانه. انتهى كلامه».

ولنعم ما أفاده العلامة الفقيه، والمرجع الديني السيد محمد رضا الگلپايگاني ـ بعد التصريح بأن ما بين الدفتين هو القرآن المجيد ـ ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه، والمجموع المرتب في عصر الرسالة بأمر الرسول صلى الله عليه وآله بلا تحريف ولا تغيير، ولا زيادة ولا نقصان»، وإقامة البرهان عليه: «أن احتمال التغيير زيادة ونقيصة في القرآن كاحتمال تغيير المرسل به، واحتمال كون القبلة غير الكعبة في غاية السقوط لا يقبله العقل وهو مستقل بامتناعه عادة».

ولو رمنا استقصاء كلمات علمائنا الأعاظم في كل جيل لطال بنا الكلام، ولا يسع ذلك كتاب كبير ضخم، ويكفي في ذلك تصريح أستاذنا الإمام راوية أحاديث أهل البيت وحامل علومهم، نابغة العصر ومجدد العلم والمذهب في القرن الرابع عشر، السيد الحاج آقا حسين الطباطبائي البروجردي حشره الله مع جده النبي الكريم صلى الله عليه وآله فإنه أفاد في بعض أبحاثه في الأصول ـ كما كتبنا عنه في تقريرات بحثه ـ بطلان القول بالتحريف، وقداسة القرآن عن وقوع الزيادة فيه، وإن الضرورة قائمة على خلافه، وضعَّف أخبار النقيصة غاية التضعيف سنداً ودلالة وقال:

«إن بعض هذه الروايات مشتمل على ما يخالف القطع والضرورة، وما يخالف مصلحة النبوة، وقال في آخر كلامه الشريف:

ثم العجب كل العجب من قوم يزعمون أن الأخبار محفوظة في الألسن والكتب في مدة تزيد على ألف وثلاث مائه سنة وأنه لو حدث فيها نقص لظهر، ومع ذلك يحتملون تطرق النقيصة في القرآن المجيد».

الواجب على المسلم

اعلم أن الواجب على كل مسلم غيور على الدين والقرآن أن يدفع عن الكتاب الكريم هذه الشبهة، وأن يحتاط في نسبة القول بالتحريف أو التشكيك في القرآن إلى أحد من المسلمين، ويعلم أنه مسؤول عند الله تعالى عما يقول ويكتب.

وكان الأولى بالخطيب أن يتمسك بأقوال العلماء ذوي الإختصاص والمهارة من الشيعة والسنة في صيانة القرآن من النقصان والزيادة، لا أن يركض وراء القول بالتحريف، ويسجل ذلك على طائفة كبيرة من المسلمين.

وقد أراد الخطيب بذلك تشويه سمعة التشيع، ولم يعلم أنه شوه سمعة الدين، وضرب الكتاب المبين، وخدم أعداء الدين، وفتح السبل أمام شبهات المبشرين، وقد نسي هذا الكاتب أنه يهدم بهذه الفرية على الشيعة أساس الإسلام، والشيعة أشد الناس غيرة

على كتاب الله تعالى، وادفعهم عن جلالة القرآن وقداسته، ينكرون القول بالزيادة والنقيصة أشد الإنكار، وكتبهم مشحونة بالدلائل العقلية والنقلية على تنزه القرآن عن الريب والشبهات.

فاقرأ أيها الخطيب كتبهم في التفسير والعقايد والحديث، واقرأ فيها الأحاديث المتواترة القطعية الدالة على أن القرآن هو هذا الذي بيد المسلمين، وانظر إلى الأخبار المأثورة على طرقهم في ثواب قراءة القرآن وقراءة سوره وآياته وكلماته، وفي وجوب الرجوع إليه والتمسك به يقرؤون القرآن في صلاتهم، ويتلونه في ليلهم ونهارهم، يعظمونه كمال التعظيم، ليس عندهم كتاب أعظم من القرآن، فارجع إلى كتبهم في الفقه والحديث، والدعاء إن كنت أهلاً للإنصاف.

ولا يسوؤنا والله نسبة هذه الفرية إلى الشيعة كما يسوؤنا ما يمس منها كرامة الدين الحنيف والقرآن المجيد.

أيها الخطيب لو قال لك بعض المبشرين أو غيرهم إن من مذهب الشيعة وهم طائفة كبيرة من المسلمين وقوع التحريف في الكتاب كما تسجّل عليهم، وفيهم من العلماء والمحققين، وأساتذة فن التاريخ والحديث، والعلوم الإسلامية رجال لايستهان بشأنهم وجلالتهم، وهم يسندون عقايدهم وعلومهم إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله أعدال الكتاب بدلالة حديث الثقلين، ما تقول في جوابه؟.

أتقول إنهم كفار؟.

أو تقول: إنهم يسبُّون الصحابة؟

أو تقول إنهم يقرؤون دعاء صنمي قريش؟

قل ما تقول في جوابه أيها الكاتب الإسلامي؟.

لو تعلم أنك وأمثالك كم توقعون بالإسلام والمسلمين من الضرر، والضعف والفشل، بهذيانكم وافتراءاتكم على الشيعة، لتركتم هذه المخاصمات الباردة، والمناقشات التي لا طائل تحتها، ولغسلتم عن كتبكم هذه المهازل والمخاريق.

وكم من فرق بين الخطيب وبين العلامة الشيخ رحمة الله الهندي! فالخطيب يسند إلى الشيعة فرية يتبرأ منها كل شيعي، ولا يلتفت إلى أن تلك النسبة إنما تجعل القرآن معرضاً للشك، و العلامة الشيخ رحمة الله الذي يعد من أكبر علماء أهل السنة ومن أحوطهم على الإسلام أدرك أن هذه النسبة هي منتهى أمل المبشرين وغاية مناهم، وأن الواجب على السني كالشيعي أن يدفعها عن الشيعة فأثبت في كتابه «إظهار الحق» الذي هو من نفايس كتب المسلمين في الرد على المسيحيين، بل قيل: لم يكتب مثله في رد المبشرين بطلان هذه النسبة، وأدى ما عليه من إظهار الحق وإزهاق الباطل، وإماتة الشبهة، وقد دفع عن حريم القرآن هذه التهمة، حيث قال في الفصل الرابع من الجزء الثاني ص ٨٩:

«القران المجيد عند جمهور علماء الشيعة الإمامية الإثنى عشرية محفوظ عن التغيير والتبديل، ومن قال منهم بوقوع النقصان فيه فقوله مردود غير مقبول عندهم».

«ثم نقل كلمات جماعة من اعلام الشيعة كالصدوق والسيد المرتضى والطبرسي والقاضي نور الله، والمولى صالح القزويني شارح الكافي، والشيخ محمد الحر العاملي) وقال:

«فظهر أن المذهب المحقق عند علماء الفرقة الإمامية الإثنى عشرية أن القرآن الذي أنزله الله على نبيه هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك، وأنه كان مجموعاً مؤلفاً في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وحفظه ونقله ألوف من الصحابة كعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب وغيرهما، ختموا القرآن على النبي عدة ختمات، ويظهر القرآن ويشهر بهذا الترتيب عند ظهور الإمام الثاني عشر رضي الله عنه (إلى أن قال) وقد قال الله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[١] (قال) في تفسير «الصراط المستقيم»، الذي هو تفسير معتبر عند علماء الشيعة: أي إنا لحافظون من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان».(انتهى كلامه).

فصل الخطاب في فصل الخطاب

قبل إبداء الرأي حول كتاب فصل الخطاب نلفت من يحتج على الشيعة بهـذا الكتاب، ويزعم تفردهم بهذا التأليف إلى كتاب اسمه «الفرقان» جمع فيه مؤلفه وهو من إخواننا أهل السنة من أمثال ما في فصل الخطاب من الأحاديث الضعيفة المروية عن طرق أهل السنة، وإليك نص الأستاذ الشيخ محمد محمد المدني عميد كلية الشريعة بالجامعة الأزهرية قال:

وأما إن الإمامية يعتقدون نقص القرآن فمعاذ الله، وإنما هي روايات رويت في كتبهم، كما روي مثلها في كتبنا، وأهل التحقيق من الفريقين قد زيفوها وبينوا بطلانها، وليس في الشيعة الإمامية أو الزيدية من يعتقد ذلك، كما أنه ليس في السنة من يعتقده.

ويستطيع من شاء أن يرجع إلى مثل كتاب الإتقان للسيوطي[1] ليرى فيه أمثال هذه الروايات التي نضرب عنها صفحاً،

---

(١) انظر ص ٣٠، من الجزء الثاني، من كتاب الإتقان.

وقد ألف أحد المصريين في سنة ١٩٤٨ كتاباً اسمه «الفرقان» حشاه بكثير من أمثال هذه الروايات السقيمة، المدخولة المرفوضة، ناقلاً لها عن الكتب المصادر عند أهل السنة، وقد طلب الأزهر من الحكومة مصادرة هذا الكتاب بعد أن بيّن بالدليل والبحث العلمي أوجُه البطلان والفساد فيه فاستجابت الحكومة لهذا الطلب، وصادرت الكتاب فرفع صاحبه دعوى يطلب فيها تعويضاً فحكم القضاء الإداري في مجلس الدولة برفضها

أفيقال إن أهل السنة ينكرون قداسة القرآن؟ أو يعتقدون نقص القرآن لرواية رواها فلان؟ أو لكتاب ألّفه فلان؟ فكذلك الشيعة الإمامية إنما هي روايات في بعض كتبهم كالروايات التي في بعض كتبنا، وفي ذلك يقول الإمام العلامة السعيد أبو الفضل بن الحسن الطبرسي من كبار علماء الإمامية في القرن السادس الهجري في كتابه «مجمع البيان لعلوم القرآن»[1] ثم نقل كلام صاحب المجمع الذي سبق ذكره.

وبعد هذا كله نقول: لم نر في علماء الإمامية ومشايخهم من يعتني بكتاب «فصل الخطاب»، ويستند إليه، وليس بينهم من يعظم المحدث النوري لهذا التأليف، ولو لم يصنف هذا الكتاب لكان تقدير العلماء عن جهوده في تأليفه غيره من المآثر الرائعة كالمستدرك وكشف الأستار وغيرهما أزيد من ذلك بكثير، ولنال من التقدير والإكبار أكثر ما حازه من العلماء وأهل الفضل، ودفنه في

---

(١) انظر رسالة الإسلام: العددالرابع، من السنة الحادية عشرة، ص ٣٨٢،٣٨٣.

المكان المشرف ليس لأجل تأليفه هذا الكتاب، إنما المقام مقدس يدفن فيه من ناله التوفيق، وقد دفن فيه من العلماء وغيرهم من ذوي الثروة والسلطة والعوام جمع كثير.

وليست جلالة قدر الرجل في العلم والتتبع والإحاطة بالحديث مما يقبل الإنكار، وإن خطأه بسبب تأليف هذا الكتاب وصيّر هدفاً لسهام التوبيخ والإعتراض، فنبذ كتابه هذا وقوبل بالطعن والإنكار الشديد[١] بل صنف بعضهم في رده وفي إثبات عدم التحريف كتباً مفردة، كالعلامة الشهير السيد محمد حسين الشهرستاني مؤلف «رسالة حفظ الكتاب الشريف عن شبهة القول بالتحريف»، والعالم المحقق الشيخ محمود التهراني حيث رده بكتاب «كشف الإرتياب».

ومع ذلك كله نقول: من أمعن النظر في كتاب «فصل الخطاب» يرى أن المحدث النوري لم ينكر ما قام عليه الإجماع واتفاق المسلمين من عدم الزيادة، ولم يقل إن القرآن قد زيد فيه، بل قد صرح في ص ٢٣ بامتناع زيادة السورة أو تبديلها فقال: هما منتفيان بالإجماع، وليس في الأخبار ما يدل على وقوعها، بل فيها ما ينفيه كما يأتي، وقد اعترف المحدث المذكور بخطائه في تسمية هذا الكتاب كما حكى عنه تلميذه الشهير وخريج مدرسته العالم

---

(١) قال الشيخ الجليل والعلامة الخبير الشيخ محمد جواد البلاغي النجفي في مقدمة تفسيره «آلاء الرحمن» ص ٢٥: وإن صاحب فصل الخطاب من المحدثين المكثرين المجدين في التتبع للشواذ.

الثقة الثبت الشيخ آقا بزرگ الطهراني مؤلف «الذريعة»، و«أعلام الشيعة»، وغيرهما من الكتب القيمة، فقال في (ذيل ص ٥٥٠ من الجزء الأول من القسم الثاني من كتابه «أعلام الشيعة»:

ذكرنا في حرف الفاء من «الذريعة» عند ذكرنا لهذا الكتاب مرام شيخنا النوري في تأليفه فصل الخطاب، وذلك حسبما شافهنا به، وسمعناه من لسانه في أواخر أيامه فإنه كان يقول: أخطأت في تسمية الكتاب، وكان الأجدر أن يسمى بفصل الخطاب في عدم تحريف الكتاب، لأني أثبتُّ فيه أن كتاب الإسلام «القرآن الشريف» الموجود بين الدفتين المنتشر في أقطار العالم وحي إلهي بجميع سوره وآياته وجمله، ولم يطرأ عليه تغيير أو تبديل، ولا زيادة ولا نقصان من لدن جمعه حتى اليوم، وقد وصل إلينا المجموع الأولي بالتواتر القطعي، ولا شك لأحد من الإمامية فيه، فبعد ذا أمن الإنصاف أن يقاس الموصوف بهذه الأوصاف بالعهدين أو الأناجيل المعلومة أحوالها لدى كل خبير؟ كما أني أهملت التصريح بمرامي في مواضع متعددة من الكتاب، حتى لا تسدد نحوي سهام العتاب والملامة، بل صرحت غفلة بخلافه، وإنما اكتفيت بالتلميح إلى مرامي في ص ٢٢.

إذ المهم حصول اليقين بعدم وجود بقية للمجموع بين الدفتين، كما نقلنا هذا العنوان عن الشيخ المفيد في ص ٢٦ (إلى أن قال) هذا ما سمعناه من قول شيخنا نفسه، وأما عمله فقد رأيناه وهو لا يقيم لما ورد في مضامين الأخبار وزناً، بل يراها أخبار آحاد لا

تثبت بها القرآنية بل يضرب بخصوصياتها عرض الجدار سيرة السلف الصالح من أكابر الإمامية كالسيد المرتضى والشيخ الطوسي وأمين الإسلام الطبرسي وغيرهم، ولم يكن ـ العياذ بالله ـ يلصق شيئاً منها بكرامة القرآن، وإن ألصق ذلك بكرامة شيخنا قدس سره من لم يطلع على مرامه، وقد كان باعتراف جميع معاصريه رجالي عصره، والوحيد في فنه، ولم يكن جاهلاً بأحوال تلك الأحاديث.

ولمزيد التوضيح ننقل كلاماً آخر من الشيخ المذكور في ذيل ص ٣١١ من الجزء الثالث من الذريعة قال: إن من الضروريات الأولية عند الأمم كافة أن الكتاب المقدس في الإسلام وهو المسمى بالقرآن الشريف، وإنه ليس للمسلمين كتاب مقدس إلهي سواه، وهو هذا الموجود بين الدفتين المنتشر مطبوعه في الآفاق، كما أن من الضروريات الدينية عند المعتنقين للإسلام أن جميع ما يوجد فيما بين هاتين الدفتين من السور والآيات وأجزائها كلها وحي إلهي نزل به الروح الأمين، من عند رب العالمين، على قلب سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، وقد بلغ بالتواتر عنه إلى أفراد المسلمين، وإنه ليس بين هاتين الدفتين شيء غير الوحي الإلهي لا سورة ولا آية، ولا جملة ذات إعجاز، وبذلك صار مقدساً محترماً بجميع أجزائه، وموضوعاً كذلك للأحكام من تحريم مس كتابته بغير طهارة، وتحريم تنجيسه، ووجوب إزالة النجاسة عنه، وغيرها من الأحكام الثابتة، (إلى أن قال):

وقد كتبنا في إثبات تنزيه القرآن عما ألصقه الحشوية

بكرامته، واعتقدت فيه من التحريف مؤلفا سميناه «بالنقد اللطيف في نفي التحريف عن القرآن الشريف» وأثبتنا فيه أن هذا القرآن المجيد الذي هو بأيدينا ليس موضوعاً لأي خلاف يذكر، ولاسيما البحث المشهور المعنون مسامحة بالتحريف» إلخ.

وقال نحواً من هذا الكلام أيضاً في الجزء العاشر من الذريعة ص ٧٩ ـ ٧٨ وقال في جملته:

«إن كتاب الإسلام المشهور في الآفاق هو الموسوم بالقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وليس هو إلا هذا الموجود بين الدفتين الواصل إلينا بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وآله. وأثبتنا أنه بجميع سوره وآياته وجملاته وحي إلهي (إلى أن قال) فهو منزه عن كل ما يشينه من التغيير والتبديل، والتصحيف والتحريف، وغيرها باتفاق جميع المسلمين، وليس لأحد منهم خلاف أو شبهة أو اعتراض فيه، واختلاف القراءات إنما هو اختلاف في لهجات الطوائف» (إلى آخر ما أفاده).

هذا كتاب فصل الخطاب، وهذا قدره عند علماء الشيعة، وهذا كلام مؤلفه فيه. وهذا ما يقول عنه أكبر تلامذة مؤلفه وهذه عقيدة مؤلفه وتلامذته فيه.

سورة الولاية، وكتاب دبستان مذاهب

قال الخطيب: «ومما استشهد به هذا العالم النجفي على وقوع النقص من القرآن إيراده في الصفحة ١٨٠ من كتابه سورة تسميها الشيعة سورة الولاية، مذكور فيها ولاية علي (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنبي والولي الذين بعثناهما يهديانكم إلى الصراط المستقيم) إلخ، وقد اطلع الثقة المأمون الأستاذ محمد علي سعودي الذي كان كبير خبراء وزارة العدل بمصر، ومن خواص تلاميذ الشيخ محمد عبده على مصحف إيراني مخطوط عند المستشرق «براين»، فنقل منه هذه السورة بالفتوغراف، وفوق سطورها العربية ترجمتها باللغة الإيرانية، وكما أثبتها الطبرسي في كتابه «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب»،

فإنها ثابتة أيضاً في كتابهم «دبستان مذاهب» باللغة الإيرانية لمؤلفه محسن فاني الكشميري، وهو مطبوع في إيران طبعات متعددة، ونقل عنه هذه السورة المكذوبة على الله العلامة المستشرق فولدكن، في كتابه تاريخ المصاحف ج ٢ ص ١٠٢، ونشرتها الجريدة الآسيوية الفرنسية سنة ١٨٤٢ ص ٤٣١ ـ ٤٣٩ إلخ».

السور القرآنية كانت مؤلفة مشهورة في عصر الرسالة بأمر النبي صلى الله عليه وآله، وكان المسلمون يعرفونها بحدودها، وآياتها وتدل على ذلك الروايات الكثيرة المتواترة الواردة في فضل السور وثواب قراءتها، وأن من قرء سورة يس أو سورة البقرة فله كذا وكذا من الأجر والثواب، وما ورد في أن الرسول صلى الله عليه وآله قرء سورة البقرة وسورة آل عمران في صلاة الآيات، وما ورد في نزول بعض السور جملة، وغيرها من الروايات الدالة على كون سور القرآن مؤلفة معينة بآياتها في عهد الرسول صلى الله عليه وآله، ولا خلاف بين الشيعة في أن سور القرآن ليس أكثر من هذه السور المعروفة مائة وأربع عشرة سورة، واتفق فقهاؤهم بعد الإتفاق على وجوب قراءة سورة كاملة بعد الحمد في الأوليين على كفاية قراءة أي سورة من سور القرآن في الصلاة عدا سورتي الضحى وألم نشرح، فإنهما سورة واحدة، وسورة الفيل ولإيلاف قريش، فهما أيضاً واحدة، ولا تجد في أصل من أصولهم وفي

أحاديثهم ورواياتهم سورة أخرى غير هذه السور الموجودة بين الدفتين.

ولا خلاف معتد به بين أهل السنة أيضاً في ذلك، أي كون القرآن مائة وأربع عشرة سورة، نعم قال بعضهم: بأنها مائة وثلاث عشرة، فعد الأنفال والبراءة سورة واحدة، كما قد حكي عن بعضهم موافقتهم مع الشيعة في كون الضحى وألم نشرح سورة واحدة، والفيل ولأيلاف أيضاً سورة واحدة[١] ولكن أخرج أهل السنة في كتبهم روايات دلت على زيادة سور القرآن على ما بين الدفتين كسورتي القنوت «الحفد والخلع» وأن مصحف أُبَيّ كان عدد سورها مائة وست عشرة، لأنه كتب في آخره سورتي الحفد والخلع[٢].

وقد قال ابن حجر في شرح البخاري: وقد صح عن ابن مسعود إنكار ذلك (يعني إنكار كون المعوذتين من القرآن)

فأخرج أحمد وابن حبان عنه أنه لا يكتب المعوذتين[٣]

وقال هبة الله بن سلامة (ت ٤١٠ هـ) في الناسخ والمنسوخ[٤] فيما نسخ خطه وحكمه:

وأما ما نسخ حكمه وخطه فمثل ما روي عن أنس بن مالك (رض) أنه قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) يراجع الإتقان: ص ٦٧، ج ١. (٢) يراجع الإتقان: ص ٦٧، ج ١.

(٣) الإتقان: ص ٨١، ج ١.

(٤) طبع مصر، بهامش أسباب النزول للواحدي.

سورة تعدلها سورة التوبة. ما أحفظ منه غير آية واحدة:

«ولو أن لابن آدم واديان من ذهب لا بتغى إليهما ثالثاً ولو أن له ثالثاً لانتغى إليها رابعاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب».

وهذه الأخبار وإن كانت مطروحة لا يجوز الإتكال عليها، وقامت الضرورة والإجماع من الفريقين على خلافها. ولا يشك من له معرفة بكلام العرب وفنون الأدب أن هذه الجمل لا تشبه بلاغة القرآن مضافاً إلى ما في بعضها من الأغلاط اللفظية أو المعنوية التي أشار إليها المفسر الشيعي الشهير البلاغي، في مقدمة تفسيره، إلا أن المنصف يعرف منها أنه لو جاز نسبة القول بوقوع نقص السورة في القرآن إلى الشيعة أو أهل السنة «ولا يجوز ذلك البتة» لكان أهل السنة أولى بها، فإنهم نقلوا في كتبهم المعتبرة وتفاسيرهم ذلك، وإن سمى بعضهم بعض هذه بمنسوخ التلاوة والحكم، أو منسوخ التلاوة فقط. فإن ذلك لايدفع الإشكال، لأن وقوع النسخ محتاج إلى الإثبات، واتفق كلمة العلماء على عدم جواز نسخ القرآن بخبر الواحد، مضافاً إلى أن بعض هذه الأخبار آب عن هذا التأويل، وقد تردد الأصوليون من السنّة في جواز تلاوة الجنب ما نسخت تلاوته، وفي جواز مس المحدث كتابته واختار بعضهم عدم الجواز.

وأما الشيعة فلم يقل أحد منهم بنقص سورة من القرآن، ولا بزيادة سورة أو آية أو كلمة عليه، وليس في رواياتهم ما يدل على

نقص سورة أو زيادتها.

والسورة التي نسب اختلاقها إلى الشيعة، وسماها سورة الولاية لا ترى في أصول الشيعة وكتبهم منها عيناً ولا أثراً. ومقام الشيعة وفيهم ألوف من زعماء فن البلاغة والأدب المشهورين أرفع وأجل من أن يلصقوا بكرامة القرآن هذه الجمل التي يظهر فيها أثر الوضع، ويعرف ضعف تأليفها وخروجها عن أسلوب القرآن من كان له أنس بكلام الفصحاء والبلغاء.

ولا عجب من نسبة محب الدين هذا الإفتراء إلى الشيعة، فإنه جعل هذا دأبه في كتابه، ولا يضر الشيعة ذلك بعد كون كتبهم ومصنفاتهم في معرض مطالعة العلماء، ولكن العجب منه أنه قال، ولم يخشى من ظهور كذبه عند الناس كالشمس في رابعة النهار: (ومما استشهد به هذا العالم النجفي على وقوع النقص من القرآن إيراده في ص ١٨٠ من كتابه سورة تسميها الشيعة «سورة الولاية» مذكور فيها ولاية علي «إلى أن قال» فكما أثبتها الطبرسي في كتابه فإنها ثابتة أيضاً في كتابهم «دبستان مذاهب» باللغة الإيرانية لمولفه محسن فاني كشميري، وهو مطبوع في إيران طبعات متعددة.

فانظر ما في كلامه هذا من الكذب الفاحش والإفتراء البيّن.

١ ـ ليس في فصل الخطاب لا في ص ١٨٠ ولا في غيرها من أول الكتاب إلى آخره ذكر لهذه السورة المكذوبة على الله تعالى، التي يقول الخطيب: إن الشيعة تسميها سورة الولاية مذكورة فيها ولاية علي (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنبي والولي اللذين بعثناهما

يهديانكم إلى الصراط المستقيم إلخ).

٢ ـ ما معنى المصحف الايراني أيها الخطيب؟ ألا تستحيي من الله تعالى؟

ما هذا المصحف الذي لم يعرفه الإيرانيون، ولم يوجد بعدُ عند خاصتهم وعامتهم، ولم يطلع عليه أحد إلا محمد علي سعودي المصري عند براين المسيحي.

أيها العلماء، أيها المنصفون، أيها المصلحون.

ما هذه الإفتراءات، وما عذر الخطيب وناشر كتابه محمد نصيف... من أهالي جدة ـ الحجاز وأمثالهما عند الله تعالى؟

وما يريدون بانتشار هذه الأكاذيب؟ وما يطلبون من شيعة أهل البيت؟

وما عذر من يتغافل من زعماء السنّة وعلمائهم وحكوماتهم عما يرد من هذه الأقلام على الإسلام والمسلمين من الضرر والفشل؟

أليس في إخواننا أهل السنة والجماعة من يرشدهما إلى ما فيه مصلحة نفسهما، ومصلحة أُمتهما، ومصلحة المسلمين؟

أيها المسلمون اسألوا من إخوانكم السنّة من أهالي إيران ومن ألوف من الذين زاروا إيران ويزورونها في كل شهر ويوم، هل سمعتم في إيران بمصحف غير هذا المصحف المطبوع المشهور في جميع الأقطار؟

أم هل وجدتم عند إيراني كتاباً يعتقد أنه وحي إلهي يقرؤه

آناء الليل وأطراف النهار غير القرآن، ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه ويؤمن به جميع المسلمين؟ ولكن إذا قل دين المرء قلّ حياؤه، لا يستحيي من الكذب من اعتاده، ولا يخاف من تشويه سمعة الدين، وإيراد الطعن على الكتاب المبين، من لا يعقل ما يقول أو باع دينه بدنياه، واعتنق خدمة أعداء المسلمين.

الإيرانيون أشد الناس احتراماً للقرآن المجيد، ولآياته وكلماته وحروفه، أسواقهم ومجالسهم وإذاعاتهم وبيوتهم ومدارسهم وكلياتهم عامرة بقراءته، لهم في كل قرية وبلد مجالس ومدارس لتعليم التجويد، وقراءة القرآن والتفسير، يهتمون بتعلم القرآن كمال الإهتمام، ويؤدبون أولادهم على قراءته، لم يسمع أحد منهم لا قديماً ولا حديثاً بهذا المصحف الذي تقول، ولم يطلع عليه أحد من علمائهم ولا ادعى رؤيته من كان فيهم من أهل الفحص والتنقيب.

نعم يوجد عندهم وفي مكتباتهم الكبيرة مثل مكتبة «آستان قدس» في المشهد الرضوي وغيرها أقدم النسخ المخطوطة من القرآن وأنفسها، يرجع تاريخ كتابته إلى صدر الإسلام، وتنسب كتابة بعضها إلى سيدنا الإمام أمير المؤمنين، وبعضها إلى الإمام السبط الحسن المجتبى، وبعضها إلى الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليهم السلام، لا تجد لهذه النسخ اختلافاً ما، حتى في حرف واحد مع هذه المصاحف المطبوعة إلا في رسم الخط.

٣ ـ وكذبه الآخر قوله بثبوت هذه السورة في «دبستان

مذاهب» مع أنه ليس لهذه السورة ذكر في هذا الكتاب أيضاً.

«دبستان مذاهب» ليس من كتب الشيعة

٤ ـ ومن افتراءاته على الشيعة إسناده كتاب دبستان مذاهب إليهم، وهو كتاب في «الملل والنحل»، جمع مؤلفه فيه بين الغث والسمين، والحق والباطل، وفيه حكايات يأبى العقل احتمال صحتها، واستند في نقل أكثر ما فيه إلى النقل عن المجاهيل، ويظهر من أسمائهم أنهم كانوا من دراويش الهند، ولم يعلم مذهب مؤلفه ولا اسمه على التحقيق. فقد أخفى مؤلفه اسمه ومذهبه، لا يوجد في أصل الكتاب اسمه ولا اسم مذهبه، كما هو الشأن في غير هذا الكتاب من ذكر اسم المؤلف ومذهبه.

وغرضه من ذلك أن لا يحمل كلامه على العصبية، واختلف في اسمه فحكي عن سرجام ملكم أن اسم مولفه محسن الكشميري المتخلص في شعره بالفاني ويوجد ترجمته في كتاب «صبح گلشن» من غير أن يذكر له هذا التأليف وحكي عن مؤلف «مآثر الأمراء» أن اسمه كان ذو الفقار، وقيل: إنه لسياح، عاش في أواسط القرن الحادي عشر.

وعن بعض المستشرقين أن في مكتبة بروكسل نسخة منه مذكور فيه أن اسم مؤلفه كان «محمد فاني» وفي «كشف الظنون» أنه تأليف موبد شاه المهتدي صنفه لأكبر شاه، وعن مقدمة قزارستان أنه تأليف مؤبد أفراسياب، وقيل: إن اسم مولفه كان كيخسرو ابن آذر

كيوان، ولم أجد لهذه الأقوال شاهداً قوياً لافي نفس الكتاب ولا في غيره.

وأما مذهب مؤلفه، فيلوح من بعض ما ذكر فيه عدم اعتقاده بالنبوات وبعث الأنبياء، فراجع ما ذكره في بحث الأديان. وما حكى فيه من المباحث الواقعة بين النصراى والمسلمين، وبين أهل السنة والشيعة، وما ذكر فيه من اختلاف الفرق، ويوجد فيه من نقل أعاجيب الأكاذيب ما ليس في غيره، وذكر فيه مذاهب أهل السنة ثم تعرض لمذهب الشيعة. ويظهر من بعض مواضيعه أنه كان إلى مذاهب أهل السنة أميل، ونسبه بعض علماء الشيعة المتتبعين إلى الزندقة والإلحاد، والله العالم بحقيقة حاله، وهو عليم بما في الصدور.

ومع ذلك كله كيف يقول الخطيب إنه كان من الشيعة الإيرانيين، ثم يقول على سبيل الجزم أنه تأليف محسن الفاني الكشميري.

ومن الأعاجيب التي تضحك الثكلى ما نقل في «دبستان مذاهب» عن الشيعة من إسقاط سورة من القرآن (غير السورة التي نقلها الخطيب كذباً عنه) ولم يستند في ذلك إلى كتاب أو نقل عن مجهول، ونقلها في فصل الخطاب في ما نقل عن كتب أهل السنة. وهذه السورة المختلقة مشتملة على الأغلاط اللفظية والمعنوية، وركاكة الأسلوب يعرف من تدبر فيها أنها من اختلاقات أعداء الإسلام، ولا يرتاب من له معرفة بكلام العرب أنها دون كلام

سوقتهم فضلاً عن فصحائهم، وفضلاً عن كلام الله تعالى.

وقد أوضح ذلك غاية الإيضاح العالم الشيعي الجليل الشيخ البلاغي في مقدمة تفسيره فراجع واقض العجب عن من يستند إلى هذه الكتب أو ينقل مثل هذه المهزلة في كتابه.

والحاصل أن نسبة القول إلى نقص سورة من القرآن إلى الشيعة كذب محض، لم يقل به أحد من الشيعة، وليس في رواياتهم منها عين ولا أثر، كما أن نسبة تأليف كتاب دبستان مذاهب إليهم أيضاً كذب محض، لا شاهد له في نفس الكتاب ولا في غيره، ولم يعتمد أحد من الشيعة على هذا الكتاب.

٥ ـ الكذبة الخامسة في كلامه هنا قوله بطبع دبستان مذاهب في إيران طبعات متعددة، وليت شعري من أين قال ذلك، وأي نسخة من هذا الكتاب طبع في إيران، وما اسم المطابع التي طبع فيها طبعات متعددة؟ ولم لم ينقل تاريخ طبعه في إيران وسائر خصوصياته؟ وما فائدة هذه الأكاذيب؟

نعم قد عثرنا بعد فحص كثير في عدة مكتبات كبيرة على ثلاث نسخ مطبوعة.

الأولى:

طبعت في بمبئي الهند، سنة ١٢٦٢

والثانية:

في سنة ١٢٦٧ غير أنه لم يذكر فيها مكان الطبع.

والثالثة:

طبعت أيضاً في بمبئي سنة ١٢٧٧.

ظني أن النسخة الثانية أيضاً مطبوعة في الهند، ومع هذا كيف يقول إنه مطبوع في إيران طبعات متعددة.

المستشرقون دعاة الإستعمار[1]

من أعظم البلاء على المسلمين بل عامة الأُمم الشرقية افتتان بعض شبّانهم ومثقفيهم بمقالات الغربيين، سيما المتسمين منهم بالمستشرقين، واعتمادهم على ثقافتهم وآرائهم في المسائل الراجعة إلى الشرق وإلى الإسلام، مع أن كثيراً منهم لا يريدون بالإستشراق إلا الوقيعة بالمسلمين، وتتبع عوراتهم، وتفريق كلمتهم، وبعضهم يروجون الحضارات التي كانت قبل الإسلام، ويضعفون العلائق الدينية، يريدون بذلك إرجاعهم إلى الجاهلية،

(١) لا يخفى على الباحثين أن لفريق من المستشرقين خدمات مشكورة في إحياء تراثنا الإسلامي قد أدوا الأمانة في مقالاتهم وفي التأليف والنقل، واجتنبوا التحريف والتصرف في النقل، وليس قصدهم من البحث والتأليف إلا خدمة العلم ونشدان الحقيقة، فقلما يرى أولا يرى في كلماتهم التعصب لدينهم أو لأمتهم. فإن صدر عن بعضهم خطأ ليس إلا لعدم انتهائه إلى نهاية البحث أو ابتلائه بقلة المصادر. فلايتهم مثله بالتعمد في قلب الحقايق، والخيانة في البحث.

وإحياء شعائر الأمم الكافرة التي قضى عليها الإسلام قضاء حاسماً.

ففي إيران يروجون أساطير كورش وداريوش، وعادات المجوس، وأيامهم وأعيادهم، كالسده ومهرجان.

وفي مصر يبعثون جمعيات للتحقيق في تاريخ الفراعنة وما يوصل مصر الحديثة بالقديمة.

وهذا ما يسمونه «بالفولكور» أي ترويج الدراسات الشعبيه، والفحص عن عادات الشعب وعقائد أبنائه، ومدنيتهم وآثارهم وقصصهم في الأجيال الماضية، وكشف آثار الأقدمين، فيدعون الأدباء والكتاب إلى البحث عن العقائد التي نسيها الزمان، والعادات والبرامج المتروكة، ويشوقون بعض الشبّان وضعفاء العقول، ويصرفون الدراهم والدنانير والدولارات لتأليف الكتب وطبعها، ويستأجرون أقلام الصحف والمجلات والجرايد لترويج أهدافهم، وهذا من أضر ألاعيب الإستعمار على المسلمين، لم يقصدوا بذلك إلا إحياء الحضارات السابقة على الإسلام، وتكثير العصبيات القومية وتفريق الكلمة، ويرى آثار هذه السياسات الغاشمة في مصر والشام، والعراق وإيران، وتركيا وشمال آفريقية، وهند وأندونيسيا، ولبعض المستشرقين قدم راسخ في تحقيق أهداف الإستعمار، وتضعيف علائق الإتحاد الإسلامي، وإنشاء روح العصبية القبيلية، والنخوة الجاهلية التي حاربها الإسلام.

ومن أعظم البلية أن بعض من لاخبرة له بالتاريخ، ومصادر التشريع الإسلامي وأهداف الدين القويم يحسب آراء المستشرقين

من أصح الآراء، ويستشهد بها مبتهجاً بذلك.

ولبعضهم حول البحوث الإسلامية، وتاريخ رجال الدين وزعماء الشرق كتب ومقالات ربما لا تجد فيه خلافاً مع ما عليه المسلمون إلا في نقطة واحدة، ولكنه لم يقصد بتأليف كتاب ضخم إلا إبداء الشبهة في هذه النقطة، وإنكار حقيقة واحدة.

وللأستاذ عبد الوهاب حمودة مقال تحت عنوان «من زلات المستشرقين»[1] ذكر فيه زلات المستشرقين المتكررة، وهفواتهم الشايعة وتصيدهم للروايات الضعيفة، ونقد كتاب «العقيدة والشريعة» لجولد تسيهر وكتاب «الإسلام» لجيوم وغيرهما.

وربما لم يكن لعناية بعض من لا إحاطة له بالمسائل التاريخية والمباحث الإسلامية إلى أقوال المستشرقين إلا انخداعهم بالأسماء التى يحسبون أنّ لها شأن كبيراً أمثال: و«نولدكن»، و «هنري لامنس»، و «إميل درمنغم»، فيحسب المسكين أن تحت هذه الأسماء حقائق عالية، وآراء ثاقبة، وليس ذلك إلا لضعف الشرق، واستيلاء الغرب عليه، حتى أن بعض أبناء الشرق يعتقد صعوبة المناقشة في آراء المستشرقين ونظرات الغربيين والرد عليهم، لأنه يحسبهم من رجالات العلم والإطلاع في جميع العلوم، ويظن أن تقدمهم في الصناعات والطب والبيطرة مستلزم لتقدمهم في ساير العلوم، وأن يكونوا أخبر بحال الشرق وطباع أبنائه وتاريخ الإسلام، وأصول التشريع، وعقايد الفرق الإسلامية من علماء المسلمين،

---

(١) انظر رسالة الإسلام: العدد الثالث والرابع من السنة العاشرة.

ولم يعقل أن ما حصل للمستشرقين من العلوم الإسلامية والبحوث التاريخية لم يحصل إلا لأجل الغور في علوم المسلمين، ومطالعة كتب علمائهم[١].

هذا مضافاً إلى أنهم لا يريدون باستشراقهم إلا خدمة أُمتهم وحكوماتهم، وليست آراؤهم العلمية خالية عن النزعات السياسية، ومع ذلك أليس من أبشع ما في كتاب الخطيب استشهاده بنقل ما وجد عند «براين» وحكاية «فولدكن» والجريدة الآسيوية الفرنسية.

أليس هذا ـ لو كان الخطيب صادقاً في نقله ـ شاهداً لما قلنا من أن كثيراً من المستشرقين لا يخدمون باستشراقهم إلا سياسات حكوماتهم؛ ولا يطلبون إلا بقاء سيادة الغرب على الشرق، واستعباد الأُمم الشرقية سيما الإسلامية منها بإلقاء الخصومات والخلافات بينهم، وإلا فأي مستشرق بصير عارف بلسان العرب وتاريخ الإسلام، ومقالات الشيعة وكتبهم، لا يعلم اختلاق هذه النسبة على الشيعة، ولا يعلم أن هذه الألفاظ لا تمس كرامة القرآن، وليس

---

(١) لا شك عند جميع المحققين من المسلمين وغيرهم أن تأخر المسلمين ليس لضعف الفلسفة والآداب والتاريخ ونقصان قوانينهم فإن الإسلام أحسن كافل لهم في ذلك، ولكنهم غلبوا، لأنهم تركوا الإشتغال بالعلوم التجريبية المادية بتمام فروعها الكيميائية والطبيعية، والميكانيكية التطبيقية والنظرية وغيرها، غلبوا لأنهم لم يملكوا المصانع وفقدوا من أدوات الحرب ما يضاهون به عدوهم، وما يتحررون به من هذا السجن الإقتصادي، قد قال الله تعالى: ﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾. الانفال/٨.

للشيعة علم واطلاع على هذه السورة المكذوبة على الله تعالى.

فكأن الخطيب لم يقرأ قوله تعالى:

﴿إن جائكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾[١].

---

(١) الحجرات / ٦.

الكلام حول أحاديث المسألة

لا نريد أن نعارض الخطيب بالمثل، ولا نحب نقل هذه الأخبار المطروحة السقيمة، سواء أكان من طرق الشيعة أم من طرق أهل السنة، حذراً من أن يتوهم جاهل لصوق بعض ما في هذه الأخبار بكرامة الكتاب، أو يتمسك به بعض المستشرقين والمبشرين عند من ليس له تضلّع في التاريخ والحديث، ولكن ما ذنبنا بعدما يرمي الخطيب وأقرانه الشيعة بهذا البهتانات، ومع ذلك لا نأتي بمتون هذه الروايات، ونشير إلى مواضعها في كتب القوم على سبيل الإختصار، ونبين الجواب عنها بحول اللّه وقوته فنقول:

إن نقل الروايات حول هذا الموضوع لم يكن من مختصات بعض كتب الشيعة كما أسلفنا مراراً، ولا يمنع من التقريب، ولا يجوز الطعن على الشيعة بذلك، فإن الروايات عن طرق أهل السنة في هذه المسألة أيضاً كثيرة جداً، وقد ذكرنا بعض ما ورد عن

طرقهم مما يدل على نقص سورة تامة، بل في أحاديثهم ما يدل على نقص سورة كسورة البراءة في الطول والشدة، وبعضها يدل على نقص آية أو أكثر، والتغيير والتبديل، بل وبعضها يدل على وقوع الزيادة، فراجع الإتقان(١) ومسند أحمد(٢) وصحيح البخاري باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت(٣) وتاريخ دمشق لابن عساكر(٤) ترجمة أُبي بن كعب، وكتاب الأحكام للآمدي(٥) وتفسير الطبري في تفسير آية: ﴿فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن﴾(٦) وراجع تفسير الفخر أيضاً في ذلك، وراجع صحيح البخاري في باب: ﴿والنهار إذا تجلى﴾ من كتاب التفسير(٧) وفي باب: ﴿ما خلق الذكر والأنثى﴾، وراجع أيضاً مافي كتاب الأحكام في أصول الأحكام(٨) من أن ابن مسعود أنكر كون المعوذتين والفاتحة من القرآن، وقد صرح في الجزء الأول(٩) باختلافهم في كون البسملة من القرآن، فعلى قول من يقول بعدم كون البسملة من القرآن كأبي

---

(١) ج ١، ص ٦٧و ٨١، و ج ٢، ص ٢٥و ٢٦.

(٢) ج ٥، ص ١٣٢.

(٣) ج ٤، ص ١٢٥، ط س ١٣٠٤ و ١٣٠٥.

(٤) ج ٢، ص ٢٨٨.

(٥) ج ١، ص ٢٢٩.

(٦) أخرج بالإسناد إلى كل من أُبي بن كعب وابن عباس وسعيد بن جبير والسدي أنهم كانوا يقرؤون: فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن. وأرسل الزمخشري أيضاً في الكشاف هذه القراءة عن ابن عباس إرسال المسلمات.

(٧) ج ٣، ص ١٥٢، ط ١٣٠٤.

(٨) ج ١، ص ٢٣٠.

(٩) ص ٢٣٣.

حنيفة يلزم زيادة البسملة في مأة وثلاث عشر موضعاً، وراجع أيضاً صحيح مسلم باب: ﴿لو كان لابن آدم﴾ من كتاب الزكاة[١] وذكر في فصل الخطاب أكثر من تسعين حديثاً في هذا الباب من كتب العامة، وروي عن عمر في آية الرجم إنه قال: لو لا أن تقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها، يعني آية الرجم، فراجع الإتقان.[٢]

وذكر اليعقوبي المؤرخ الشيعي أن عمر قال هذا حين حضرته الوفاة.

وفي هذه الروايات على ما حققه وبينه بعض علماء الشيعة من الإضطراب والتدافع، والتناقض في مضامينها، ومعارضتها بغيرها من الأخبار الكثيرة الصحيحة، وركاكة الأسلوب وضعف المعاني، وانحطاط الفقرات، وعدم مشابهتها بآيات القرآن ما لا يكاد يخفى على من له أدنى معرفة بأساليب الكلام وقواعد البلاغة[٣].

وأما الروايات المأثورة عن طرق الشيعة فهي إلا النزر القليل منها غير مخرجة في أصولهم المعتبرة كالكتب الأربعة، ومطعون فيها بضعف السند أو الدلالة أو هما معاً، ويمكن حمل أكثرها على التفسير، وبيان بعض المصاديق الظاهرة، وغير ذلك من المحامل الصحيحة التي يقبلها العقل والعرف.

---

(١) ص ٣٨٦، ج ١. (٢) ص ٢٦، ج ٢.

(٣) راجع مقدمة تفسير آلاء الرحمن للعلامة المغفور له الشيخ البلاغي النجفي.

أضف إلى ذلك أنك لا تجد في أحاديثهم رواية تدل على نقص سورة أو زيادتها كما يوجد في روايات أهل السنة، وقد عرفت أقوال أكابر الشيعة وحال هذه الروايات عندهم، وأنها مضافاً إلى كونها مطروحة متعارضة معارضة بالأخبار المتواترة القطعية.

هذا مختصر الكلام حول الأحاديث، وغرضنا من ذلك هنا أن اعتراض الخطيب وبعض من لا خبرة له بالمسائل الإسلامية على الشيعة مع وجود مثلها بل أصرح منها في كتب أهل السنة وصحاحهم ليس في محله، والإعتذار عن ذلك بأنها من منسوخ التلاوة ومنسوخ الحكم، أو منسوخ التلاوة فقط، عين الإعتراف بأن ما نزل قرآناً كان أكثر من هذا الموجود بين الدفتين، مع أن إثبات النسخ بخبر الواحد ممنوع، بل قطع الشافعي وأكثر أصحابه وأكثر أهل الظاهر كما حكي عنهم بامتناع نسخ القرآن بالسنة المتواترة، ولو تم لهم هذا الإعتذار فلا اختصاص لهم به لأنهم والشيعة فيه سواء:

ولكن التحقيق في الجواب إنكار أصل نزول أكثر من هذا الموجود بين الدفتين، كما حققه محققوا الشيعة، وبرهنوا عليه، لا الإعتراف بالنزول ثم التمسك بنسخ التلاوة، وعلى كل حال فهذه النقول لا تمس كرامة القرآن المجيد، ولا تقاوم الضرورة و إجماع الفريقين والأخبار المتواترة القطعية.

الشيعة تؤيد كل حكومة إسلامية

قال في ص ١٤ «والحقيقة الخطيرة التي نلفت إليها أنظار حكومتنا الإسلامية أن أصل مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية التي تسمى أيضاً بالجعفرية قائم على اعتبار جميع الحكومات من يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله إلى هذه الساعة عدا سنوات حكم علي بن أبي طالب حكومات غير شرعية، ولا يجوز الشيعي أن يدين لها بالولاء والإخلاص من صميم قلبه (الخ)» ؟

زاد في الطنبور نغمة أخرى ليزيد الفتنة تأججاً، ويثيربها أولياء الحكومات على الشيعة، فقال: إن أصل مذهب الشيعة قائم على اعتبار جميع الحكومات غير شرعية.

والجواب، هل يعتبر أهل السنة والخطيب ـ إن كان منهم ـ

هذه الحكومات التي تأسست في بلاد المسلمين كلها شرعية، وهل يعتبر الحكومات التي أسّسها المستعمرون والحكومات التي لاعناية لها بشعائر الإسلام والحكومات التي قامت بتفكيك الأمورالسياسية ونظام الحكومة عن الإسلام حكومات شرعية، تلك الحكومات التي ألغت أصول الإسلام ومناهجه السياسية والإجتماعية، والنظامية والعمرانية، ومنعت الإسلام عن التدخّل في شؤون الحكومة، وخضعت لأعداء المسلمين واعتنقت نير المذلة، حتى بدل بعضها التاريخ الهجري الإسلامي بالتاريخ الميلادي المسيحي.

هل يعتبر السني حكومة يقول زعيمها «جمال كورسل» على ما في بعض الجرائد[١]: «يجب على الإسلام والمسلمين الخروج عن استعمار اللسان العربي في صلواتهم وأذانهم ودعائهم» حكومة شرعية.

وهل يعتقد شرعية حكومة ألغت نظام الإسلام في الميراث والطلاق وغيرهما؟

أما نحن معاشر الشيعة فنؤيد كل حكومة إسلامية تخدم الإسلام وتقوم بحفظ مصالح المسلمين، وتدافع عن شرفهم وكيانهم وحقوقهم، ونرى تضعيفها والخروج عليها من الموبقات العظيمة، والشيعة تراعي مع كل حكومة مصلحة الإسلام، لم يخرج منهم من خرج في الأعصار الماضية على بعض الحكومات لكون

---

(١) جريدة «آرزو» الإيرانية العدد الخامس عشر (شهريور ماه س ١٣٤٠ الشمسية).

أوليائه من أهل السنة، ولم يتركوا نصيحة الخلفاء والأمراء سيما في ما يرجع إلى قوة الإسلام وظهور المسلمين على غيرهم.

وكان الإمام علي في خلافة أبي بكر وعمر ناصحاً لهما يشير عليهما بآرائه السديدة في معضلات الأمور، ودخل في الأعمال الحكومية آنذاك جمع من الصحابة من شيعة الإمام كسلمان وأبي ذر، والمقداد وعمار، وغيرهم، وكان علي في خلافة عثمان أيضاً من أخلص نصحائه وأحوطهم عليه، ولو قبل عثمان نصيحته لكان تاريخ الإسلام غير هذا.

نعم إن الشيعة لا يعتبرون الحكومات اليزيدية حكومات شرعية، كما لا تعتبر حكومةالطواغيت الظالمين المستحلين لآل محمد صلى الله عليه وآله ما حرم الله ورسوله ومبغضيهم وأعدائهم من أهل النفاق حكومة شرعية، لا تعتبر حكومة معاوية التي حاربت أمير المؤمنين علياً عليه السلام ـ الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله.

إن علياً مني وأنا من علي وهو ولي كل مؤمن بعدي[١].

---

(١) راجع في ذلك أسد الغابة: ج ٤، ص ٢٧ و ج ٥، ص ٩٤ ومسند أحمد: ج ٤، ص ٤٣٧ و ج ٥، ص ٣٥٦، وسنن الترمذي: ج ٢، ص ٢٩٧، ومسند الطيالسي: ج ٣، ص ١١١ و ص ٣٦٠، وحلية الأولياء: ج ٦، ص ٢٩٤، ومجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٠٩ و ١١٩ و ١٢٧ و ١٢٨، وكنز العمال: ج ٦، ص ١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٩، و ٣٩٦ و ٤٠١، وتاريخ بغداد: ج ٤، ص ٣٣٩، والخصائص للنسائي: ص ١٩ و ٢٣ والرياض النضرة: ج ٢، ص ١٧١ و ٢٠٣، والإصابة: ج ٦، ق ١، ص ٢٢٥، والمستدرك: ج ٣، ص ١١١ و ١٣٤.

وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه[١] وقال: أنت مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي[٢] وقال

---

(١) راجع سنن الترمذي: ج ٢، ص ٢٩٨، وابن ماجة: ج ١، ص ٥٨ و ٥٦ ومسند أحمد: ج ١، ص ٨٤ و ٨٨ و ١١٨ و ١١٩ و ١٥٢ و ٣٣٠ و ج ٤، ص ٢٨١ و ٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧٢ و ج ٥، ص ٣٠٧ و ٣٤٧. و ٣٥٨ و ٣٦١، و ٣٦٦ و ٤١٩، والمستدرك: ج ٢، ص ١٢٩، و ج ٣، ص ١٠٩ و ١١٠ و ١١٦، و ٣٧١ و ٥٣٣، ومجمع الزوائد: ج ٩، ص ١٠٤ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٠٩ ـ أقول: استقصاء جوامع الحديث والكتب التي جاء فيها هذا الحديث وغيره من أحاديث الولاية صعب جداً وإن شئت الزيادة فراجع كنز العمال، والرياض النضرة، والإصابة وفيض القدير، وحلية الأولياء، والمرقاة، والخصائص، والدر المنثور وتفسير الفخر، وتاريخ بغداد، والصواعق، وأسد الغابة، ومشكل الآثار وكنوز الحقايق، والجامع الصغير، وقد أفرد كل من ابن عقدة، والذهبي، وأبي سعيد السنجري، وأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري وابن الحداد الحسكاني وغيرهم لهذا الحديث كتاباً خاصاً به فراجع مقدمة الكتاب القيم الموسوم بفتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي ـ وخطبته ص ١٤ و ١٥ و ٢١ ـ من الطبعة الثانية.

(٢) يراجع صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة (ج ٧، ص ١٢٠) والبخاري كتاب بدء الخلق في باب مناقب علي: ص ١٨٥ ج ٢، وفي باب غزوة تبوك ج ٣، صـ ٥٤، وسنن ابن ماجة، صـ ١٥٥، جـ ١، ومسند أحمد: جـ ١، صـ ١٧٠ و ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٧ و ١٧٩ و ١٨٢ و ١٨٤ و ١٨٥ و ٣٣٠، و جـ ٢، صـ ٣٠٩ و جـ ٣، صـ ٣٣٨، و جـ ٦، صـ ٣٦٩ و ٤٣٨، ومسند الطيالسي جـ ١، صـ ٢٨ و ٢٩، والحلية، والخصائص، ومشكل الآثار، وتاريخ بغداد، وأسد الغابة وسنن الترمذي والمستدرك، والطبقات، ومجمع الزوائد وكنز العمال والرياض، وذخائر العقبى، وتاريخ الطبري وسيرة ابن هشام وغيرها من كتب السيرة وجوامع الحديث.

له ولفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام: أنا حرب لمن حاربتم وسلمٌ لمن سالمتم[١] ـ حكومة شرعيـة، تلك الحكومـة التـي أعلنت سب علي علـى المنابـر، ودست السم إلى الحسن عليه السلام سيد شباب أهل الجنة[٢]ولا تؤيد حكومة يزيد الفاسق المعلن بالمنكرات والكفر، وقاتل الحسين عليه السلام، والمتمثل بأشعار ابن الزبعري المعروفة فـرحاً بحـمل رأس ابن بنـت رسـول الله صلى الله عليه وآله، والذي أبـاح بأمره مسلم ابن عقبة المدينة ثلاثاً فقتل خلقاً من الصحابة ونهبت بأمره المدينة، وافتض في هذه الواقعة التي سودت صحائف التاريخ ألف عذراء حتى ولدت الأبكار لا يعرف من أولدهنَّ وهو الذي أمر بغزو الكعبة[٣].

الشيعة لا تقول بشرعية هذه الحكومة ولا بشرعية حكومة عبد الملك الغادر الناهي عن الأمر بالمعروف الذي قال السيوطي في حقه: لو لم يكن من مساويه إلا الحجاج وتوليته إياه على المسلمين وعلى الصحابة، يهينهم ويذلهم قتلاً وضرباً وشتماً وحبساً، وقد قتل من الصحابة والتابعين ما لا يخفى فضلاً عن

---

(١) سنن الترمذي: ج ٢، ص ٣١٩، وابن ماجة: ص ١٤، والمستدرك ج ٣، ص ١٤٩، وأسد الغابة: ج ٥، ص ٥٢٣ ومسند أحمد: ج ٢، ص ٤٤٢ وغيرها.

(٢) مقاتل الطالبيين:ص ٧٣ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ص ١٧،ج ٤،ط المطبعة الميمنية ـ مروج الذهب:ص ٣٠٣،ج ٢ النصائح الكافية:ص ٦٢، ٦٣.

(٣) راجع في ذلك كله تاريخ الخلفاء وتاريخ اليعقوبي، والطبري، وابن الأثير، وابن كثير ومروج الذهب وتذكرة الخواص.

غيرهم وختم في عنق أنس وغيره من الصحابة ختماً يريد بذلك ذلهم فلا رحمه اللّٰه ولا عفا عنه[١].

نحن لا نقول بشرعية حكومة الوليد بن يزيد الفاسق الشريب للخمر، والمتهتك لحرمات اللّٰه تعالى، الذي أراد الحج ليشرب الخمر فوق ظهر الكعبة فمقته الناس لفسقه، وهو الذي فتح المصحف فخرج (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) فألقاه ورماه بالسهم، وقال ما قال، وحكي عنه من قبائح الأعمال[٢] ما بقي عاره على من يعتبر تلك الحكومات حكومات شرعية إسلامية.

نحن لا نفتي بشرعية حكومة هؤلاء، ولا حكومة أكثر الخلفاء العباسيين، والجبابرة الذين خانوا الإسلام، وأظهروا الفسق، وارتكبوا الفجور، كما لم يعتبر أبو حنيفة حكومة المنصور العباسي حكومة شرعية، وأفتى بجواز الخروج عليها، وكما لم يعتبر الأمة المصرية حكومة فاروق حكومة شرعية فخلعته عن الحكم.

ولا نؤيد الشيعة حكومة تعمل لإثارة الفتن بين المسلمين، وتسعى سعيها لتجديد ذكر الأمويين، وخدمة الإستعمار، وتتبع سبيل هنري لامنس المسيحي المستشرق الخبيث عدو الإسلام والمسلمين.

وعليك أيها القاري العزيز بالتأمل في هذا الحديث، فعن جابر بن عبد اللّٰه الأنصاري أن النبي صلى اللّٰه عليه وآله قال لكعب

---

(١) تاريخ الخلفاء: ص ١٤٧.

(٢) راجع مروج الذهب: ص ١٤٩، ج ٣ ـ تاريخ الخلفاء: ص ١٦٦.

بن عجرة:

أعيذك بالله من إمارة السفهاء.

قال: وما ذاك يا رسول الله؟ قال:

أمراء سيكونون من بعدي من دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليسوا مني ولست منهم، ولم يردو عليّ الحوض. ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم، وأولئك يردون عليّ الحوض[١].

وأخرج في أسد الغابة[٢] عن أبي سلامة الأسلمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

سيكون عليكم أئمة يملكون أرزاقكم، وإنهم يحدثونكم فيكذبونكم، ويعملون فيسيئون، ولا يرضون منكم حتى تحسّنوا قبيحهم، وتصدقوا كذبهم، فأعطوهم الحق مارضوا به، فإذا تجوروا فقاتلوهم، فمن قتل على ذلك فإنه مني وأنا منه، أخرجه الثلاثة.

وفي حديث آخر وصف فيه حال الفقهاء والقراء الذين يأتون الأمراء الظالمين:

إن ناساً من أُمتي سيتفقهون في الدين، ويقرأون القرآن، ويقولون نأتي الأُمراء فنصيب من دنياهم، ونعتزل بديننا، ولا يكون ذلك، كما لا يجتنى من القتاد إلا الشوك، كذلك لا يجتنى من قربهم إلا... قال الراوي: كأنه يعني الخطايا.

---

(١) مصابيح السنة: طبع محمد علي صبيح، ج ٢، ص ٧٠.

(٢) أسد الغابة: ج ٥، ص ٢١٧.

ونعم ما وصف به فيلسوف المعرة حال الأُمة مع هولاء الأمراء قال:

قلّ المقام فكم أعاشر أُمةً أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعَدَوْا مصالحها وهم أجراؤها

والأساس المتين الذي يجب أن تقوم عليه كل حكومة إسلامية لتكون شرعية يجب على الناس تأييدها أن تكون صالحة عادلة، مصدر تحقيق رسالة الإسلام، ومظهر نظامه الإجتماعي والسياسي والإقتصادي، مجتهدة في رفع ألوِيَة العلم والدين، تضع أزمَّة الأمور في أنظف الأيدي، وتعترف للجميع حقوقهم، وتحترم الحريات التي منحها الإسلام، ويكون رجالها خداماً للإسلام، حراساً لحقوق المسلمين.

هذا وقد أيّد الشيعة الحكومة الإسلامية، ودافعوا عن حقوق كافة المسلمين، ودعاياتهم على الحكومات المستعمرة في المؤتمرات العالمية وغيرها، فالعالم الإسلامي لاينسى مساعي الشيعة في سبيل استقلال الجزاير المسلمة والباكستان وأندونيسيا وحمايتهم عن الحكومة الجمهورية العربية في واقعة قنال السويس ولم يكن فرح أبناء الشيعة بهذه الفتوح أقل من فرح إخوانهم أبناء الجماعة إن لم يكن أكثر.

معنـــى الناصـــب

نقل الخطيب في ص ١٥ «بواسطة بعض الكتب عن كتاب مسائل الرجال مكاتبة محمد بن علي بن عيسى إلى الإمام أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى الكاظم عليه السلام ثم فسر ما فيها من السؤال عن الناصب، والجواب عن ذلك واستخرج من تفسيره تحامل الشيعة على الشيخين، وأنه يكفي لأن يُعدَّ أي إنسان ناصباً وعدواً لآل البيت إذا قدمهما واعتقد إمامتهما».

إن ما افترى على الشيعة وملأ به مجموعته، إما أن لا يكون له مصدر وإما أن لا يكون له مصدر سوى كتاب مجهول، أو شخص مجهول، أو متن شاذ، أو ما لا يؤيد دعواه إلا إذا فسره بما يوافق هواه، أو ما فيه كل هذه العلل، ومن جملة ذلك هذه المكاتبة، فمصدرها كتاب مسائل الرجال كتاب مجهول لم نظفر بعد الفحص

الكثير على اسم جامعه ومؤلفه، ومحمد بن علي بن عيسى أيضاً مجهول، ولم يفسرها الخطيب بما فسره إلا ليهيج به أهل السنة على الشيعة، ويوقد نار النزاع، ويفرق بين المسلمين، ويوقظ الفتن الراقدة التي ترجع تمام فائدتها إلى أعداء الدين، فما تستفيد الأُمة من ذكر هذه الأمور التي أبلاها الدهر، وأنساها الزمان؟ وما فائدة استعراض هذه المباحث إلا التفرق المنهي عنه في الإسلام؟ وما لنا والدخول في هذه المناقشات، وماذا نخسر لو حملناها على المحامل الصحيحة، وما يحمل الخطيب أن يفسر مثل هذه المكاتبة التي عرفت علتها بهذا التفسير الشائك؟ وما فائدة الإهتمام في تكثير الفوارق بين المسلمين ولم لم يكتب بعد كاتب مصلح كتاباً في مشتركاتهم الأساسية، وما اتفق عليه كلمة الكل من العقائد الإسلامية التي هي الملاك الفذ للحكم بالإسلام؟

وما يمنع الخطيب من مراجعة كتب الشيعة المعتمدة وأحاديثهم الصحيحة، وفتاوي فقهائهم حتى يعرف أن الناصب عندهم وفي اصطلاحهم كما صرح به أكابر علمائهم من ينصب العداوة لأهل البيت، ويسبهم، ويبغضهم[١].

قال شيخ المحدثين محمد بن علي بن الحسين الملقب بالصدوق (ت ٣٨١ هـ) في «من لا يحضره الفقيه» وهو أحد الجوامع الأربعة التي يدور عليها فقه الشيعة الإمامية في جل أبوابه بل كلها.

---

(١) راجع كتاب «المعتبر» و «تذكرة الفقهاء» و «المنتهى» وغيرها.

والجهال يتوهمون أن كل مخالف ناصب وليس كذلك[١].

وبعد ذلك كله نسير في هذا البحث على نحو عام، بحيث يظهر منه أن مجرد تخريج خبر في كتاب لا يصحح الإحتجاج به حتى على مؤلفه فضلاً عن أهل مذهبه، فتخريج الأحاديث وجمعها وحفظها مطلب، وملاحظة إسنادها ومتونها ودلالة ألفاظها وعامها وخاصها ومطلقها ومقيدها، والنظر في متابعاتها أو معارضاتها، مطلب آخر.

فنقول:

أولاً: لو كان إخراج كل رواية في كتاب من كتب أهل السنة أو الشيعة حجة عليهم وإن لم تكن الرواية معتبرة عندهم حتى عند مخرجيها حسبما ذكروه في كتب الحديث والدراية والرجال لكان حجة الشيعة على أهل السنة أقوى، فيستندون بروايات عن طرقهم في الأصول والفروع وفي صفات الله تعالى مما خالف ضرورة العقل والكتاب والسنة ويحتجون على أهل السنة بعقائد بعض مشايخهم من المتصوفة وغيرهم مما لا نحب ذكره.

وثانياً: إن الشيعة لا يعملون بالأحاديث إلا بعد الفحص والتنقيب عن حال رواتها ومخرجيها، وبعد حصول الإطمينان بكون رواة الحديث في جميع الطبقات من الثقات الأثبات، أو حصول الوثوق بصدور الحديث من الأمارات المذكورة في محلها، ولو كان حديثاً معارضاً بحديث آخر يأخذون بما وافق منهما

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٨٥.

الكتاب والسنة القطعية، ولهم في ذلك أصول تكشف عن كمال تدقيقهم في تمييز الأحاديث الصحاح والحسان من الضعاف، ويعتبرون في حجية الحديث أن يكون معمولا به بين رؤساء المذهب وقدماء الشيعة المعاصرين لأئمة أهل البيت، أو من قارب عصرهم، فلو كان حديثاً متروكاً لم يعمل به الفقهاء أو لم يعمل به إلا الشاذ منهم وأعرض عن الفتوى والعمل به المشهور لا يعتمدون عليه، ولا يفتون بظاهره، فلا يحتج على طائفة هذا مسلكهم في العمل بالأحاديث والأخبار بكل حديث خرجوه في كتب الحديث فضلاً عن غيره، فلا ينبغي معاتبة الشيعة وغيرهم والحكم عليهم بمحض تخريج خبر في بعض كتبهم قبل الفحص عن حال الكتاب، وقبل النظر في سند الخبر وفي متنه، وأنه وقع مورد القبول عند علمائهم وحكموا له بالصحاح والإعتبار أم لا.

وثالثاً: الحديث الذي تحمله الراوي مشافهة قراءة أو سماعاً أقرب إلى الصحة والإعتبار عند الشيعة من الحديث الذي تحمله بالمكاتبة، لأن في كثير من الموارد بواسطة وقوع الإشتباه في تشخيص خط المروي، وعدم حصول الوثوق بذلك، ودخالة اجتهاد الراوي وحدسه في تشخيص الخط يسقط الحديث عن الإعتبار، نعم لو كانت هناك قرائن معتبرة تدل على وقوع المكاتبة وكون الكتاب بخط المروي عنه لاكلام في اعتباره.

ورابعاً: هب أن في الشيعة من يتحامل على بعض الصحابة ولا يرى بأساً بحسب اجتهاده، أيكون هذا مانعاً من التقريب

والتجاوب؟ أو يوجب خروجه عن الإيمان، أترى أن الله تعالى يقبل عذر بعض الصحابة في مشاتمات وسباب وقعت بينهم بحضرة النبي صلى الله عليه وآله أو بعد ارتحاله إلى الرفيق الأعلى، وفي محاربات وقعت بينهم، وشهادة بعصهم على بعض بالزنا وشرب الخمر، وقتل النفس والسرقة والكفر[١] ولا يقبل عذر من يتحامل على بعضهم اجتهاداً ونزولاً على حكم الأدلة الشرعية، فليس هذا معذوراً مأجوراً، أليس هذا أولى بقبول عذره من الأول؟

قال ابن حزم: من سب أحداً من الصحابة رضي الله عنهم فإن كان جاهلاً فمعذور، وإن قامت عليه الحجة فتمادى غير معاند فهو فاسق، كمن زنى وسرق، وإن عاند الله تعالى في ذلك ورسوله صلى الله عليه وآله فهو كافر، وقد قال عمر (رض) بحضرة النبي صلى الله عليه وآله عن حاطب ـ وحاطب مهاجري بدري ـ: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فما كان عمر بتكفيره حاطباً كافراً بل كان مخطئاً متأولاً[٢] وقال: من كان على غير الإسلام وقد بلغه أمر الإسلام فهو كافر، ومن تأول من أهل الإسلام فأخطأ فإن كان لم تقم عليه الحجة، ولا تبين له الحق فهو معذور مأجور أجراً واحداً لطلبه

---

(١) راجع أسباب النزول للواحدي: ـ ص ١١٨. ومسند أحمد ج ٢، ص ٤٣٦ والباب الأول من القسم الرابع من كتاب الشفاء، وراجع ترجمة قدامة بن مظعون في الإستيعاب والإصابة وطبقات ابن سعد في ترجمة أبي هريرة، وكتب التواريخ في قتل خالد مالك بن نويرة وهما صحابيان ونكاحه زوجة مالك، من ليلته.

(٢) الفصل الطبعة الأولى: ج ٣، ص ٢٥٧.

الحق وقصده إليه مغفور له خطؤه إلخ[١] وقال أيضاً: أما الشيعة فعمدة كلامهم في الإمامة والمفاضلة بين أصحاب النبي صلى اللّٰه عليه وآله، واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلف غيرهم[٢].

ولا ريب أن الشيعة لم تقل في الإمامة والمفاضلة ما قالت إلا بالحجج التي عندها من الكتاب والسنة، ولو كانوا بزعم غيرهم مخطئين متأولين فهم معذورون مأجورون على كل حال، ويأتي مزيد إيضاح لذلك إنشاء اللّٰه تعالى في بعض المباحث الآتية، واللّٰه الهادي إلى الصواب.

---

(١) الفصل: ج ٣، ص ٢٥٨.
(٢) الفصل: ج ٢، ص ٢١٣.

الدعاء الذي نقله عن مفتاح الجنان

وفي ص ١٥ نقل عن مفتاح الجنان دعاء ثم فسره بما يهين بعض الصحابة، وقال هو يعني كتاب مفتاح الجنان بمنزلة دلائل الخيرات[١] في بلاد العالم الإسلامي إلخ.

لم أجد هذا الدعاء في أصل من أصول الشيعة، ولم أسمع بواحد من مشايخي، ولا بأحد من الشيعة يقرء هذا الدعاء، ولم أعثر بعدُ عليه إلا في كتاب الخطيب، والكتاب الذي ذكره ليس من الكتب المعتمدة، وليس له هذا الشأن والإعتبار والإشتهار فقد تفحصت عنه في عدة من المكتبات فلم أجد فيها وفي فهارسها منه عيناً ولاأثراً.

---

(١) كتاب دلائل الخيرات رايج بين العامة، وفيه أشياء تخالف السنة على ما نبه عليه بعضهم في ذيل ص ١٧ من الخطوط العريضة في الطبعة السادسة، ومع ذلك لم ينكر عليه الخطيب كما أنكر على مفتاح الجنان.

نعم يوجد عند الشيعة كتاب دعاء أسماه مؤلفه المحدث الشيخ عباس القمي «مفاتيح الجنان» ليس فيه هذا الدعاء، ويوجد فيه طعن شديد على الكتاب الموسوم بمفتاح الجنان، ولعله هو الكتاب الذي ذكره الخطيب، وهذا الكتاب لو كان أصله من تأليف بعض الشيعة لا شك في وقوع التصرف والدس فيه، وذكر المحدث القمي أن فيه زيادات ليست في كتب الأدعية المعتبرة قد دسها فيه الوضاعون، والمحدث المذكور صنّف المفاتيح لتخليص المفتاح عن هذه الزوايد، وما لا مأخذ له في كتب الدعاء، وعلى كل حال فلم أر لهذا الدعاء فيما بأيدينا من كتب الشيعة رواية، والأدعية التي يداوم الشيعة على قراءتها هي الأدعية المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام.

ومن أراد أن يرى الشيعة في مرآت أدعيتهم ينبغي له الرجوع إلى الكتب التي صنفها علماؤهم الأجلاء، كالشيخ الطوسي، والسيد بن طاوس، وغيرهما في الدعاء.

وقد أفردوا في جوامعهم في الحديث أيضاً كتباً في الدعاء لا ترى لهذا الدعاء فيها اسماً ولا أثراً، وهذه الأدعية مشتملة على المطالب العالية في المعارف والأخلاق الإسلامية، والآداب الإجتماعية بأفصح الألفاظ، وأبلغ العبارات، تهذب الأخلاق وتصفي الأرواح، وتكمل النفوس وتطهرها عن الأوساخ المادية، وتزيد في الوعي الإسلامي، فاقرء الدعاء الذي علّمه الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام أبا حمزة الثمالي،

والدعاء الذي علّمه سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام كميل بن زياد، ودعاء الحسين عليه السلام في يوم عرفة، وأقرء الصحيفة السجادية وسائر الأدعية حتى تعرف مبلغ ثروة الشيعة العلمية والروحية في الدعاء، وتعرف أن الخطيب وزملاءه ممن يعيب الشيعة بدعاء صنمي قريش الذي عرفت حاله، ويتركون هذه الأدعية لا يريدون إلا إثارة الضغائن المدفونة بالإفتراء وتتبع عورات المسلمين.

افتراؤه على الشيعة بالتعصب للمجوسية

قال في ص ١٦: «وقد بلغ من حنقهم على مطفىء نار المجوسية في إيران، والسبب في دخول أسلاف أهلها في الإسلام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه سموا قاتله أبا لؤلؤة المجوسي «بأبا شجاع الدين» روى علي بن مظاهر من رجالهم، عن أحمد بن إسحق القمي الأحوص شيخ الشيعة ووافدهم أن يوم قتل عمر بن الخطاب هو يوم العيد الأكبر، ويوم المفاخرة، ويوم التبجيل، ويوم الزكاة العظمى، ويوم البركة، ويوم التسلية إلخ».

الشيعة طائفة كبيرة من المسلمين منتشرون في الممالك الإسلامية وغيرها كسوريا، ولبنان، وإمارات الخليج، والمملكة العربية، والأفغان، وهند وپاكستان، وإيران، والعراق، واليمن وتركيا، وتايلاند، وأندونيسيا، وأوقيانا، وبرما، وسائر بلاد آسيا

وأوروبا وأمريكا، وأكثر قدمائهم كانوا من عظماء المهاجرين والأنصار والتابعين، وليس جميعهم إيرانيين حتى يقال عنهم أنهم سموا أبا لولؤة «بأبا شجاع الدين» تعصباً للمجوسية، وحنقاً على الخليفة.

ومطفىء نار المجوسية في إيران هو مطفىء نار الكفر والشرك وعبادة الأوثان في البلاد العربية، وسائر الممالك الإسلامية

والسبب في دخول أسلاف أهلها في الإسلام هو السبب في دخول جميع المسلمين من الصحابة وغيرهم في الإسلام، وليس هو إلا الرسول الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله المبعوث إلى كافة الناس، والذي أرسله رحمة للعالمين، وبالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، وهو أكرم خلق الله وأعزهم وأحبهم إلى الشيعة، ومن كان في قلبه حنق عليه مثقال ذرة وأقل من ذلك فهو كافر عندهم خارج عن الإسلام.

والقسط الأكبر والسهم الأوفر في نصرة الرسول صلى الله عليه وآله لإطفاء نار الوثنية والمجوسية وسائر أنواع الكفر والشرك لأصحابه المجاهدين الأولين السابقين الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس من المهاجرين والأنصار الذين بذلوا أنفسهم دونه، وجاهدوا في سبيل الله وقاتلوا وقتلوا

كأبي دجانة الأنصاري وسيد الشهداء حمزة، وجعفر الطيار، وبطل الإسلام ومجاهده الأكبر، رجل الحق والتضحية، فارس

الغزوات وقاتل صناديد الشرك علي بن أبي طالب.

وكل باحث في التاريخ يعلم أن سبب فتوحات المسلمين بعد ارتحال النبي صلى اللّٰه عليه وآله إلى الرفيق الأعلى هو إيمان المجاهدين بحقيقة الرسالة، وخلوص عقائدهم، وصدق نياتهم وقوة عزائمهم، وثباتهم وصبرهم عند لقاء العدو، وحبهم للتضحية والشهادة، والجهاد في سبيل اللّٰه.

فهذه الفتوحات فتوحات الدين، فتوحات الإيمان والعقيدة، فتوحات التربية المحمدية، وفتوحات الأُمة الإسلامية لا تنسب إلى شخص واحد أو قوم واحد، لأنها ليست كغيرها من فتوحات الجبابرة مثل إسكندر ونابلئون التي ليس ورائها قصد إلا استعباد الناس، وبسط السلطة والملك، واغتصاب الأراضي، وليس الغلبة فيها بالسلاح وكثرة العدة والعدد، بل كان بقوة الإيمان والثقة باللّٰه، وإن النصر منه، والأرض له يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

وأما دخول أسلاف أهل إيران في الإسلام فإنه لم يكن بالإكراه والإجبار حتى يوجب الحنق على من أدخلهم فيه، بل كان عن كمال الإشتياق والإختيار.

فقد فتحت حقيقة دعوة الإسلام وخلوصها عن الشرك وسماحة شرايعه وأحكامه، وجامعية تعاليمه وأكمليته قلوب الإيرانيين إلى الإسلام، وثباتهم على العقيدة الإسلامية، وشدة تمسكهم بمباديه إلى اليوم، وخدماتهم للإسلام كما تأتي الإشارة

إليها سجلت في التاريخ الإسلامي.

والخطيب يفتري عليهم ويرميهم بالتعصب للمجوس، وينسى حنق المنافقين على علي بن أبي طالب لأنه قتل آبائهم وأبنائهم وأقاربهم في سبيل الله.

وحنق الأمويين وغيرهم من مبغضي أهل البيت على الإسلام على الإمام علي، فلم يسند ما ظهر من الفتن الدامية بين المسلمين إلى حنق هؤلاء الذين لم تذب بالإسلام عصبياتهم الجاهلية، وبقيت قلوبهم مملوءة بالحقد والحنق على النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته، وعلى المجاهدين الأبطال الذين جعل الله بسيوفهم ومجاهداتهم كلمة الإسلام هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

فراجع ما ذكره المسعودي في مروج الذهب[١] في حوادث سنة اثنتي عشرة ومأتين من سبب أمر المأمون بلعن معاوية على المنابر حتى تعرف حنق هؤلاء على الرسول صلى الله عليه وآله وعلى أهل بيته.

وعلى كل حال فالمؤمنون كلهم إخوة، لافرق بين إيرانيهم وعربيهم، وأبيضهم وأسودهم إلا بالتقوى، قال الله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقيكم﴾[٢].

وأما ما ذكره من رواية علي بن مظاهر فهي رواية ضعيفة المتن وضعيفة السند، لم نجدها في الجوامع والأصول المعتبرة عند الإمامية، كما لم نجد ترجمة علي بن مظاهر الذي عده الخطيب من

---

(١) ج ١، ص ٣٦١ و ٣٦٢. (٢) الحجرات/١٣.

رجال الشيعة لا في كتب الرجال ولا في غيرها، ولا يستغرب وجود مثل هذا النقل عن مجهول في بعض المجاميع الكبيرة المبسوطة التي اعتاد مؤلفوها بجمع الأخبار من غير أن يكترثوا لاعتبار إسنادها وتحقيق متونها، وأمثالها في كتب أهل السنة أيضاً.

فلا ينبغي مواخذة السني أو الشيعي بهذه الأخبار، بل يجب الرجوع إلى مهرة علم الحديث من علماء الفريقين العارفين.

وما ذكره من أن أبا لؤلؤة كان مجوسياً فلم يثبت، بل قيل كما حكي عن الذهبي والطبري إنه كان نصرانياً حبشياً.

وروي أنه كان مجوسياً، وهو عم أبي الزناد الذي كان عالم أهل السنة في المدينة، وإمامهم في الحساب والفرائض، والفقه والحديث والشعر، وكان عبداً للمغيرة بن شعبة، وهل كان معتنقاً للإسلام حين ما كان في المدينة المنورة أم لم يكن قد أسلم بعد؟

الظاهر أنه اعتنق الإسلام، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بإخراج الكفار من المدينة المنورة المكرمة، فلو كان كافراً لم يكن مأذوناً من الخليفة في المقام بالمدينة، والدخول في مسجد النبي صلى الله عليه وآله، والوقوف في صف المصلين[1] وعلى كل

---

(١) كان عمر لا يترك أحداً من العجم يدخل المدينة، أولا يأذن لصبي قد احتلم في دخول المدينة، فكتب إليه المغيرة وهو على الكوفة يذكر له غلاماً عنده جملة صنائع، ويستأذنه أن يدخل المدينة، ويرغبه في ذلك، ويقول: إن عنده أعمالاً كثيرة فيها منافع للناس إنه حداد، نقاش نجار، فأذن له في دخول المدينة «راجع تاريخ الخلفاء ومروج الذهب».

←

لو كان فيمن يتولى حبيبة الرسول فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ويبالغ في ولايتها من سمع بمقالة النظام[١] أو قرأ كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة[٢] وغيره فسمى بزعم الخطيب أبا لؤلؤة بأبا شجاع الدين لا يخرجه ذلك من الإيمان، ولا يجوز تفسيقه إذا كان عن اجتهاد، بل لا يجوز تكفير قاتله إن ثبت إسلامه ولم تقم قرينة على معاندته للحق، وخصومته للإسلام، بل كان ذلك منه تشفياً لغيظه وغضبه على عمر، لأنه لم يكثر خراجه، ولم ينتصف له

→

فليسمح لي القاري أن أقول إن هذه القصة ليست بسيطة فما أراد المغيرة من استيذانه الخليفة أن يدخل غلامه المدينة وترغيبه في ذلك مع علمه بأنه لا يأذن ذلك لمثله ولا يقبل النفس أن يكون ما ذكره المغيرة الداهية هو السبب لاستيذانه. فإن مثل هذا الغلام العارف بهذه الصنايع لم يكن بقليل في ذلك الزمان، أليس هذا شاهداً على أن بعث الغلام كان من أفاعيل السياسة وعلى تدخل المغيرة فيها أمر يحتاج إلى البحث والتنقيب. وذهب بعض الباحثين إلى أن وراء قتل عمر بن الخطاب وغيره من الخلفاء كانت مؤامرات يهودية، وأن لكعب الأحبار الذي كان من أشد المنحرفين عن أهل البيت وكان من أصدقاء معاوية ومقوية سلطانه يدا في تدبير المؤامرة على قتل عمر، وليس ذلك بعيداً فإنهم لا يزالون وراء أكثر الفتن التي أصابت المسلمين إلى عصرنا هذا قاتلهم الله أنى يؤفكون.

(١) نقل الشهرستاني في الجزء الأول من «الملل والنحل» المطبوع بهامش الفصل ص ٧٣ ـ إنه قال: إن عمر ضرب بطن فاطمة عليها السلام يوم البيعة حتى ألقت المحسن من بطنها، وكان يصيح إحرقوها بمن فيها، وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين. (انتهى كلامه).

(٢) ص ١١،١٤ ج ١، الطبعة الأولى.

بزعمه من المغيرة.

فالمسلمون لم يكفروا من نقم على عثمان من الصحابة وغيرهم ولم يكفروا قتلته، وفي أهل السنة من لا يكفر عمران بن حطان الناصبي الذي مدح أشقى الآخرين، وشقيق عاقر ناقة صالح عبد الرحمن بن ملجم المرادي بأبياته المشهورة الخبيثة، بل أخذوا عنه الحديث، بل اجترأ بعضهم وعدَّ ابن ملجم من الصحابة مع قولهم بأن الصحابة كلهم عدول(١).

---

(١) إذا كان الصحابة كلهم عدولاً فما معنى الحديث الذي أخرجه البخاري: ج ٣، ص ١٣٦ المطبوع في المطبعة الميمنية: سنة ١٣٢٠، وهو الحديث الثاني من كتاب الفتن بإسناده عن النبي (ص): أنا فرطكم على الحوض ليرفعن إلي رجال منكم حتى إذا هويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول: أي رب أصحابي فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك. وفي صحيح مسلم: ج ٨، ص ١٥٧، ط المطبعة العامرة ص ١٣٣٣ بإسناده عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله خطيباً بموعظة... (إلى أن قال) ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يارب أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كلشيء شهيد. إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، قال: فيقال لي: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، وفي حديث معاذ: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. وإن شئت زيادة على ذلك فراجع أيضاً صحيح مسلم «باب إثبات الحوض: ج ٧، ص ٦٥ إلى ٧١» حتى تعرف كثرة هذه الأحاديث الصحيحة التي رواها خلق من الصحابة، منها ما أخرجه بإسناده عن أنس إنه (ص) قال: ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رأيتهم ورفعوا إلي اختلجوا دوني فلأقولن: أي رب أصيحابي أصيحابي. فيقالن لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك

←

فمن لم يكفر أمثال عمران بن حطان، وحريز بن عثمان الرحبي الذي قال عنه يحيى بن صالح: صليت معه سبع سنين فكان لا يخرج من المسجد حتى يلعن علياً عليه الصلاة والسلام سبعين مرة[١] وغيرهما من مبغضي علي بن أبي طالب[٢]، ويأخذ منهم، ومن شمر بن ذي الجوشن وعمر بن سعد الحديث، ويذكر ابن ملجم في عداد الصحابة، كيف يعاتب الشيعة بزعم أن فيهم من يمدح أبا لؤلؤة، ويسميه بأبا شجاع الدين، ويعد ذلك مانعاً من التقريب واتحاد كلمة المسلمين.

فأم المؤمنين عايشة سجدت لقتل الإمام علي شكراً، وقالت ما قالت حتى عابها الناس[٣]

فاذا كان الصحابة كلهم عدولاً لايوجد مصداق لهذه الأحاديث والآيات النازلة في المنافقين.

(١) تهذيب التهذيب: ج ٣، ص ١٤٠.

(٢) أخرج في أسد الغابة: ج ٥، ص ١٠١ بإسناده عن يحيى بن عبد الرحمن الأنصاري قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: من أحب علياً محياه ومماته كتب الله تعالى له الأمن والإيمان ما طلعت الشمس وما غربت، ومن أبغض علياً محياه ومماته فميتته جاهلية وحوسب بما أحدث في الإسلام أخرجه أبوموسى.

أقول: الأخبار بهذا المضمون ونحوه كثيرة متواترة.

(٣) هذا الطبري وابن الأثير وغيرهما من المورخين ذكروا: لما انتهى الى عايشة قتل علي (رض) قالت:

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كمـا قـر عـينـاً بـالإياب المسافر

فمن قتله؟ فقيل رجل من مراد فقالت:

وهذا معاوية أظهر السرور بقتل أمير المؤمنين والحسن عليهما السلام، وسبه وأمر بسبه على رؤوس المنابر، ألم يظهر العثمانيون والمروانيون السرور بقتل الحسين عليه السلام، واتخذوا يوم عاشوراء عيداً، ووضعوا في فضيلته الأحاديث؟

فإذا كان إظهار الفرح بقتل عمر بن الخطاب سبباً للفسق أو الكفر أو العتاب فِلمَ لا تعاتبون ولا تكفرون هؤلاء الذين أظهروا سرورهم بقتل أهل بيت النبي والوصي عليهم السلام واتخذوا يوم قتلهم عيداً.

كانت مآتم بالعراق تعدها ... أموية بالشام من أعيادها

فإذاً ما ذكره الخطيب لا يمنع من التقريب والتجاوب، والتفاهم واتحاد الكلمة، بعد الإتفاق على الأُسس التي قام عليها الإسلام، وعلى المسلمين أن لا يتركوا الإعتصام بحبل الله لهذه الآراء التي أحدثتها سياسة الأُمراء الجبارين، وأن يتمسكوا بالدعوة المحمدية، وهدى القرآن والسنة، ويأخذوا بقوله تعالى: ﴿**تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون**﴾[1].

وأن لايجددوا هذه المناقشات، ولا يخوضوا في هذه المباحث، فإنه ليس عليهم حساب الأموات، ولا ينبغي أن يكون

→

فإن يك نائياً فلقد نعاه ... غلام ليس في فيه التراب

فقالت زينب بنت أبي سلمة؟ ألعلي تقولين هذا؟ فقالت: إني أنسى فإذا نسيت فذكروني.

(١) البقرة: ١٣٤

لهم غرض إلا نشد ان الحقيقة، فإن الله عليم بما في صدور العالمين.

خدمات الفرس للإسلام والمسلمين

يجب على كل مسلم في شرق الأرض وغربها أن يقدر خدمات الفرس للإسلام وعلومه، وأن يفتخر بهم وبمساعيهم الجميلة في سبيل إعلاء كلمة الإسلام ومعارفه وآدابه، قوم مدحهم الله في كتابه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾[١].

أخرج البغوي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله تلا هذه الآية: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ قالوا: يارسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا؟ فضرب على فخذ سلمان الفارسي ثم قال: «هذا وقومه، ولو كان الدين عند الثريا لتناله رجال من الفرس»[٢].

وأخرج أيضاً عن أبي هريرة قال: ذكرت الأعاجم عند رسول

---

(١) محمد / ٣٨

(٢) مصابيح السنة: ج٢، ص٢٨٩.

الله صلى الله عليه وآله فقال:النبي صلىالله عليه [وآله] وسلم: «لأنا بهم أوببعضهم أوثقمني بكمأو ببعضكم»[١].

وأخرج أيضاً عن أبي هريرة قال: كنا جلوساً عند النبي صلى اللّٰه عليه وآله إذ نزلتسورة الجمعة فلما نزلت هذه: ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ قالوا: من هؤلاء يارسول اللّٰه؟ قال وفينا سلمان الفارسي، ثم قال: فوضع النبي صلى اللّٰه عليه وآله يده على سلمان ثم قال: لو كان الإيمان بالثريا لناله رجال من هؤلاء[٢].

وخرج ابن الأثير عنقيس بن سعد: لو كان العلم متعلقاً بالثريا لناله ناس من فارس.

وأخرج السيوطي في «مفحمات الأقران في تفسير مبهمات القرآن»[٣] «سورة الجمعة»: ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ أخرج البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً إنهم قوم سلمان.

وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: هم الأعاجم.

وأخرج البخاري[٤] بسنده عن أبي هريرة قال: كنا جلوساً عند النبي صلى اللّٰه عليه وآله فأنزلت عليه سورة الجمعة: ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ قال: قلت من هم يا رسول اللّٰه؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثاً، وفينا سلمان الفارسي، وضع رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله يده على سلمان، ثم قال: لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال

---

(١) مصابيح السنة: ج٢، ص٣٠٠. (٢) أسدالغابه: ج٤، ص٢١٦.

(٣) ص ٤٦.

(٤) صحيح البخاري: كتاب «تفسير القران».

أو رجل من هؤلاء.

وأخرج مسلم نحوه في كتاب الفضائل باب فضل سلمان.

وأخرج الحافظ أبو نعيم [١] بإسناده أحاديث رويت عن النبي صلى الله عليه وآله في فضل الإيرانيين وأنهم المبشرون بمنال الإيمان والتحقق به وإن كان عندالثريا، ولفظ بعضها: لوكان الدين عندالثريا لذهب‌رجل أو قال: رجال من أبناء فارس حق يتناولوه. وفي بعضها إنه قال صلى الله عليه وآله:

«أعظم الناس نصيباً في الإسلام أهل فارس، لو كان الإسلام في الثريا لتناوله رجال من أهل فارس»،وفي بعضها:

«لو كان الدين معلقاً»، وفي بعضها: «لو كان هذا العلم بالثريا لناله قوم من أهل فارس».

وفي بعضها: لو كان الخير منوطاً بالثريا لتناوله منكم رجال (إلخ).

قوم نشأ فيهم من رجالات العلم والفقه والحديث والتاريخ: والفلاسفة والمتكلمين، وأساتذة البلاغة والأدب من يفتخر بهم الملأ الإسلامي، كالبخاري والنسائي، وأبي داود السجستاني، والترمذي وابن ماجة ومسلم من أرباب السنن، والطبري وابن ماكولا الجرفاذقاني «الگپايگاني» والحاكم والنيسابوري، والفخر الرازي والبيضاوي والفيروز آبادي وغيرهم من أعلام السنيين.

وكالصدوق والكليني والشيخ الطوسي، وأمين الإسلام

---

(١) اخبار إصبهان: ج ١، ص ١٢ إلى ١٤، ط ليدن ١٩٣١.

الطبرسي والطبري الشيعي، وابن شهر آشوب، والأردبيلي، والسيد عليخان الشيرازي وقطب الدين الرازي، والشيخ الرضي مؤلف كتاب شرح الرضي، والعلامة المجلسي، والفيلسوف أبي نصر الفارابي، وأبي علي سينا البلخي، والخواجه نصير الدين الطوسي وابن مسكويه، والحكيم الإلهي السيد الداماد، وصدر المتألهين الشيرازي والفاضل الآوي، وسالار الديلمي، والشيخ بهاء الدين محمد العاملي، والوحيد البهبهاني، والفاضل النراقي، والشيخ الأنصاري والميرزا الشيرازي، وفي هذا العصر ترجمان العلوم الإسلامية أستاذنا السيد الزعيم آغا حسين الطباطبائي البروجردي المتوفى س ١٣٨٠[١] وغيرهم من أعلام الشيعة.

فحق للإيراني بل لكل مسلم أن يفتخر بألوف من أمثال هؤلاء الجهابذة، والنوابغ الذين لا ينسى التاريخ مساعيهم المشكورة في خدمة الإسلام، وجهودهم في الإحتفاظ بشعائر الدين الحنيف، وهذه كتبهم ومدارسهم ومساجدهم تنبي عن قدمهم الراسخة في الغيرة على الإسلام وكتابه وأمته، وعن خلوص نياتهم في سبيل إعلاء كلمة التوحيد وإن نسب إليهم الخطيب التعصب للمجوس فالله تعالى يقول:

---

(١) وقد كان أكبر همه إعلاء كلمة الإسلام، وبسط تعاليمه في العالم، وكان من الزعماء المصلحين الداعين إلى الإتحاد والإتفاق، والأخوة الإسلامية والإعتصام بحبل الله تعالى، وله في التقريب خطوات واسعة، وجهود مشكورة لا تنسى فرحمه الله تعالى وأرضاه.

﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾[1]

ويقول عز شأنه:

﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين﴾[2].

---

(١) محمد / ٣٨ (٢) الشعراء / ١٩٨.

الإيمان بظهور المهدي عليه‌السلام
فكرة إسلامية

مما اتفق عليه المسلمون خلفاً عن سلف، وتواترت فيه الأخبار عن النبي صلى اللّٰه عليه وآله: أنه لابد من إمام يخرج في آخر الزمان من نسل علي وفاطمة يسمى باسم الرسول ويلقب بالمهدي، ويستولي على الأرض ويملك الشرق والغرب، ويتبعه المسلمون ويهزم جنود الكفر، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، وينزل عيسى من السماء ويصلي خلفه...

وأخرج جمع من أعلام أهل السنة والجماعة روايات كثيرة في أنه من عترة رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله ومن ولد فاطمة، ومن ولد الحسين، وإنه يملأ الأرض عدلاً، وإن له غيبتين احديهما تطول، وإنه الخليفة الثاني عشر من الخلفاء الذين أخبر النبي صلى اللّٰه عليه وآله بأنهم يملكون أمر هذه الأُمة، وإنه لا يزال هذا الدين منيعاً إلى اثنى عشر، وفي شمائله وخلقه وخلقه، وسيرته بين الناس، وشدته على العمال، وجوده بالمال ورحمته بالمساكين،

وفي اسم صاحب رايته وما كتب فيها، وكيفية المبايعة معه بين الركن والمقام، وما يقع قبل ظهوره من الفتن وذهاب ثلثي الناس بالقتل والموت، وخروج السفياني واليماني والدجال، ووقوع الخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكية، وفي علائم ظهوره وأنه ينادي ملك فوق رأسه: «هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه» وإن شيعته يسيرون إليه من أطراف الأرض، وتطوى لهم طياً حتى يبايعوه، وإنه يستولي على البلدان، وإن الأُمة ينعمون في زمنه نعمة لم ينعموا مثلها. وغيرها من العلائم والأوصاف التي اقتطفناها من روايات أهل السنة، فراجع كتبهم المفردة في ذلك كأربعين الحافظ أبي نعيمالإصبهاني، «والبيان في أخبار صاحبالزمان» لأبي عبدالله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي (ت ٦٥٨ هـ) «والبرهان في علامات مهدي آخر الزمان» للعلامة المتقي صاحب منتخب كنزالعمال (ت ٩٧٥ هـ) و«العرفالوردي في أخبار المهدي» للسيوطي (ت ٩١١ هـ) و«القول المختصر في علامات المهدي المنتظر» لابن حجر (ت ٩٧٤ هـ) و«عقد الدرر في أخبار المنتظر» للشيخ جمال الدين يوسف الدمشقي من أعلام القرن السابع، و«التوضيح في تواتر ماجاء في المهدي المنتظر، والدجال والمسيح» للشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ).

أضف إلى ذلك روايات أخرجها أكابر المحدثين منهم في كتبهم وصحاحهم ومسانيدهم كأحمد، وأبي داود، وابن ماجة والترمذي، ومسلم والبخاري، والنسائي والبيهقي، والماوردي

والطبراني، والسمعاني، والروياني، والعبدري وابن عساكر، والدار قطني وأبي عمرو الداني، وابن حبان والبغوي، وابن الأثير وابن الديبع، والحاكم النيسابوري والسهيلي، وابن عبد البر والشبلنجي، والصبان والشيخ منصور علي ناصف، وغيرهم ممن يطول الكلام بذكر أسمائهم.

وأضف إليها تصريحات جماعة من علمائهم بتواتر الأحاديث الواردة في المهدي عليه السلام[١].

فلا خلاف بين المسلمين في ظهور المهدي الذي يملأ الأرض عدلاً وإنما الخلاف وقع بينهم في أنه ولد أو سيولد.

فالشيعة الإمامية يقولون بولادته، وبوجوده وحياته وغيبته وإنه سيظهر بإذن الله تعالى، وإنه الإمام الثاني عشر، وهو ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

ورواياتهم في ذلك تجاوزت حد التواتر معتبرة في غاية

---

(١) راجع في ذلك غاية المأمول: ج ٥، ص ٣٦٢ و ٣٨١ و ٣٨٢ - والصواعق: ص ٩٩، ط المطبعة الميمنية بمصر، وحاشية الترمذي: ص ٤٦، ط دهلي: ص ١٣٤٢، وإسعاف الراغبين: ب٢، ص ١٤٠، ط مصر، س ١٣١٢، ونور الأبصار: ص ١٥٥، ط مصر، ١٣١٢ والفتوحات الإسلامية: ج ٢، ص ٢٠٠، ط ١٣٢٣، وسبائك الذهب: ص ٧٨، والبرهان في علامات مهدي آخر الزمان: ب١٣، ومقاليد الكنوز، المطبوع بذيل مسند أحمد، ج ٥، ح٣٥٧١، والإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، والإشاعة لأشراط الساعة، وإبراز الوهم المكنون وغيرهما.

الإعتبار، مؤيدة بعضها ببعض، وكثير منها من الصحاح بل مقطوع الصدور، رواها في جميع الطبقات الأثبات الثقات، من الأجلاء الذين لا طريق للغمز فيهم.

وإن شئت أن تعرف مقدار ذلك فارجع إلى ما ألّفه الحافظ الجليل الثقة أبو عبدالله النعماني بإسناده العالية وما ألّفه الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي الإمام في جميع العلوم الإسلامية، وكتاب «كمال الدين وتمام النعمة» تأليف الشيخ المحدث الكبير محمد بن علي ابن الحسين الصدوق (ت ٣٨١ هـ) وكتابنا «منتخب الأثر»، ومئات من الكتب المصنفة في ذلك.

وهذه الروايات مخرجة في أصول الشيعة وكتبهم المؤلفة قبل ولادة الإمام الحجة بن الحسن العسكري عليهما السلام، بل قبل ولادة أبيه وجده.

منها كتاب «المشيخة» لإمام أهل الحديث الشيخ الثقة الثبت الحسن ابن محبوب السراد الذي كتابه هذا في كتب الشيعة أشهر من كتاب المزني ونظرائه، وصنفه قبل ولادة المهدي بأكثر من مأة سنة، وذكر فيه أخبار الغيبة فوافق الخبر المخبر، وحصل كلما تضمنه الخبر بلا اختلاف.

وأما ولادته عليه السلام «فقد ثبتت بأوكد ما يثبت به أنساب الجمهور من الناس إذ كان النسب يثبت بقول القابلة ومثلها من النساء اللاتي جرت عادتهن بحضور ولادة النساء وتولي معونتهن عليه، وباعتراف صاحب الفراش وحده بذلك دون من سواه،

وبشهادة رجلين من المسلمين على إقرار الأب بنسب الإبن منه.

وقد ثبتت أخبار عن جماعة من أهل الديانة والفضل، والورع والزهد، والعبادة والفقه، عن الحسن بن علي أنه اعترف بولادة المهدي عليه السلام، وآذنهم بوجوده، ونص لهم على إمامته من بعده، وبمشاهدة بعضهم له طفلاً، وبعضهم له يافعاً، وشاباً كاملاً»[1].

وهذا الفضل بن شاذان العالم المحدث المتوفى قبل وفاة الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام، روى عنه في كتابه في الغيبة خبر ولادة ابنه المهدي، وكيفيتها وتاريخها، وكانت ولادته عليه السلام بين الشيعة وخواص أبيه من الأمور المعلومة المعروفة، وقد أمر أبوه عليه السلام أن يعق عنه ثلاث مأة شاة، وعرضه على أصحابه يوم الثالث من ولادته، والأخبار الصحيحة الواردة بإسناد عالية في ذلك كثيرة متواترة جداً.

وقد أحصى بعض العلماء أسماء جماعة ممن فازوا بلقائه في حياة أبيه وبعدها كما قد نقل عن بعض أهل السنة الإجتماع به عليه السلام، بل أخرج بعض حفاظهم مثل حافظ زمانه أحمد بن محمد بن هاشم البلاذري الحديث عنه عليه السلام.

نعم كان أبوه وشيعته يسترون ولادته عن أعدائه من بني العباس وغيرهم، وكان السر في ذلك إن بني العباس لما علموا من الأخبار المروية عن النبي والأئمة من أهل البيت عليهم السلام

---

(١) الفصول العشرة في الغيبة للمفيد.

أن المهدي هو الثاني عشر من الأئمة، وهو الذي يملأ الأرض عدلاً، ويفتح حصون الضلالة، ويزيل دولة الجبابرة، أرادوا إطفاء نوره بقتله، فلذا عينوا العيون والجواسيس للتفتيش عن بيت أبيه، ولكن أبى الله إلا أن يجري في حجته المهدي سنة نبيه موسى عليهما السلام، وقد ورد في الروايات الكثيرة عن آبائه عليهم السلام خفاء ولادته، ومشابهته في ذلك بموسى عليه السلام، فراجع الباب الثاني والثلاثين من الفصل الثاني من كتابنا «منتخب الأثر».

فعلى هذا لم ينبعث الإيمان بظهور المهدي عليه السلام إلا من الإيمان بنبوة جده محمد صلى الله عليه وآله، وليس في الخصوصيات المذكورة أمر غير مألوف مما لم نجد مثله في هذه الأمة أو الأمم السالفة، فلا بد لمن يؤمن بالله وبالنبي الصادق المصدق بعد العلم بهذه الأخبار الكثيرة الإيمان بظهور المهدي المنتظر صاحب هذا النسب المعلوم، والسمات والنعوت المشهورة، ولا يجوز مؤاخذة الشيعي بانتظار هذا الظهور، ولا يصح دفع ذلك بمحض الإستبعاد.

فالمسلم الذي يؤمن بحياة عيسى، بل وحياة الدجال الكافر، وخروجه في آخر الزمان، وبحياةالخضر وإدريس، ويروي عن نبيه في أصح كتبه في الحديث[1] إنه احتمل كون ابن صياد هو الدجال،

---

(١) يراجع صحيح مسلم القسم الثاني من الجزء الثاني باب ذكر ابن صياد وباب خروج الدجال، وسنن الترمذي: ج ٢ وأبي داود باب خبر ابن صايد ←

ويروي عن تميم الداري ما هو صريح في أن الدجال كان حياً في عصر النبي صلى الله عليه وآله وأنه يخرج في آخر الزمان، ويؤمن بطول عمر نوح ويقرء في القرآن: ﴿فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً﴾[1] وقوله تعالى: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾[2] وأمثال هذه الأمور مما يستغرب به بعض الأذهان لقلة الأنس به كيف يعيب الشيعة على قولهم ببقاء الإمام المنتظر، وينسبهم إلى الجهل وعدم العقل، ومفاسد هذه الإستبعادات في المسائل الدينية كثيرة، ولو فتح هذا الباب لأمكن إنكار كثير من المسائل الإعتقادية وغيرها مما دل عليه صحيح النقل بالإستبعاد، ويلزم من ذلك طرح ظواهر الأخبار والآيات بل وصريحها، ولا أظن بمسلم أن يرضى بذلك وإن كان الخطيب ربما لا يأبى عن ذلك ويراه نوعاً من الثقافة.

ووافق الإمامية من أعلام أهل السنة في أن المهدي هو ابن الحسن العسكري عليهما السلام جمع كثير كصاحب روضة الأحباب، وابن الصباغ مؤلف «الفصول المهمة» وسبط ابن الجوزي مؤلف «تذكرة الخواص» والشيخ نور الدين عبدالرحمن الجامي الحنفي في كتاب «شواهد النبوة» والحافظ محمد بن يوسف

→

من كتاب الملاحم، وابن ماجة ج ٢ أبواب الفتن باب فتنة الدجال، وخروج عيسى.

(١) العنكبوت / ١٤

(٢) الصافات / ١٤٤

الكنجي الشافعي مولف «البيان في أخبار صاحب الزمان» والحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الفقيه في «شعب الإيمان» فإنه يظهر منه على ما حكي عنه الميل إلى موافقة الشيعة بل اختيار قولهم، وذلك لأنه نقل عقيدة الشيعة ولم ينكرها، وكمال الدين محمد بن طلحة الشافعي صاحب «العقد الفريد» صرح بذلك في كتابه «الدر المنتظم» و «مطالب السؤول» وله في مدحه عليه السلام أبيات، والقاضي فضل بن روز بهان شارح الشمائل للترمذي، ومؤلف «أبطال نهج الباطل» وابن الخشاب والشيخ محيي الدين. والشعراني والخواجه محمد پارسا، وملك العلماء القاضي شهاب الدين دولت آبادي في «هداية السعداء» والشيخ سليمان المعروف بخواجه كلان البلخي القندوزي في «ينابيع المودة» والشيخ عامر بن عامر البصري صاحب القصيدة التائية المسماة بذات الأنوار وغيرهم من العلماء ممن يطول بذكرهم الكلام.

وقد صرح بولادته جماعة من علماء أهل السنة الأساتذة في النسب والتاريخ والحديث كابن خلكان في «الوفيات» وابن الأزرق في «تاريخ ميافارقين» على ما حكى عنه ابن خلكان، وابن طولون في «الشذرات الذهبية» وابن الوردي على ما نقل عنه في «نور الأبصار» والسويدي مؤلف «سبائك الذهب» وابن الأثير في «الكامل» وأبي الفدا في «المختصر» وحمدالله المستوفي في «تاريخ گزيده» والشبراوي الشافعي شيخ الأزهر في عصره في «الإتحاف»

والشبلنجي في «نور الأبصار» بل يظهر منه اعتقاده بإمامته، وأنه المهدي المبشر بظهوره، وإن شئت أن تقف على أكثر من ذلك فراجع كتابنا «منتخب الأثر» الباب الأول من الفصل الثالث منه.

ومع هذا أليس من عجيب جرءة الخطيب وعناده وتحامله على الشيعة إنكاره في ص ١٦ و ٢٩ ولادة المهدي عليه السلام لأنها لم تسجل بزعمه في سجل مواليد العلويين، وقد خرج هنا عن حدود الأدب وبالغ في الفحش والإفتراء، وأظهر سجيته ـ وكل إناء بالذي فيه ينضح ـ ولم يستند فيما ذكره من الأراجيف والأضاليل إلى البرهان، وادعى أن ولادته لم تسجل في مواليد العلويين، كأنهم جعلوا سجل مواليدهم عنده، وكان هو النقيب القائم على سجل ولاداتهم، وعلم أنساب أهل البيت مذخور عنده دون غيره من العلويين وشيعتهم ـ ودون أرباب التواريخ وعلماء الأنساب فمن لم يعرفه الخطيب ليس منهم؟

أيها الخطيب!

ما هذا السجل الذي سجل فيه ولادة العلويين في عصر الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام، ومن أين يطلب؟ ومن أخبرك به؟ ومن اطلعك على مواليد جميع العلويين؟ ومن كان النقيب في تلك الأعصار؟ ومن أين تقول إن العلويين لا يعرفون ولداً للحسن العسكري عليه السلام، مع أن كثيراً منه من أخلص الناس ولاء له؟ وهل يوجد طريق لإثبات ولادة المولود أوثق من أخبار والده وقابلته، وخواص أهل بيته؟

أيشك عاقل في ولادة من رآه مئات من الناس. والأخبار الأثبات، وظهرت منه الكرامات الكثيرة؟

إذا كان هذا ومثله معرضاً للشك فلا يبقى اعتماد على ما نقله التاريخ من حوادث الأعصار ووقايع الأمصار.

نعم قد خفيت ولادته عن أعدائهم لأنهم كانوا ساعين في إطفاء نوره والإستيلاء عليه، لما وصل إليهم من الأخبار المبشرة بظهوره وأنه هو الشخص الذي يزيل دولة الجبابرة، فهذا المعتضد الخليفة العباسي يرسل الجواسيس إلى بيت الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام لأخذ ابنه[1].

ومن الأغلاط الفاحشة التي أسندها هذا الرجل (تبعاً لأسلافه) إلى الشيعة مو أن الإمام المنتظر مخبوء في سرداب بيت أبيه، وأسند اختراع هذه الفكرة إلى محمد بن الحسن النميري المعروف بين الشيعة بالكفر والزندقة والإلحاد، والملعون في لسان

---

(١) ذكرنا في منتخب الأثر أسماء جماعة ممن شاهدوه في حياة أبيه، وأما أسماء الذين شاهدوه من ابتداء زمان غيبته إلى هذا الزمان فليس في وسع الكاتب إحصاؤها وضبطها.

وقد صنف في أسمائهم وحكاياتهم كتباً مفردة ككتاب «تذكرة الطالب فيمن رأى الإمام الغائب» و «تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهدي عليه السلام» و «دار السلام فيمن فاز برؤية الإمام» و «بدايع الكلام فيمن فاز بلقاء الإمام» و «بهجة الأولياء فيمن فاز بلقاء الحجة عليه السلام»، وكذا ذكرنا فيه أخبار ولادته وعلة غيبته، وشباهته في ولادته بموسى على نبينا وآله وعليه السلام، فعليك بالرجوع إليه فإنا قد استقصينا الكلام حول نواحي وجوده وشخصيته الكريمة.

الإمام أبي الحسن علي الهادي عليه السلام، وأعجب من ذلك عده النواب ووكلاء الإمام باباً للسرداب إلى آخر ما قال من الهذيان والإفتراء.

أقول: هذه كتب الشيعة المؤلفة قبل ولادة المهدي وولادة أبيه وجده عليه السلام إلى هذا الزمان ليس فيها لهذا البهتان أثر في كتاب واحد من أصاغر علماء الشيعة فضلاً عن أكابرهم كالكليني والصدوق والنعماني، والمفيد والشيخ، والسيدين المرتضى والرضي وغيرهم، فراجع كتب الشيعة حتى تقف على مبلغ عصبية الخطيب ونظرائه وعنادهم، وتعرف ميزان ثقافتهم وعلمهم بآراء الفرق والمذاهب.

نعم لو قرء هو وأسلافه كتب الشيعة لوجدوها مشحونة من أحاديث تكذب هذه النسبة، ولكنهم لم يعتادوا الفحص والتتبع والتحقيق سيما في الفرق والمذاهب فيقولون فيهم ما يشاؤون، ويتبعون مالا يعلمون ومالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون.

الشيعة والعقيدة بالرجعة

وقع البحث بين الشيعة وغيرهم في مسألة الرجعة منذ عهد قديم، مما يرجع تاريخه إلى المأة الأولى من الهجرة، ولهم فيها مقالات وبحوث واحتجاجات، يجدها المتتبع في كتب الفريقين، وكان القول بالرجعة رأي العترة الطاهرة، و كان البحث فيها رايجاً بينهم وبين غيرهم، ومستندهم في ذلك آيات من القرآن المجيد، وروايات رووها بإسنادهم الذهبية عن جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله.

فالحقيقة التي لا يمكن إنكارها لدى الباحثين في المسائل الإسلامية أن المصدر في العقيدة بالرجعة أئمة أهل البيت الذين ثبت وجوب التمسك بهم بحديث الثقلين وغيره.

فالشيعة تقول بالرجعة على نحو الإجمال لاستلزام إنكارها رد القرآن والروايات المتواترة المخرجة في كتبهم المعتبرة، ولعدم مانع عقلي أو شرعي من القول بها.

واستشهدوا لأصل إمكان الرجعة ووقوعها وعدم استحالتها بوقوعها في الأُمم السالفة، وقد أخبر اللّٰه تعالى عنه في آيات منها قوله تعالى:

﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم اللّٰه موتوا ثم أحياهم﴾(١) وقوله تعالى:

﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه اللّٰه بعد موتها فأماته اللّٰه مأة عام ثم بعثه﴾(٢).

ويمكن الإستشهاد له أيضاً بقوله تعالى:

﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾(٣).

واستدلوا بأنها سيقع في هذه الأُمة لامحالة بقوله تعالى:

﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون﴾(٤)

فإن هذا اليوم ليس يوم القيامة لأن فيها يحشر اللّٰه تعالى جميع الناس، لقوله تعالى: **﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا﴾**(٥)

فأخبر اللّٰه تعالى في الآيتين بأن الحشر حشران: حشر عام، وحشر خاص، فاليوم الذي يحشر فيه من كل أُمة فوجاً لابد أن يكون غير يوم القيامة وهو يوم الرجعة، واعتمدوا أيضاً فيها على روايات كثيرة، منها الخبر المعروف بين الفريقين: لتتبعن سنن من

---

(١) البقرة / ٢٤٢
(٢) البقرة / ٢٥٩
(٣) الأنبياء / ٨٤
(٤) النمل / ٨٣
(٥) الكهف / ٤٧

قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحرضب تبعتموهم[١].

فيجب أن يكون من هذه الأُمة قوم يرجعون إلى الدنيا بعد موتهم كما وقع ذلك في الملأ الذين خرجوا من ديارهم وفي غيرهم.

فلا وجه لأن يستبعد الرجعة من يؤمن بالله تعالى وبقدرته، بعد دلالة العقل والنقل على إمكانها، وبعد وقوعها في الأُمم السابقة وإخبار النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته بوقوعها في هذه الأُمة، ولا قيمة للإستبعاد في إنكارها، وإلالجاز أن يرد به كثير من معجزات الأنبياء، وإحياء الموتى يوم القيامة، وعذاب القبر، وغيرها من المطالب الثابتة بالنقل.

وأما ما ذكر الخطيب في ص ١٦ و ١٧ وغيرهما حول تفاصيل الرجعة وكيفيتها فليس أكثره مما دلت عليه آية، أو وردت فيه رواية معتمدة صحيحة، بل لا يلزم الإعتقاد ببعض هذه التفاصيل، وإن وردت فيه رواية، لعدم حجية أخبار الآحاد في المسائل الإعتقادية.

هذا مضافاً إلى ضعف كثير من هذه الأخبار الدالة على التفاصيل إما من جهة الدلالـة أو من جهة السنـد، ومع هـذا كيف أسنـد هذا المفتري على الشيعة ما ذكره في ص ٢٠ من الإعتقاد برجعة الشيخين وصلبهما على شجرة في زمان المهدي عليه السلام.

وأعجب من ذلك إسناده هذه العقيدة إلى السيد الشريف

---

(١) مصابيح السنة: ج ٢، ص ١٨٢.

المرتضى الذي اشتهر عنه عدم جواز الإحتجاج بأخبار الآحاد في الفروع الفقهية، فضلاً عن مثل هذه المسألة، وهذا كتاب مسائل الناصرية موجود عندنا، لم نجد فيه بحثاً عن الرجعة.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن القول بالرجعة ليس مورد اتفاق جميع الشيعة[1] وليس التشيع منوطاً به، ولا من لم يتحصله خارجاً عنه، ولم يؤمن بها من آمن بها إلا تسليماً بما أخبربه النبي صلى اللّٰه عليه وآله، وتصديقاً لما أنبأ عن المغيبات، ولكن القوم ينكرون ذلك على الشيعة ويؤاخذونهم به كأنهم عبدوا حجراً أو صنماً.

فعلى ما ذكر ليس في العقيدة بالرجعة سيما على وجه الإجمال ما يمنع من التفاهم والتقريب، ولا منافاة بين هذه العقيدة وبين جميع ما يجب أن يلتزم به المسلم من أركان الدين وما بني عليه الإسلام.

---

(١) سئل الشريف المرتضى في المسائل التي وردت عليه من الري عن حقيقة الرجعة فأجاب:

«بأن الذي تذهب إليه الشيعة الإمامية أن اللّٰه تعالى يعيد عند ظهور المهدي عليه السلام قوماً ممن كان تقدم موته من شيعته وقوماً من أعدائه وأن قوماً من الشيعة تأولوا الرجعة على أن معناها رجوع الدولة والأمر والنهي من دون رجوع الأشخاص وإحياء الأموات». «أعيان الشيعة: ص ١٧٣ و ١٧٤ ج ١».

من سوء أدب الخطيب
بنسبة التزوير إلى السيدين

نسب الخطيب في ص ٢٠ إلى الشريف المرتضى وأخيه الشريف الرضي الإشتراك في تزوير الزيادات على نهج البلاغة فقال فيما ذكر أخيراً في الرجعة [السيد المرتضى مؤلف كتاب أمالي المرتضى وهو أخو الشريف الرضي الشاعر، وشريكه في تزوير الزيادات على نهج البلاغة، ولعلها أكثر من ثلث تلك الكتاب، وهي التي فيها تعريض للصحابة وتحامل عليهم] إلخ.

إذا وصف الطائي بالبخل مادر ... وعير قساً بالفهاهة باقل
وقال السُّهى للشمس أنتِ خفية ... وقال الدجى للصبح لونك حائل
وطاولت الأرض السماء ترفعاً ... وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فياموت زر إن الحياة ذميمة ... ويانفس جدي إن دهرك هازل

من هو ان الدنيا أن من ملأ كتاباً بأبشع الأكاذيب، وخان

الإسلام بقلمه وتزويراته، ينسب إلى التزوير من بلغ في الصدق والأمانة والتثبت درجة قلما يوجد نظيره في العلماء الأثبات الثقات.

وإني أرى أن الإعراض والصفح الجميل عن سوء أدبه بالسيدين أولى، فإن تحامل مثله عليهما لا يمس ماهما عليه من الجلالة وقداسة النفس والشخصية والعبقرية وعلو المقام، فهما المثلان البارزان في العلم والأدب والبلاغة، وإباء النفس وعلو الطبع، والتقوى وكرائم الأخلاق ومحامد الأوصاف.

وقد شهد بعظمة قدرهما ونبوغهما في العلم والأدب والورع والدين عظماء الفريقين، وترجمهما علماء التاريخ والرجال، ومؤلفوا المعاجم، وأثنوا عليهما بكل الثناء.

وهذه عشرات من تصانيفهما تنبئ عن شموخ مقامهما، وخدماتهما للعلوم الإسلامية والأدب العربي، فجدير بكل مسلم في شرق الأرض وغربها أن يعتز بهما.

وقد تخرج من مدرستهما جماعة من العلماء الفطاحل الأفذاذ، وشدت إليهما الرحال، ووفد إليهما الناس من كل الأصقاع ليس فيهما وضع غمز، ومكان عيب.

والحق أنهما معجزتان من معجزات الإسلام، ومفخرتان لأهل بيت سيد الأنام، وآيتان ظاهرتان من آيات الله البينات.

وشأن من هذا مكانته في الجلالة والتقوى أعلى وأنبل من التزوير والكذب، ولو كان مثل السيدين معرضاً لتهمة الكذب والتزوير لما بقي في العلماء ونقلة الأحاديث من يعتمد على أقواله

ورواياته.

ولو كان جميع ما في نهج البلاغة مما يوافق هوى الخطيب لكان الشريف الرضي عنده من أوثق الرواة، وكان كتابه عنده في المرتبة العليا من الإعتبار.

نهج البلاغة

اليک قاله الاستاذ الشيخ محمد حسن نائل الرصفى فى مقدمة كتابه شرح نهج البلاغة:

أما كتاب نهج البلاغة فهو [الكتاب الذي أقامه اللّٰه حجة واضحة على أن علياً رضي اللّٰه عنه قد كان أحسن مثال حي لنور القرآن وحكمته، وعلمه وهدايتـه، وإعجازه وفصاحته.

اجتمع لعلي في هذا الكتاب ما لم يجتمع لكبار الحكماء، وأفذاذ الفلاسفة، ونوابغ الربانيين من آيات الحكمة السامية، وقواعد السياسة المستقيمة، ومن كل موعظة باهرة، وحجة بالغة تشهد له بالفضل وحسن الأثر.

خاض علي في هذا الكتاب لجة العلم والسياسة والدين، فكان في كل هذه المسائل نابغة مبرزا، ولئن سألت عن مكان كتابه من العلم فليس في وسع الكاتب المسترسل، والخطيب المصقع، والشاعر المفلق أن يبلغ الغاية من وصفه، والنهاية من تقريظه،

وحسبنا أن نقول: إنه

«الملتقى الفذ الذي التقى فيه جمال الحضارة وجزالة البداوة، والمنزل الفرد الذي اختارته الحقيقة لنفسها منزلاً تطمئن فيه، وتأوي إليه بعد أن زلت به المنازل في كل لغة[١]».

وهو كتاب يتجلى فيه روح شريفة يكسب القارئ في هذا الكتاب منها العصبية للحق، والشدة في الدين، والقصد في الحكمة والسياسة، وعندنا أن الذين يسمون إلى الإصلاح في هذا البلاد يجب عليهم أن يتخذوا هذا الكتاب إماماً في إصلاحهم من جهاته اللغوية، والعلمية والدينية، وأن الناشئين لو تأثروا هذا الكتاب في العبارة وصدق النظر لبلغوا من قوتي العقل واللسان تلك المنزلة التي نتمنى لهم ونود أن لو يصلون إليها في وقت قريب[٢]

والذي لا يعتريه الشك هو كون الجامع لهذا الكتاب الشريف الرضي، قد ثبت ذلك بالتواتر القطعي، وصرح به في غيره من تصانيفه[٣] وفي الجزء الخامس من تفسيره،[٤] ونسخة كتبت في عصر الشريف الرضي وشحت بخطه الشريف[٥] موجودة

---

(١) من مقدمة شارح نهج البلاغة الأستاذ الشيخ محمد حسن نائل المرصفي مدرس البيان بكلية الفرير الكبرى، طبع مصر، سنة ١٣٢٨ ص ٤.

(٢) شرح نهج البلاغة للشيخ محمد حسن نائل المرصفي المذكور.

(٣) أنظر كتاب: «مجازات الآثار النبوية»، ص٤١ و ١٦١ و ٢٢٣ و ٢٥٢.

(٤) ص ١٦٧.

(٥) أنظر: «ما هو نهج البلاغة» ص٨. للسيد هبة الدين الشهرستاني ط النجف الاشرف.

مشهورة، لم يشترك معه أحد في جمعه لا الشريف المرتضى ولا غيره، وهذا غني عن البيان.

ولا شك أيضاً في أن الشريف الرضي اختار ما فيه من الخطب والكلمات المأثورة عن أمير المؤمنين عليه السلام في الكتب المعروفة، والأصول المعتمدة المعتبرة، وكانت هذه الخطب والكتب والكلمات وحتى الخطبة الشقشقية أيضاً من خطب أمير المؤمنين عليه السلام المعروفة بين العلماء والمؤلفين، أثبتوها في الكتب قبل ولادة الرضي والمرتضى وولادة أبيهما.

وقد سبق الرضي «في جمع خطب أمير المؤمنين» أبو سليمان زيد الجهني، فألف في عصر أمير المؤمنين كتاب «الخطب» جمع في ما أملاه أمير المؤمنين عليه السلام

كما قد شرح خطب أمير المؤمنين «قبل تأليف نهج البلاغة» جماعة كأبي الحسين أحمد بن يحيى الراوندي المتوفى سنة ٢٤٥، والقاضي أبي حنيفة نعمان المغربي المتوفى سنة ٣٦٣.

وكيف يقبل العقل أن يزوِّر مثل الشريف على مثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في كتاب أطلع عليه السني والشيعي في عصره، سيما في مدينة بغداد الحافلة بجماهير من العلماء، من غير أن ينكر ذلك أحد عليه أو يرده، مع وجود الدواعي الشديدة لهم في تكذيبه، وإظهار تزويره، فاحتمال ذلك حتى بالنسبة إلى كلمة من هذا الكتاب مقطوع العدم، وإن شك الخطيب فيها، فمثل العلامة الشيخ محمد عبده يصرح بأن جميع ألفاظ كتاب

نهج البلاغة صادر عن الإمام علي عليه السلام، ويجعل ما فيه حجة على معاجم اللغة، فراجع ما كتبه الأستاذ محمد محيي الدين المدرس في كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر مقدمة على نهج البلاغة وشرحه، وراجع أيضاً مقدمة شرح الشيخ محمد عبده، وشرح ابن أبي الحديد وغيرها من الشروح، وكتاب «ما هو نهج البلاغة» و «الذريعة ج ١٤ ص ١٦١ ـ ١١١» و «كتاب مدارك نهج البلاغة» و دفع الشبهات عنه حتى تعرف مبلغاً من مكانة هذا الكتاب وقوة اعتباره.

بيعة الرضوان

نقل الخطيب في ص ٢١ عن بعض الشيعة أنه نفىٰ نعمة الايمان عن أبي بكر وعمر، لأنه قال في كتابه: وإن قالوا إن أبا بكر وعمر من أهل بيعة الرضوان الذين نص على الرضا عنهم في القرآن في قوله في هذه السورة (يعنى الفتح): ﴿لقد رضي اللّٰه عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ قلنا إنه لو قال: لقد رضي اللّٰه عن الذين يبايعونك تحت الشجرة أو عن الذين بايعوك لكان في الآية دلالة على الرضا عن كل من بايع، ولكن لما قال: ﴿لقد رضي اللّٰه عن المؤمنين إذ يبايعونك﴾ فلا دلالة فيها إلا على الرضا عمن محض الايمان.

«ثم قال الخطيب»: ومعنى ذلك أن أبابكر وعمرلم يمحضاالإيمان فلا يشملهما رضا الله.

نحن نسوق الكلام أولاً فيما يستفاد من الآية، وثانياً في أن نفي الإيمان عن بعض الصحابة إذا كان النافي مجتهداً متأولاً هل يوجب الكفر أو الفسق عند أهل السنة أم لا، ونبحث في كلتا الجهتين من ناحيتهما العلمية.

أما الكلام في الآية الكريمة فلا شك في دلالتها على فضل بيعة الرضوان وفضل المؤمنين الذين بايعوا الرسول صلى الله عليه وآله تحت الشجرة، ولكن لا دلالة لها على الرضا عن كل من بايعه حتى المنافقين الذين لادافع لاحتمال دخول بعضهم في المبايعين.

فالحكم بالرضا عن شخص معين إنما يصح إذا كان إيمانه محققاً معلوماً فلا يشمل من ليس مؤمناً وإن كان من المبايعين، كما لا تشمل الآية المؤمن الذي لم يكن حاضراً تحت الشجرة فلم يبايع هناك، كما لا يجوز التمسك بالآية لإثبات إيمان بعض معين من المبايعين لو صار معرضاً للشك، كائناً من كان، فإنه هو التمسك بعموم العام في الشبهة المصداقية الذي برهن في الأصول على عدم صحته، نعم لو قال لقد رضي الله عن الذين بايعوك تشمل كل من بايعه كائناً من كان وإن شك في إيمانه، ولكن لا يجوز التمسك به فيمن شككنا في أصل بيعته، كما لا يثبت إيمان من شككنا في إيمانه بقوله: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين﴾

وهذا كلام متين في غاية المتانة، ولذا سكت الخطيب عن جوابه.

وأيضاً هذه الآية لاتدل على حسن خاتمة أمر جميع

المبايعين المؤمنين، وإن فسق بعضهم أو نافق، لأنها لا تدل على أزيد من أن الله تعالى رضي عنهم ببيعتهم هذه، أي قبل عنهم هذه البيعة ويثيبهم عليها، وهذا مشروط بعدم إحداث المانع من قبلهم. والحاصل أن اتصاف الشخص بكونه مرضياً لا يكون إلا بواسطة عمله المرضي، والعامل لا يتصف بنفسه بهذه الصفة، فهذه صفة تعرض الشخص بواسطة عمله، فإذا صدر عنه الفعل الحسن والعمل المرضي يوصف العامل بهذه الصفة أيضاً، ولا دلالة للآية على أن من رضي الله عنه بواسطة عمله يكون مرضياً طول عمره، وإن صدرت منه المعاصي الموبقة بعد ذلك، ورضا الله تعالى عن أهل بيعة الحديبية ليس مستلزماً لرضاه عنهم إلى الأبد، والدليل على ذلك قوله تعالى في هذه السورة في شأن أهل هذه البيعة وتعظيمها:

﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما﴾[١].

فلو لم يجز أن يكون في المبايعين من ينكث بيعته وكان رضا الله عنهم مستلزماً لرضاه عنهم إلى الأبد لافائدة لقوله تعالى: **﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾**[٢]

وأيضاً قد دلت آيات من القرآن وأحاديث صحيحة على وقوع غضب الله تعالى وسخطه على من يرتكب بعض المعاصي، ومع ذلك لم يقل أحد بأن هذا مانع من حسن إيمانه في المستقبل،

---

(١) الفتح / ١٠ (٢) الفتح / ١٠

وذلك مثل قوله تعالى:

﴿ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾[١].

فإذا لم يكن بوء شخص أو قوم إلى غضب الله مانعاً من حسن حاله في المستقبل لم يكن رضاه أيضاً سبباً لعدم صدور فسق أو كفر من العبد بعد ذلك.

والقول بدلالة الآية على حسن حال المبايعين مطلقاً، وعدم تأثير صدور الفسق عنهم في ذلك مستلزم للقول بوقوع التعارض بين هذه الآية وبين آية الأنفال المذكورة فيمن ولى دبره عن الجهاد من المبايعين، لأنها أيضاً تدل بإطلاقها على سوء حال من يولي دبره، وعدم تأثير صدور الحسنات في رفع ذلك.

هذا وقد أخرج مالك في الموطأ في باب الشهداء في سبيل الله، من كتاب الجهاد[٢] عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لشهداء أُحد: هؤلاء أشهد عليهم، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله ألسنا بإخوانهم أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا، فقال رسول الله: بلى ولا أدري ما يحدثون بعدي، قال: فبكى أبو بكر ثم بكى ثم قال: أئنّا لكائنون بعدك؟

وهذا الحديث صريح بأن حسن خاتمة مثل أبي بكر من

---

(١) الانفال / ١٦

(٢) ص ١٧٣ و ١٧٤ ط مطبعة الفاروقي.

الصحابة المبايعين المهاجرين موقوف على ما يحدث بعد الرسول صلى الله عليه وآله.

هذا مختصر الكلام حول مدلول الآية الكريمة، وعليه ليس المستفاد منها أن أبا بكر وعمر لم يمحضا الإيمان، نعم لا يثبت بها إيمان واحد معين من المبايعين على نحو التفصيل، فلا يصح التمسك بها في إثبات إيمان صحابي خاص وعدم نفاقه، أو حسن حاله إذا شك فيه، وإن كان الخطيب يرى دلالتها على أكثر من هذا، فليبين لنا حتى ننظر فيه.

حكم من نفى الإيمان عن بعض الصحابة أو سب بعضهم عند أهل السنّة

لا حاجة إلى الإشارة إلى ماورد في ذم سب المؤمن، فإن هذا معلوم بالضرورة من الدين، وإنكار أصل حرمته موجب للكفر، ولا شك في أن المناقشات الحادثة بين المسلمين مناقشات صغروية، مثل عدالة شخص أو إيمانه، أو فسقه أو نفاقه، فالنزاع في هذه الأمور وأشباهها يرجع إلى إثباتها بالأدلة الشرعية وعدمه، ويذهب كل من اختار أحد الطرفين إلى ما تقتضيه الأدلة باجتهاده، ولو علموا جميعاً ثبوت شيء في الدين أو عدم ثبوته لم يختلفوا فيه، وقلما يوجد من حملته العصبية واللجاج على إنكار الحق فلا ريب في أن أكثرالمسلمين من الطائفةالأولى لاينكرون ما ثبت عندهم بالأدلة الشرعية.

فمن أنكر من المسلمين أمراً يراه غيره من الدين لعدم ثبوته عنده أو ثبوت خلافه ليس كافراً ولا فاسقاً، وإذا كان الحال هذا لا

اعتراض على من قال الخطيب في ص ٢١ إن معنى كلامه إن أبابكر وعمر لم يمحضا الإيمان فلا يشملهما رضا الله، ولا يحكم بكفره وفسقه إذا كان ذلك منه عن اجتهاد وتأول، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث أخرجه البخاري ما نصّه[١]:

إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر.

وهذا ابن حزم يقول:[٢]

وذهبت طائفة إلى أنه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد أو فتيا، وإن كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى أنه الحق فإنه مأجور على كل حال، وإن أصاب فأجران وإن أخطأ فأجرٌ واحد (قال) وهذا قول ابن أبي ليلى وأبي حنيفة، والشافعي وسفيان الثوري، وداود بن علي، وهو قول كل من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة لا نعلم منهم خلافاً في ذلك أصلاً.

وقال الفاضل النبهاني في أوائل كتاب «شواهد الحق» على ما حكي عنه: اعلم أني لا أعتقد ولا أقول بتكفير أحد من أهل القبلة لا الوهابية ولا غيرهم، وكلهم مسلمون تجمعهم مع سائر المسلمين كلمة التوحيد والإيمان بسيدنا محمد صلى الله عليه وآله، وما جاء من دين الإسلام.

وبالغ في ذلك الشيخ أبو طاهر القزويني «على ما حكي عنه»

---

(١) في باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ص ١٦٥، ج٤، ط مصر عام ١٣٢٠.

(٢) الفصل في الملل: ج ٣، ص ٢٤٧.

في كتابه «سراج العقول» فقال بإثبات الإسلام لكل فرد من أهل القبلة، وجزم بنجاة الجميع من كل فرق الإسلام.

وحكي عن شيخ السادة الحنفية ابن عابدين في باب المرتد من كتاب الجهاد ص ٣٠٢ أنه حكم قاطعاً بإسلام من يتأول في سب الصحابة، مصرحاً بأن القول بتكفير المتأولين في ذلك مخالف لإجماع الفقهاء.

وقد أسلفنا في بعض المباحث السابقة مقالة ابن حزم فيمن سب أحداً من الصحابة، وما قال في تكفير عمر بحضرة النبي صلى الله عليه وآله حاطباً، وهو صحابي مهاجري بدري.

ولا يخفى أنه لو كان في من ينتحل دين الإسلام مَن سبَّ بعض الصحابة أو غيرهم من المسلمين عنادً الله ورسوله فلا شك في كفره، وأما إذا كان الساب جاهلاً أو أوردته الشبهة ذلك المورد يكون على ما صرح به ابن حزم معذوراً.

وعن الأوزاعي إنه قال: «لئن نشرت لا أقول بتكفير أحد من أهل الشهادتين».

وعن صاحب الإختيار: «اتفق الأئمة على تضليل أهل البدع أجمع وتخطئتهم، وسب أحد من الصحابة وبغضه لا يكون كفراً لكن يضلل».

وعن صاحب فتح القدير:

إنه قطع بعدم كفر من يكفر الصحابة ويسبهم، وذكر أن ما وقع في كلام أهل المذهب في تكفيرهم ليس من كلام الفقهاء الذين

هم المجتهدون إنما هو من كلام غيرهم.

وصرح ابن حجر [١] بأن مذهبه فيمن لعن أنه لا يكفر بذلك.

ولو سردنا الكلام في نقل فتاوي أعلام أهل السنة في ذلك خرجنا عن طريق الإيجاز، ومقتضى كلام غير واحد من هؤلاء أن الساب لا يكفر، وإن كان متعمداً في ذلك، عالماً بحرمته، مثل أن يسبه لمناقشة وقعت بينهما.

وأضف إلى جميع ذلك كله النصوص الكثيرة المخرجة في الصحاح الستة الحاكمة على أهل الأركان الخمسة بالإسلام ودخول الجنة، وإذا كان الخوارج الذين استحلوا دماءالمسلمين، وكفرواالصحابة، وحاربوا أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام، ونص النبي صلى الله عليه وآله على أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه، وأنهم شر الخلق والخليقة، وطوبى لمن قتلهم وقتلوه، عند أهل السنة من المسلمين والمعذورين في مذهبهم، فغيرهم ممن تمسكوا بالثقلين وتمذهبوا بمذاهب أهل البيت أعدال الكتاب، واقتفوا أثرهم واهتدوا بهديهم أولى بذلك، ومن شاء أن يطلع على الكلام الفصل في ذلك فعليه بكتاب «الفصول المهمة في تأليف الأمة» للعلامة المصلح السيد عبد الحسين شرف الدين، فإنه رضوان الله عليه قد أدى حق التحقيق والإفادة في ذلك، وسعى في جمع الشمل ولمّ الشعث، فراجع كتابه هذا ومراجعاته، وكتابه «إلى المجمع العلمي العربي» وكتاب «أبي هريرة» وغيرها من تصانيفه

---

(١) الصواعق المحرقة: ص ٢٥١.

القيمة.

والحاصل أن نفي الإيمان عن بعض الصحابة وسبهم إذا كان النافي والساب مجتهداً لا يضر بالإسلام عند أكابر أهل السنة، وليس مانعاً من التقريب ورفض الشحناء والبغضاء، واعتصام الجميع بحبل الله تعالى، والعجب ممن لا يكفر ولا يفسق معاوية وأتباعه في سب أمير المؤمنين علي عليه السلام على منابر المسلمين، ويفسق من سب الشيخين تأولاً واجتهاداً أعاذنا الله تعالى من العصبية واللجاج.

نصيحة وتذكرة

ينبغي لمن يرى جواز سب أحد من المسلمين أن لا يعلن بذلك، ولا يجهر به بمشهد منه أو بمشهد أقاربه، ومن لا يرى رأيه بل يحرم ذلك في بعض الموارد إذا كان السب إيذاء لمسلم حاضر أو سبباً لتجريح العواطف، وحدوث الفتن وضعف المسلمين، وظهور التخاصم والتنازع بينهم.

منزلة النبي والإمام عند الشيعة

ذكر الخطيب في ص ٢٢ أن الشيعة يرفعون أئمتهم من منزلة البشر، ونقل عناوين أبواب من الجامع المعروف بالكافي في علوم الأئمة وأن كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل، وأنهم يعلمون علم القرآن كله وغير ذلك، وافترى على الشيعة بأنهم يثبتون لأئمتهم علم الغيب وينكرون على النبي صلى الله عليه وآله ما أوحى الله به من أمر الغيب إلخ.

الشيعة لا يعتقدون فضيلة ومنقبة لأئمتهم إلا ويعتقدون لرسول الله صلى الله عليه وآله تلك الفضيلة على النحو الأتم الأكمل، ولا يفضلون أحداً من السابقين واللاحقين من الأنبياء والأئمة، والملائكة وغيرهم على رسول الله صلى الله عليه وآله، بل يفضلونه على جميع المخلوقات ويعدون الإمام من أتباع الرسول ومن أُمته، لا يعدل النبي عند الشيعة أحد من أُمته، والإمام مأمور

بطاعة الرسول لا يسعه غير أتباعه، ولا يرفعون النبي ولا أحداً من الأئمة من منزلة البشر، والنبي والأئمة هم المثل العليا لكمال الإنسان اختصهم الله بعناياته الخاصة، والإمامة عندهم منصب يختار الله له من كان مستأهلاً لتقلده، ويأمر نبيه بالنص عليه، وصنفوا في هذه النصوص كتباً مفردة، خرجوا فيها طائفة من تلك النصوص عن الكتب المعتمدة عند أهل السنة وصحاحهم.

ومن النصوص المعروفة المتواترة على كون الأئمة اثنى عشر الأحاديث التي خرجها مسلم وأحمد، والبخاري والترمذي، والطيالسي وأبو نعيم الإصبهاني، والسجستاني والحاكم، والمتقي وابن الديبع، والخطيب والسيوطي وغيرهم، في عدد الأئمة عن غير واحد من الصحابة كجابر بن سمرة وعبدالله بن مسعود، وأنس بن مالك، ومن المعلوم أن هذا العدد لا ينطبق إلا على الأئمة الإثنى عشر.

وأفرد في هذه الأحاديث العلامة محمد معين السندي كتاباً أسماه «مواهب سيد البشر في حديث الأئمة الإثنى عشر».

ويدل على وجوب التمسك بأئمة أهل البيت، وأخذ العلم عنهم، وعصمتهم، وبقائهم إلى يوم القيامة، وعدم خلو الزمان من إمام منهم، وكونهم أعلم الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله، وأن التمسك بهم أمن من الضلال، وانحصار سبيل النجاة في التمسك بهم، وبالكتاب الكريم، أحاديث الثقلين المتواترة وأحاديث الأمان، وأحاديث السفينة، وغيرها من النصوص الكثيرة، وقد

صرح بجميع ذلك جمع من أعلام أهل السنة ذكرنا أسمائهم ومقالاتهم في كتاب أفردناه في وجوب الرجوع إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام في الفقه والمعارف الإسلامية، وفي وجوب العمل بالأحاديث المخرجة في جوامع الشيعة.

ولو قرأ الخطيب كتب الإمامية، ودرس العلوم المأثورة عن أئمتهم لأقر بأن الأبواب المعنونة في الكافي ليس إلا عناوين لبعض ما ورثوا عن جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله، ولعرف أن من أشد ما ابتلي به المسلمون، وأضره عليهم انصرافهم عن أهل بيت نبيهم، وإعراضهم عمن أوجب الله تعالى ورسوله عليهم الرجوع إليه في الأمور الدينية، والأحكام الشرعية.

ومن تتبع قليلاً في الكتب الإسلامية يعرف اختصاص أئمة أهل البيت سيما أمير المؤمنين علي عليه السلام بعلوم كثيرة من التفسير، والفقه، والحديث، والتوحيد، وغيرها مما ليس عند غيرهم.

هذه عقيدة الشيعة في أهل البيت وعلومهم، وإليك بعض ما قال سيدنا أمير المؤمنين علي عليه السلام في ذلك.

قال: لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً. هم أساس الدين وعماد اليقين. إليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي. ولهم خصائص حق الولاية. وفيهم الوصية والوراثة[١].

---

(١) نهج البلاغة: ط مصر، مطبعة الاستقامة: ج ١، خ ٢، ص ٢٤ و ٢٥.

وقال: موضع سره، ولجأ أمره، وعيبة علمه، وموئل حكمه، وكهوف كتبه، وجبال دينه، بهم أقام انحناء ظهره، وأذهب ارتعاد فرائصه[١].

وقال: فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمن، إن نطقوا صدقوا، وان صمتوا لم يسبقوا[٢].

وقال: هم عيش العلم، وموت الجهل، ويخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حكم منطقهم، لا يخالفون الحق، ولا يختلفون فيه، هم دعائم الإسلام، وولائج الإعتصام، بهم عاد الحق في نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن مقامه، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية، لا عقل سماع ورواية، فإن رواة العلم كثير، ورعاته قليل[٣]

وقال: وإنما الأئمة قوام الله على خلقه، وعرفاؤه على عباده، لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه[٤].

هذا ما يقول الشيعة في أئمة أهل البيت عليهم السلام لم يقولوا ما قالوا فيهم اختراعاً واقتراحاً من عند أنفسهم، بل أخذوه من الأحاديث النبوّة، والنصوص العلوية، والأخبار المروية عن أهل بيت النبوّة، وأئمة العترة عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) نهج البلاغة: ج ١، خ ٢، ص ٢٤ .(٢) نهج البلاغة: ج ٢، خ ١٥٠، ص ٥٨.

(٣) نهج البلاغة: ج ٢، خ ١٣٤، ص ٢٥٩ و ٢٦٠.

(٤) نهج البلاغة: ج ٢، خ ١٤٨، ص ٥٤.

غلط الخطيب في فهم كلام العلامة الآشتياني

قال في ص ٢٢ و ٢٣ «وبينما يدعون لأئمتهم الإثنى عشر ما لا يدعيه هؤلاء لأنفسهم من علم الغيب، وأنهم فوق البشرية، فإنهم أي الشيعة ينكرون على النبي صلى الله عليه وآله ما أوحى الله به إليه من أمر الغيب كخلق السماوات والأرض، وصفة الجنة والنار، وقد سجلت ذلك مجلة «رسالة الإسلام» التي تصدرها دار التقريب في القاهرة إذ نشرت في عددها الرابع من السنة الرابعة صفحة ٣٦٨ بقلم رئيس المحكمة العليا الشرعية الشيعية في لبنان، ويعدونه من ألمع علمائهم العصريين، مقالاً عنوانه «من اجتهادات الشيعة الإمامية» نقل فيه عن مجتهدهم الشيخ محمد حسن الآشتياني إنه قال في كتابه «بحر الفوائد» ج ١ ص ٢٦٧: إن الرسول إذا أخبر

عن الأحكام الشرعية أي مثل نواقض الوضوء وأحكام الحيض والنفاس ـ يجب تصديقه، والعمل بما أخبر به، وإذا أخبر عن الأمور الغيبية مثل خلق السماوات والأرض، والحور والقصور فلا يجب التدين به بعد العلم به (أي بعد العلم بصحة صدوره عن الرسول) فضلاً عن الظن به (الخ)».

ذكرنا عقيدة الشيعة في النبوة والإمامة، وأن النبي ينص على الإمام بأمر من الله، وأنه تبع للنبي، والنبي مفضل عليه في جميع الكمالات، فالنبي كالأصل والإمام فرعه، وليس في الشيعة من يستبيح لنفسه الشك فيما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله فضلاً عن إنكاره، سواء كان المخبر به من الأمور العادية كقيام زيد وقعود عمرو، أم من الأمور الدينية، فالنبي هو الصادق المصدق في جميع ما أخبر به، ﴿و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى﴾،[1] ومن أنكر أو أظهر الشك فيما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله من أمر الغيب كخلق السماوات والأرض، وصفة الجنة والنار بعد حصول اليقين بإخباره عنه كافر، لا شك عند الشيعة في كفره.

ولكن الخطيب حيث عجز عن فهم كلام العلامة الآشتياني، وكلام رئيس المحكمة العليا الشرعية في لبنان[2] الذي هو من ألمع

---

(١) النجم / ٣-٤

(٢) هو: الشيخ محمد جواد مغنيه صاحب التأليف الكثيره المطبوعة في لبنان والعراق و ايران.

العلماء المجاهدين المعاصرين، حمله على ما يوافق هواه، وخاض في الإفتراء والهذيان، فادعى أن الشيعة ينكرون على النبي صلى الله عليه وآله ماأوحى الله به من أمر الغيب.

وحيث إن المسألة المبحوث عنها في كلام المحقق الآشتياني في نفسها من المسائل العلمية النظرية لا بأس بالإشارة إليها هنا حتى يعلم أن الأولى للخطيب ونظرائه عدم الخوض في هذه المسائل، وإيكال البحث عنها إلى أهلها.

فنقول في توضيح ما أفاده الآشتياني:

إن ما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله على قسمين:

أولهما: ما يكون من الأمور العادية كقيام زيد ومجيء عمرو، ولا يكون مرتبطاً بالدين لا بأموره الإعتقادية، ولا بأحكامه الشرعية، ولا بأحكامه العملية، كالصلاة والصوم والحج وغيرها.

وثانيهما: ما يكون من الدين، وهذا أيضاً على قسمين: أحدهما ما يكون في الأمور الإعتقادية، وما يجب أن يعتقده المسلم كالتوحيد والنبوة والمعاد وغيرها، وثانيهما ما يكون في الأحكام الدينية العملية كالصلاة والزكاة والصوم وغيرها.

فالقسم الأول: أعني ما ليس مرتبطاً بالدين كالإخبار عن الأمور العادية والإخبار ببعض كيفيات خلق السماوات والأرض، والكواكب وبدء الخلق، وبعض تفاصيل الجنة والجحيم، وخصوصيات الحور والقصور، وأشجار الجنة وأنهارها ومياهها[1]

---

(١) تفاصيل بعض هذه الأمور، وإن كان لا يعلم إلا من جهة بيان النبي صلى

ليس من الأمور الإعتقادية التي بني عليها الإسلام، ولا يحكم بإسلام من لم يكن عارفاً بها، فمن لم يؤمن بالله أو لم يعتقد النبوة أو المعاد، أو أنكر الثواب والعقاب، والجنة والنار، كافر خارج عن الإسلام، أما من لم يعرف بعض خصوصيات الجنة وبعض أنواع الملائكة وأسمائهم، وكيفية مبدء خلق السماء وعدد قصور الجنة أو عدد ولدانها، ولم يقرع سمعه ماورد في ذلك من الأحاديث لا يضر ذلك بإسلامه، ولا يكلف بتحصيل هذه المعارف، وهذا كالإطلاع على عدد غزوات النبي صلى الله عليه وآله، وعدد أولاده وزوجاته، فإن المعرفة بهذه الأمور والأحوال وإن كانت في حد نفسها راجحة مرغوباً فيها، لكن ليست من الأمور الإعتقادية التي يدور مدار معرفتها ترتيب آثار الإسلام، ويحكم بكفر منكرها.

نعم من ثبت عنده إخبار الرسول عن هذه الخصوصيات والتفاصيل يحصل له الإعتقاد بها لاعتقاده صدق الرسول صلى الله عليه وآله في كل ما أخبر به، وإظهار الشك فيها أو إنكارها بعد العلم بإخبار النبي عنها موجب للكفر قطعاً لرجوع ذلك إلى تكذيب النبي صلى الله عليه وآله.

وأما القسم الثاني: فيجب الإعتقاد، وتحصيل الإيمان والمعرفة به لم يختلف في ذلك اثنان من الشيعة.

→

الله عليه وآله، وبهذا الإعتبار تعد من الأمور الدينية، ولكن ليست مما يجب التدين به.

وأما القسم الثالث: أي إخباره عن الأحكام العملية فيجب العمل به، ولا يجوز إنكاره بعد ثبوته عنده، وإنكاره بعد العلم بإخباره موجب للكفر والخروج عن الإسلام[١] ولا يتفاوت في

---

(١) ولأجل إيضاح بطلان افتراء الخطيب ننقل كلام العلامة الآشتياني في بحر الفوائد ص ٢٧٦ ـ قال:

المعارف بالمعنى الأعم على قسمين:

أحدهما: مالا يكون من الدين، ولا دخل له بشريعة سيد المرسلين، صلى الله عليه وآله مثل كيفية خلق السماء والأرض، والحور والقصور، وغير ذلك مما عرفت الإشارة إليه عن قريب.

ثانيهما: ما يكون من الدين، لا يقال: لا معنى للتقسيم المذكور لأن كل ما بينه النبي صلى الله عليه وآله يكون من الدين لا محالة، وإلا لم يبينه، لأنا نقول: هذا غلط واضح، وخلط ظاهر، فإن الرسول قد يخبر عن الشيء من حيث كونه شارعاً ومبلغاً عن الله تعالى، ومأموراً بتبليغه على العباد، وقد يخبر عن الشيء لا من الحيثية المذكورة، بل من حيث كونه عالماً بالغيب بإفاضة الله سبحانه، ومن المعلوم أن هذا لا يرجع إلى الإخبار عن الأمر الديني.

ثم الثاني أي ما يكون من الدين، وشريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ينقسم على قسمين: أحدهما مايتعلق بالعمل بالمعنى الأعم من التعلق الأولي الذي يسمى بالحكم الفرعي، والتعلق الثانوي بالواسطة الذي يسمى بالحكم الأصولي العملي، ثانيهما ما يكون المقصود منه والغرض الأصلي الأولي المطلوب منه الإعتقاد وإن ترتب عليه عمل أحياناً.

أما الأول: أي ما لا دخل له بالدين أصلاً فلا إشكال في أنه لا يوجب التدين به بعد حصول العلم به فضلاً عن الظن به، نعم لا يجوز إنكاره بعد ثبوته من حيث إيجابه لتكذيب النبي صلى الله عليه وآله فيكون كفراً.

وأما الثاني: فما يتعلق منه بالعمل ولو بالواسطة فلا إشكال في إمكان التعبد فيه

←

ذلك أي عدم وجوب التدين بالامور العادية، وخصوصيات الأمور المذكورة بين إخبار النبي وإخبار الإمام عليهما السلام، ووجوب تصديق النبي في إخباره عن المغيبات أولى من وجوب تصديق الإمام، ومقدم عليه بحسب المرتبة، فإن وجوب تصديق الإمام فرع وجوب تصديق النبي صلى الله عليه وآله.

هذا حاصل كلام الآشتياني في المقام، وقد صرح في

←

بغير العلم بل وقوعه في الجملة على ما عرفت مفصلاً، وإن كان مقتضى الأصل الأولي البناء فيه على عدم وقوع التعبد، وما يتعلق منه بالإعتقاد قد عرفت سابقاً أنه على قسمين

أحدهما: ما يجب به الإعتقاد مطلقاً فيجب تحصيل المعرفة به.

وثانيهما: ما لا يجب فيه ذلك، بل إن حصلت المعرفة به حصل الإعتقاد قهراً، ويجب التدين بمقتضاه، والمعتقد في المقامين قد يكون أمراً إجمالياً بمعنى أنه قد يجب الإعتقاد بشيء والتدين به إجمالاً سواء كان وجوباً مطلقاً أو مشروطاً بالمعنى الذي عرفته، فلا يجب تحصيل تفصيله، نعم لو حصل العلم به وجب التدين به من حيث كونه عين ما وجب الإعتقاد والتدين به إجمالاً، ضرورة كون المفصل عين المجمل، وإن افترقا من حيث الإجمال والتفصيل، وقد يكون أمراً تفصيليا...

وقال في هذه الصفحة تكذيبه (يعني تكذيب الرسول صلى الله عليه وآله) ولو في أخباره العادية موجب للكفر، قطعاً، وهو ما يرجع إلى بيان أمور واقعية لا تعلق لها بالدين مثل بيان مبدء خلق السماوات والأرض، وحور العين والفصل بين كل سماء، إلى غير ذلك مما يرجع إلى بيان خلقة المخلوقات، فإنه ليس أمراً دينيا اعتقادياً بحيث يجب التدين به، والإقرار به، وإن لم يجز إنكاره بعد العلم بثبوته من صاحب الشرع هذا وتوهم كون جميع ما بينه النبي صلى الله عليه وآله من الدين فاسد كما سننبه عليه. انتهى.

موضعين من عباراته في ص ٢٧٦ بكفر من أنكر إخبار الرسول في الأمور العادية، ولكن الخطيب يفتري على الشيعة، ويقول: إنهم يرفعون مرتبة أئمتهم في إخبارهم عن الأمور الغيبية (والعياذ بالله) فوق مرتبة النبي صلى الله عليه وآله ونسي أن في أهل السنة من يقول إن النبي كان فيما قال وعمل في الأمور الدينية مما لا نص فيه مجتهداً كسائر المجتهدين[١].

ثم إنه لم يقنع بذلك فقال: إن جميع رواة الغيبيات عن الأئمة الإثنى عشر معروفون عند علماء الجرح والتعديل من أهل السنة بأنهم كانوا كذبة، وهذا من أبشع افتراءاته على علماء الجرح والتعديل، فإن كرامات الأئمة الإثنى عشر عليهم السلام، وإخبارهم عن الأمور الغيبية بما هو مخزون عندهم من علوم جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وورثوا عنه ثابتة بالتواتر، قد خرج طائفة منها جمع عن أعلام أهل السنة، لا سيما ما صدر منها عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، ولا عجب في ذلك لأن النبي صلى الله عليه وآله اختصهم بعلوم ليست عندهم، ولذلك أمر أمته بالرجوع إليهم، وجعل الأمان والنجاة والأمن من الضلال في التمسك بهم.

وقد احتج بروايات رجال الشيعة جمع من علماء أهل السنة[٢] رواة أحاديث الشيعة الأثبات الثقات معروفون في كتب

---

(١) راجع تفصيل هذه المسألة في كتاب «المستصفى من علم الأصول: ج ٢، ص ١٠٤ و ١٠٥» و «عدة الأصول: ص ٢٩٤ و ٢٩٥».

(٢) قال العلامة المحدث أبو الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الحسني

الرجال، ومن راجع كتب الجرح والتعديل للشيعة يقف على اهتمامهم بتعرف أحوال الرجال، وعدم احتجاجهم بأحاديث الضعاف سواء كان الراوي شيعياً أم سنياً، ولو كان للخطيب أدنى خبرة بكتب الشيعة لعلم مبلغ اعتنائهم بتحقيق حال الرواة، ولو قرء كتاب «تأسيس الشيعة» لعرف تقدمهم في علم الحديث، والفحص عن أحوال الرواة وسائر الفنون الإسلامية.

والأصول التي يعتمد عليها الشيعة في استخراج الأحاديث الصحاح والحسان في غاية المتانة والإنضباط، والحاصل أن كثيراً من الروايات المأثورة في أخبارهم عن الحوادث المستقبلة والأمور الغيبية من صحاح الأحاديث، رواها الثقات بأسناد عالية. ولا يرتاب المتتبع في تواترها إجمالاً بل بعضها متواتر تفصيلاً، وإنكار جميع هذه الروايات زلة كبيرة، فمن أين علم الخطيب أن جميع رواة هذه الأحاديث معروفون بالكذب، ومن أين اطلع على جميع تلك الأحاديث ورواتها، مع أنه لايعرف من أسماء كتب الشيعة

←

المغربي: قد جمع الحافظ أسماء من روى لهم البخاري منهم (يعني من الشيعة فسمى نحو السبعين: وما أراه استوعب.

وأما صحيح مسلم ففيه أكثر من ذلك بكثير حتى قال الحاكم: إن كتابه ملآن من الشيعة، راجع كتاب (فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي: ص ١٠٦، من طبعته الثانية) وهذا الكتاب نفيس جداً يجب على الباحث أن يقرأه لأن فيه من البحوث العلمية والفوائد الرجالية ما ربما لا يوجد في غيره.

واحداً من الألوف، وفي أي كتاب ذكر علماء الجرح والتعديل من أهل السنة أن جميع رواة تلك الأحاديث كانوا كذبة، ولم لم يأت بأسماء هؤلاء المعروفين؟ وهذه أخبار أمير المؤمنين علي عليه السلام عن المغيبات مخرجة في كتب أهل السنة في التاريخ والحديث، وبعضها ثابت بالتواتر التفصيلي وبعضها بالتواتر الإجمالي.

والعجب من جماعة يثبتون لرؤساء الصوفية والدراويش أخباراً عن الأمور الغيبية، وكرامات يأبى العقل قبولها، ثم يستبعدون ما صدر عن أئمة أهل البيت مثل أمير المؤمنين وسبطي رسول الله، والسجاد والباقر وغيرهم أعدال الكتاب، وعدول أهل البيت الذين بشر النبي صلى الله عليه وآله بأنهم ينفون عن الكتاب تحريف الغالين، وإبطال المبطلين، ويقدحون في رجال هذه الأخبار بأنهم كانوا كذبة، مع أنه لا ذنب لهم إلا روايتهم بعض فضائل أهل البيت والنصوص المأثورة في إمامتهم وعلومهم من الأحاديث التي كانت روايتها في عصر الأمويين والعباسيين من أكبر الجرائم السياسية.

وقد أشبعنا الكلام في ذلك في كتاب أفردناه لإثبات حجية روايات أصول الشيعة، ووجوب الرجوع إليها والتمسك بها في الفقه، كما قد أفردنا لتخريج مناقب كل واحد من الأئمة الإثنى عشر وتاريخ حياتهم عن كتب أهل السنة كتاباً «لكل واحد من الأئمة كتاباً». نسأل الله تعالى أن يوفقنا لإتمامها ونشرها.

افتراء الخطيب على الشيعة بالتملق للحكومات و تـدخل الخواجة و ابـن العـلقمي في فاجـعة بغـداد

نسب الخطيب في ص ٢٤ إلى الشيعة أنهم يتملقون أيَّ حكومة من الحكومات الإسلامية بألسنتهم إذا كانت قوية ، فإذا ضعفت أو هوجمت من عدو انحازوا إلى صفوفه ، واستشهد أخيراً على خروج المغول وما صدر منهم في بغداد من سفك الدماء وهتك الأعراض ، وغيرها من الجرائم العظيمة ، واتهم حكيم الشيعة وفيلسوف الإسلام الخواجة نصير الدين الطوسي الشهير ، وابن أبي الحديد المعتزلي من السنة ، وابن العلقمي مؤيد الدين الوزير بالتدخل في هذه الفاجعة إلخ .

كان الاولى أن يترك الكلام عن أفعال الشيعة، وما صدر بزعمه عنهم فإن عقيدة طائفة ورأيها شيء وعملها شيء آخر، وربما لا يوافق أعمال بعض الناس عقيدتهم، ولا يجوز الإعتماد في استنباط آراء الفرق وعقايدهم على مجرد أعمال بعضهم، فإنه ما من قوم إلا ويوجد فيهم من يخون قومه، ويقدم على ضرر أُمته، ولو جعلنا تاريخ الإسلام نصب أعيننا لعثرنا على خيانات كثيرة من عصر الرسالة إلى هذا الزمان صدرت من المنافقين وفساق المسلمين، وأولئك الذين أوهن قلوبهم حب الدنيا وكراهية الموت.

وهل تأخر المسلمون عن غيرهم إلا لخيانات صدرت من عمال السياسة وعبدة الرياسة وأتباع الشيطان، أنظر بعينك أيها المنصف إلى الملأ الإسلامي، وانظر إلى القواد العملاء والأمراء العبيد للإستعمار الذين لم تقع الأُمة فيما وقعت فيه إلا بخياناتهم افترى سبباً لبقاء الحكومة الغاصبة الإسرائيلية التي أنشأها المستعمرون في بلاد المسلمين غير خيانة بعض الحكام والأمراء؟ أنسيت ما فعلت يد الخيانة بالجيش المصري في حكومة فاروق؟ ألم تقرأ في الصحف والمجلات خيانات تصدر من بعض رؤساء الحكومات المسمات بالإسلامية على الإسلام وأبنائه؟ ألم يقرع أذنك ما وقعت فيه الأُمة في الحرب العالمية الأولى بسبب خيانة بعض القواد وطلاب الرياسة والحكومة، فتمزقت الوحدة الإسلامية، وتأسست في كل قطر حكومة ضعيفة مستعمرة،

وأصاب المجتمع الإسلامي ما أصاب حتى ألغى بعض تلك الحكومات سنن ديننا الحنيف في جميع الشؤون الحكومية، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولو نظرت إلى التاريخ وقايست بين الشيعة وأهل السنة في ذلك لطمست ما كتبت أيها الخطيب، ولعلمت أن أي الفريقين أحق باللوم والتوبيخ.

ومما هو جدير هنا بالذكر نموذجاً لهذه المخاصمات التي أذهبت مجد المسلمين وسلطانهم ما أصاب الناس من القتل والسبي والنهب عند افتتاح جيوش التتار بلدة إصبهان، وذلك بعد أن عجزوا عن افتتاحها ونزلوا عليها مراراً في سنة سبع وعشرين وستمأة، ووقع الحرب بينهم وبين أهلها، وقتل من الفريقين خلق كثير، ومع ذلك لم يبلغوا التتار غرضهم حتى وقع الإختلاف بين أهل إصبهان في سنة ثلاث وثلاثين وستمأة وهم طائفتان: حنفية وشافعية، وبينهم حروب متصلة، وعصبية ظاهرة، فخرج قوم من أصحاب الشافعي إلى من يجاورهم من التتار، فقالوا لهم: اقصدوا بلدنا حتى نسلمه إليكم، وكان ذلك في سلطنة ابن چنكيز خان قاآن، فأرسل جيوشاً نزلوا على إصبهان في سنة ثلاث وثلاثين المذكورة، فحصروها فاختلف سيفا الشافعية والحنفية في المدينة حتى قتل كثير منهم، وفتحت أبواب المدينة، فتحها الشافعية على عهد كان بينهم وبين التتار أن يقتلوا الحنفية، ويعفو عن الشافعية، فلما دخلوا البلد قتلوهما جميعاً وبدأوا بالشافعية فقتلوهم قتلاً ذريعاً، ولم

يقفوا مع العهد الذي عهدوه لهم، ثم قتلوا الحنفية ثم قتلوا سائر الناس، وسبوا النساء وشقوا بطون الحبالى، ونهبوا الأموال، وصادروا الأغنياء ثم أضرموا النار فأحرقوا إصبهان حتى صارت تلولا من الرماد[1] وأمثال هذه الحادثة بين أرباب المذاهب ليست بقليلة، مثل الفتنة الكبرى التي هاجت ببغداد لاختلاف الحنابلة وغيرهم في معنى قوله تعالى: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾[2]

فقالت الحنابلة؛ معناها يقعده الله على عرشه، وقال غيرهم بل هي الشفاعة ودام الخصام، واقتتلوا حتى قتل جماعة كثيرة[3] ومع ذلك لا لوم على جميع أهل هذه المذاهب، إنما اللوم والذنب على سفهائهم وجهالهم، وعلى الذين اتخذوا هذه المذاهب سبباً للإختلاف والتفرقة بين المسلمين وتفسيق غيرهم من ساير الفرق، وجعلوها وسيلة لتحقيق أغراضهم الدنية.

ثم إن التملق لأرباب السلطة والحكومات كيف صار من خصائص الشيعة، وكيف نسي تملق بعض السنيين من الحكومات في عصر الأمويين والعباسيين، فاقرأ دواوين الشعراء وانظر إلى جماعة زينوا للناس قبائح أعمال الأمراء في تلك العصور المظلمة، وانظر إلى العلماء والمحدثين الذين لم يطعنوا في سيرة هؤلاء وتركوا نصيحتهم، ولم يطلبوا منهم الرجوع إلى الكتاب والسنة في حين أنهم يفتون بوجوب إطاعتهم، ويعدون الخروج عليهم من

---

(١) شرح نهج البلاغة الحديدي: ج ٨، ص ٤٦٤.

(٢) الاسراء / ٧٩.

(٣) تاريخ الخلفاء: ص ٢٥٥.

أعظم المحرمات، فلو تملق بزعم الخطيب بعض الشيعة لجبابرة الملوك عملاً بالتقية وحقناً للدم، وحفظاً للعرض تملق بعض السنيين للحطام الدنيوي، والزخارف الفانية، ويكفيك مثلاً وشاهداً ما وقع لغياث بن إبراهيم النخعي حيث دخل على المهدي العباسي فوجده يلعب بالحمام فساق في الحال إسناداً إلى النبي صلى الله عليه وآله أنه قال (لاسبق إلا في نصل أو خف أو حافر أو جناح) اتباعاً لهوى المهدي، فأمر له المهدي ببدرة، فلما قام قال المهدي: اشهد على قفاك إنه قفا كذاب على رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم أمر بذبح الحمام لكن لم يتعرض له ولم يأخذ ما أعطاه، حتى فعل نحواً من ذلك مع هارون الرشيد(١).

وخبر شق أبي البختري وهب بن وهب أمان الرشيد ليحيى ابن عبد الله بن الحسن بالسكين، فوهب له هارون بذلك ألف ألف وستمأة ألف، وولاه القضاء(٢) ونظائر ذلك كثيرة لا سيما في استيلاء بني أمية وبني العباس.

وإذا كان هذا حال بعض السنيين فهل يجوز أن يسند ذلك إلى جميعهم؟ وهل تجد قوماً أو أُمة لم يكن فيهم أمثال هؤلاء؟ فلا يجوز لأهل السنة مؤاخذة الشيعة على ما صدر عن بعضهم كما لا

---

(١) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث: ص ٨٦ ـ نخبة الفكر: ص ٦١ و ٦٢ ـ نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر: ص ٦١ ـ تاريخ الخلفاء ص ١٨٣ ـ أخبار مكة المشرفة: ج ٣، ص ٩٨.

(٢) مقاتل الطالبيين: ص ٤٨٠.

يجوز للشيعي أيضاً أن يؤاخذ السني بأعمال الحجاج ومسلم بن عقبة وغيرهما من الجبابرة.

هذا ولا ريب في أن استيلاء التتار على بغداد كان من أعظم مصائب المسلمين في التاريخ ولكن هل كان ابتلاؤهم بهذه الفاجعة أعظم أم ابتلاؤهم بحكومة معاوية، ومحاربته أمير المؤمنين علياً عليه السلام؟ فما ترتب بعد على حادثة ما ترتب على أفاعيل معاوية ومحاربته علياً عليه السلام من المفاسد.

قال أحد كبار علماء الألمان في الأستانة لبعض المسلمين وفيهم أحد شرفاء مكة: إنه ينبغي لنا أن نقيم تمثالاً من الذهب لمعاوية ابن أبي سفيان في ميدان كذا من عاصمتنا «برلين».

قيل له لماذا؟ قال:

لأنه هو الذي حول نظام الحكم الإسلامي عن قاعدته الديمقراطية إلى عصبية الغلب، ولولا ذلك لعم الإسلام العالم كله، ولكنا نحن الألمان وساير شعوب أوربة عرباً مسلمين[١].

---

(١) تفسير المنار: ج ١١، ص ٢٦٠.

كارثة خروج المغول واستيلائهم على بلادالمسلمين واسباب سقوط بغداد

قال اللّه تعالى:

﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾[1].

تحكموا واستطالوا في حكومتهم	وعن قليل كأن الحكم لم يكن
لو أنصفوا أنصفوا لكن بغوا فبغى	عليهم الدهر بالآفات والمحن
وأصبحوا ولسان الحال ينشدهم	هذا بذاك ولا عتب على الزمن

كانت حادثة خروج التتار حادثة عظمى، ومصيبة كبرى، عمت الخلائق وخص المسلمون بشدة بلائها، لم يطرق الأسماع بمثلها، شوهت تاريخ الإنسانية وما قيل في شرحها من قتل العلماء والصلحاء، والخواص والعوام، وتخريب البلاد، وشق بطون

---

(١) الإسراء / ١٦

الحوامل، وقتل الأجنة، وهدم الجوامع والمعابد، وإحراق الكتب وهتك الأعراض في كل مدينة افتتحوها ليس إلا إجمال عن تفاصيل هذه الأحوال، فشملت الفتنة المسلمين وممالك الإسلام: ﴿فإنا لله و إنا إليه راجعون﴾ و كانت مدينة بغداد من البلاد التي أصيبت في هذه الحادثة بأشد المظالم، وبلغ عدد من قتل فيها على ما قيل أكثر من مليون نسمة، بل قيل: إنه لم يسلم إلا من اختفى في بئر أو قناة، ووقع فيها من القتل الفظيع وهتك الأعراض ونهب الأموال وغرق الناس في دجلة وضياع الكتب ماقل نظيره في تاريخ العمران، ولم تكن خسارة الشيعة في هذه الكارثة ـ لافي بغداد ولا في غيرها من بلاد خراسان وما وراء النهر ـ بأقل من خسارة أهل السنة، فقتلوا فيمن قتل، وكان في القتلى من الأشراف والفاطميين ما لا يحصى.

وكان من أقوى أسباب انهزام المسلمين[١] ما حدث بينهم

---

(١) من الجدير بالذكر: أن أسباب هذه الفاجعة لم تتولد جميعها في زمن المستعصم، وإنما كان لها جذور تاريخية ذات صلة وثيقة بحصول هذه المأساة نجمت واكتمل نموها في زمن الخليفة المذكور، فأدت إلى ما أدت إليه من الفظائع والآلام.

وكان عدم قيام خلافة هؤلاء الخلفاء على أسسها الرشيدة الإسلامية عنصر شر كبير في وقوع هذه الكوارث والمحن التي قضت على عزة الإسلام وتقدم المسلمين فلم يكن المنهج الذي انتهجوه في سياسة الحكم المال وغيرها موافقا لمنهج الإسلام العادل في الحكم والمال، بل جددوا سيرة السلاطين والملوك الأكاسرة والقياصرة، وشر من هؤلاء من صوب حكوماتهم واعتبرها شرعية ولم ينكر، عليهم وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

من المنازعات والحروب الداخلية، والرغبة في الملك والسلطان، وانهماكهم في المعاصي والشهوات، وضعف الخلفاء في تدبير الأمور،[١] وظهور العصبيات الباردة في المسائل الكلامية، والخلافات المذهبية،[٢] واشتغال أرباب المناصب بالملاهي وتكبر الخليفة المستعصم، وبخله بالأموال، فكان كما وصفه في تاريخ الخلفاء[٣] تائها في لذاته لا يطلع على الأمور، وليس له غرض في المصلحة.

وقال ابن كثير: ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة، استهلت هذه السنة، وجنود التتار قد نازلت بغداد صحبة الأميرين اللذين على مقدمة عساكر سلطان التتار هولاكوخان ـ إلى قوله ـ وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب، حتى

---

(١) فالخليفة العباسي الناصر لدين الله هو الذي يقال إنه كاتب التتار وأطمعهم في البلاد «راجع تاريخ الكامل: ج ٩، ص ٣٦١، وابن‌كثير: ج ١٣، ص ١٠٧، والأعلام للزركلي: ج ١، ص ١٠٦، وروضة الصفا: ج ٥، ص ٧٨ و ٧٩».

(٢) قال الصفدي في «الوافي بالوفيات ج ١، ص ٢٨٠» في ترجمة البروي الشافعي أحد المشاهير المشار إليهم بالتقدم في النظر وعلم الكلام والفقه وكان يبالغ في ذم الحنابلة، وقال: لو كان لي أمر لوضعت عليهم الجزية فجاءته امرأة في الليل بصحن حلوى قالت: أنا أغزل وأبيعه، وقد اشتريت هذا الصحن وهو حلال وأريد أن يأكل الشيخ منه، فأكله هو وزوجته وولد له صغير فأصبحوا موتى. فانظر كيف ضرب الإختلاف المذهبي بعض المسلمين ببعض، وكيف نسوا ما ذكروا به.

(٣) ص ٣٠٩.

أصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه، وكانت من جملة حظاياه، وكانت مولدة تسمى عرفة جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها، وهي ترقص بين يدي الخليفة فانزعج الخليفة من ذلك، وفزع فزعاً شديداً[١].

وقال ابن الطقطقي في «الفخري في الآداب السلطانية»:[٢] كان المستعصم آخر الخلفاء شديد الكلف باللهو واللعب، وسماع الأغاني، لا يكاد مجلسه يخلو من ذلك ساعة واحدة، وكان ندماؤه وحاشيته جميعهم منهمكين معه على التنعم واللذات، لا يراعون له صلاحاً، وفي بعض الأمثال (الخائن لا يسمع صياحاً)، وكتب له الرقاع من العوام وفيها أنواع التحذير وألقيت وفيها الأشعار في دار الخلافة فمن ذلك «مجتث».

قل للخليفة مهلاً ... أتاك مالا تحب
هاقد ثهتك فنون ... من المصائب عزب
فانهض بعزم وإلا ... غشاك ويل وحرب
كسر وهتك وأسر ... ضرب ونهب وسلب

وفي ذلك يقول بعض شعراء الدولة المستعصمية من قصيدة أولها:

يا سائلي ولمحض الحق يرتاد ... أصغ فعندي نشدان وإنشاد

---

(١) البداية والنهاية: ج ١٣، ص ٢٠٠.

(٢) صـ٣٣.

واضيعة الناس والدين الحنيف وما تلقاه من حادثات الدهر بغداد
قتل، وهتك، وأحداث يشيب بها رأس الوليد، وتعذيب وإصفاد[١]

كل ذلك، وهو عاكف على سماع الأغاني، واستماع المثالث والمثاني، وملكه قد أصبح واهي المباني، ومما اشتهر عنه أنه كتب إلى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يطلب منه جماعة من ذوي الطرب، وفي تلك الحال وصل رسول السلطان هلاكو إليه، يطلب منه منجنيقات وآلات الحصار، فقال بدر الدين: انظروا إلى المطلوبين وابكوا على الإسلام وأهله، وبلغني أن الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي كان في أواخر الدولة المستعصمية ينشد دائماً «خفيف»:

كيف يرجىٰ الصلاح من أمر قوم ضيعوا الحزم فيه أي ضياع
فمطاع، وليس فيه سداد و سديد المقال غير مطاع

«انتهىٰ كلام الفخري».

وكان من حبه للمال أن الملك الناصر داود المعظم أودع عنده في سنة سبع وأربعين وديعة قيمتها مائة ألف دينار، فجحدها الخليفة، فاستقبح هذا من مثله، وهو مستقبح ممن دونه بكثير، بل

---

(١) قبله:

إن جئت يثرب أو شارفت ساحتها فقل لمن أنزلت في حقه صاد
الكفر أضرم في الإسلام جذوته وليس يرجىٰ لنار الكفر أخماد

يراجع «تاريخ بن الفوطي البغدادي» الموسوم «بالحوادث الجامعة: ص ٣٢١».

من أهل الكتاب مَن إن تأمنه بقنطار يؤده إليك[١].

وكان من بخله أن فارق كثير من الجند بغداد لانقطاع أرزاقهم، ولحقوا ببلاد الشام في سنة خمسين وستمائة[٢].

وكان من قلة تدبيره وضعفه تركه ما أشار عليه به الوزير من المهادنة وإرسال التحف والهدايا إلى هلاكو وخواصه وقواده، بعد ما قبل أولاً فترك الحزم واقتصر على إنفاذ شيء يسير،[٣] وأخذ برأي أعداء الوزير وحساده، فإنهم خطأوه وشجعوا الخليفة على الحرب وترك المهادنة[٤] وقد كان أبوه المستنصر قد استكثر من الجند جداً، ومع ذلك كان يصانع التتار ويهادنهم ويرضيهم[٥]، ولعله لو

---

(١) يراجع تاريخ ابن كثير: ج ١٣، ص ٢٠٥ و ٢١٤.

(٢) تاريخ ابن الفوطي: ص ٢٦١.

(٣) قال في «تاريخ مختصر الدول: ص ٢٦٩» ولما فتح هلاكو تلك القلاع أرسل رسولاً آخر إلى الخليفة، وعاتبه على إهماله تسيير النجدة، فشاوروا الوزير فيما يجب أن يفعلوه فقال: لا وجه غير إرضاء هذا الملك الجبار ببذل الأموال والهدايا والتحف له ولخواصه، وعندما أخذوا في تجهيز ما يسيرونه من الجواهر والمرصعات والثياب، والذهب والفضة، والمماليك والجواري، والخيل والبغال والجمال، قال الدويدار الصغير وأصحابه: إن الوزير إنما يدبر شأن نفسه مع التاتار وهو يروم تسليمنا إليهم فلا نمكنه من ذلك فبطل الخليفة بهذا السبب تنفيذ الهدايا الكثيرة، واقتصر على شيء نزر لا قدر له، فغضب هولاكو إلخ.

(٤) وراجع تاريخ ابن كثير: ج ١٣، ص ٢٠٠، وروضة الصفا: ج ٥، ص ٢٤٠ و ٢٤١ والحوادث الجامعة: ص ٣١٩ جامع التواريخ: ج ٢، ص ٧٠٢، وذيل تاريخ جهانگشا: الجويني: ج ٣، ص ٢٨٠ و ٢٨١.

(٥) تاريخ الخلفاء: ص ٣٠٩.

قبل هذه النصيحة، وسلك على منهاج أبيه لدفع عن المسلمين هذه المصيبة العظمى.

ويظهر مما أنشأه الشيخ الأديب الشاعر سعدي الشيرازي في مرثية المستعصم أن الملك أبابكر بن سعد الزنكي أيضاً أشار إلى المستعصم بالمصانعة والمهادنة فلم يقبل نصيحته، وقد دفع هذا الملك التتار بالمصانعة والتدبير عن بلاد فارس.

وذكروا[١] من تكبر الخليفة أنه كان في طريق بلاطه حجر كالحجر الأسود عليه غطاء أطلس أسود، وكان الملوك والسلاطين وكبراء الناس وغيرهم يزورون ذلك الغطاء ويستلمون الحجر، وذكروا أن العالم المتورع مجد الدين إسماعيل الفالي الذي أرسله أتابك مظفر الدين سعد رسولاً إلى الخليفة امتنع عن تقبيل الحجر المذكور ـ ونعم ما فعل فإنه يجب على كل مسلم موحد مؤمن بالله ورسوله أن يمتنع عن ذلك ـ فلما ألزموه وضع المصحف الشريف على الحجر وقبل المصحف.

ومن أفظع الوقايع الحادثة في خلافة المستعصم تخريب محلة الكرخ في بغداد، وقتل جماعة كثيرة من الشيعة من بني هاشم وغيرهم، ونهب أموالهم وأسر البنات، وحملهن عاريات على الخيول في السوق بأمر أبي العباس أحمد بن المستعصم[٢].

---

(١) روضة الصفا: ج ٥، ص ٢٣٥ و ٢٣٦، تاريخ وصاف الحضرة: ص ٢٧.

(٢) يراجع في ذلك تاريخ روضة الصفا: ج ٥، ص ٢٣٦ ومجالس المؤمنين: ←

وعلى كل حال احتمال كون اتهام الوزير العلقمي بالمواضعة مع هلاكو من مختلقات المتعصبين[١] وأعداء

←

ص ٤٣٧ والفخري: ص ٢٤٤ وتاريخ ابن كثير: ج ١٣، ص ١٩٦ وتاريخ ابن الفوطي: ص ٣١٤ ـ وقد استبيحت دماء الشيعة ووضع السيف فيهم في بغداد غير مرة، فراجع تاريخ ابن الأثير وغيره حتى تعلم ما فعلت جهالات السفهاء وعصبياتهم الباطلة، فمن ذلك ما ذكره ابن الأثير في حوادث سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة، فاقرأ في تاريخه تفصيل هذه الحادثة وما ظهر من الجهال من سوء الأدب إلى المشهد الكاظمي عليه السلام والحرب والحرق والهدم والقتل وما جرى من الأمر الفظيع مما لم يجر في الدنيا مثله، مما قد تركنا ذكر تفاصيله حذراً من جرح عواطف الشيعة ونكتفي بذكر أبيات من قصيدة أنشأها المؤيد في الدين أبو نصر هبة الله بن موسى بن أبي عمران في هذه الحادثة.

ألا ما لهذا السماء لا تمور	وما للجبال ترى لا تسير
فموسى يشق له قبره	ولما أتى حشره والنشور
ويسعر بالنار منه حريم	حرام على زائريه السعير
وتقتل شيعة آل الرسول	عتواً وتهتك منهم ستور
فوا حسرتا لنفوس تسيل	ويا غمتا لرؤوس تطير

وقد جرى على الشيعة مثل هذه الحادثة الفظيعة في سنة خمس وأربعين وأربعمائة وفي غيرها.

(١) والذي ظهر لي بعد الفحص الكثير في التواريخ سيما التواريخ المؤلفة في القرن السابع الذي وقعت فيه هذه الفاجعة ـ ككتاب مختصر تاريخ الدول، والحوادث الجامعة، وجامع التواريخ، ورسالة كتبها الخواجه نصير الدين في شرح هذه الحادثة ـ التي ـ ينبغي أن تعد من أوثق المصادر بل أوثقها في هذه الواقعة ـ أن نسبة المؤامرة إلى الوزير مع هلاكو إنما صدرت

←

←

من حساده وأعدائه، كالدويدار الصغير وأتباعه ممن يريدون الإستبداد بالأمور، فألقوا في الألسنة والأفواه مؤامرة الوزير واتهموه بالخيانة لا لأنه شيعي والدويدار سني بل لأن الوزير كان واقفاً قبال نواياهم ويمنعهم من الإستيلاء على الأمور والإستبداد، ولذلك لم ير الدويدار والشرابي بعد وفاة المستنصر تقليد الخفاجي الأمر، وهو الذي كان فيه شهامة وشجاعة زائدة وكان يقول: لئن وليت لأعبرن بالعسكر نهر جيحون، وآخذ البلاد من أيدي التتار وأستأصلهم، فآثروا المستعصم للينه وانقياده ليكون لهم الأمر، «تاريخ الخلفاء: ص ٣٠٦ و ٣٠٨» ولم يقنع الدويدار بذلك حتى عمل على خلع المستعصم، والمبايعة لولده «تاريخ ابن الفوطي: ص ٢٤٩» ويظهر من التواريخ أن الخليفة الضعيف المستضعف كان عاجزاً عن دفع أمثال الدويدار وقطع أيديهم عن الأعمال، وكان الدويدار لا يعتني بمقام الوزير ولم يكن للوزير مع الدويدار وأتباعه كثير تمكن في تمشية الأمور، وإنفاذ تدبيراته الحكيمة، والمترجح في النظر أنه لم يرد أحد من هؤلاء الأمراء لا ابن العلقمي ولا الدويدار ولا غيرهم تغلب التتار على بغداد، ولكنهم تركواالحزم ولم يَدَعوا قبال هذه الحادثة العظمى اختلافاتهم، فمنع الدويدار الصغير الخليفة عن العمل برأي الوزير واتهمه تارة بالخيانة وأخرى بالحمق والسفاهة، وقال: لحيته طويلة، لأنه يرى أن تدبير الوزير لدفع شر التتار لو نجح لصار سبباً لزيادة تقربه إلى الخليفة، وخلاصة الكلام أن المتتبع في كتب التواريخ يعرف أن ما أشار الوزير على الخليفة كان عين المصلحة، وأدى به النصيحة، ولو عمل بها لما وقعت هذه المذبحة العامة، وربما لا يجد في مثل تاريخ «مختصر تاريخ الدول» لابن العربي (ت:١٢٨٦ م) ورسالة الخواجة التي كتبها في شرح هذه الواقعة وتاريخ ابن الفوطي (ت: ٧٢٣ هـ) و «جامع التواريخ» لرشيد الدين فضل الله الوزير (من أعلام القرن

←

الشيعة قريب جداً لا يدفعه شيء، وإسناد الإشتراك في هذه الجرائم الفظيعة إلى أحد من المسلمين من غير دليل قطعي لايجوز عند العقل والشرع.

ولأجل زيادة التوضيح ننقل كلام «ابن الطقطقي» في الفخري (ص ٢٤٦) قال: كان «يعني العلقمي» رجلاً فاضلاً كاملاً لبيباً كريماً وقوراً محباً للرياسة، كثير التجمل، رئيساً متمسكاً بقوانين الرياسة، خبيراً بأدوات السياسة، لبيق الأعطاف بآلات الوزارة، وكان يحبُّ أهل الأدب، ويقرب أهل العلم، اقتنى كتباً كثيرة نفيسة (إلى أن قال)، وكان مؤيد الدين الوزير عفيفاً عن أموال الديوان وأموال الرعية، متنزهاً مترفعاً. قيل: إن بدر الدين صاحب الموصل أهدى إليه هدية تشتمل على كتب وثياب ولطائف قيمتها عشرة آلاف دينار، فلما وصلت إلى الوزير حملها إلى خدمة الخليفة وقال: إن صاحب الموصل قد أهدى لي هذا، واستحييت منه أن أرده إليه،

←

السابع وأوايل القرن الثامن) من المصادر والكتب التي ألفت في القرن الذي وقعت فيه هذه الحادثة ذكراً ولا أثراً من مؤامرة، فلا حقيقة تحت هذه النسبة إلا إذا أخذ نا بقول بعض الكتاب «الكذبة إذا شاعت أصبحت حقيقة».

إذا فلا ينبغي لمسلم أن يتهم غيره بمجرد المزاعم والنقول التي لا سند لها ولا يعتمد عليها.

هذا ما ظهر لي بعد التتبع والتأمل التام وأشهد اللّه تعالى أني لا أقول ما أقول في ذلك لأن ابن العلقمي كان شيعياً، فليس قصدي إلا انشد ان الواقع والحقيقة، وتطهير النفوس عن البغضاء والشحناء ولا قوة إلا باللّه.

وقد حملته وأسأل قبوله فقبل، ثم إنه أهدى إلى بدر الدين عوض هديته شيئاً من لطائف بغداد قيمته اثنا عشر ألف دينار، والتمس منه أن لا يهدي إليه شيئاً بعد ذلك.

وكان خواص الخليفة جميعاً يكرهونه ويحسدونه، وكان الخليفة يعتقد فيه ويحبه، وكثروا عليه عنده، فكف يده عن أكثر الأمور، ونسبه الناس إلى أنه خامر وليس ذلك بصحيح، قال[1]: وفي آخر أيامه قويت الأراجيف بوصول عسكر المغول صحبة السلطان هلاكو فلم يحرك ذلك منه «يعني المستعصم» عزماً ولا نسبه منه همة، ولا أحدث عنده هماً، وكانْ كلما سمع عن السلطان من الإحتياط والإستعداد شيء ظهر من الخليفة نقيضه من التفريط والإهمال (إلى أن قال) وكان وزيره مؤيد الدين ابن العلقمي يعرف حقيقة الحال في ذلك، ويكاتبه بالتحذير والتنبيه، ويشير عليه بالتيقظ والإحتياط والإستعداد، وهو لا يزداد إلا غفولاً، وكان خواصه يوهمونه أنه ليس في هذا كبير خطر «إلخ».

وليس عندي ببعيد انْ نسبة الخيانة إلى الوزير العلقمي صدرت أولاً من بعض المتعصبين كما أسلفنا الإيعاز إليه، ثم نقلها بعض الشيعة ممن جرح عواطفهم ما صدر من العباسيين وعمالهم على الشيعة من سلب الحرية والإضطهاد، والقتل والتعذيب، مما تقشعرُ من ذكره الأبدان، فكانه أراد بنقل ذلك شفاء ما في صدره من هذه الأعمال الفجيعة، والسياسات الظالمة، ومن نقلها من السنيين

---

(١) ص ٢٤٤.

لم يسندها إلى مصدر معتبر موثوق به، ولم أعثر في كتب التراجم والمعاجم الشيعية ذكراً لهذه النسبة، فضلاً عن الإفتخار به، ولو كان فيهم من يفتخر بذلك (العياذ بالله) لذكروا في كتبهم المؤلفة في عصر الخواجة والعلقمي، وهذه كتب العلامة الحلي في الإمامة وخلاف الأمة ليس فيها ذكر عن ذلك؛ مع أنه كان من تلامذة الخواجة في المعقول، نعم في الأعصار الأخيرة ذكر ذلك القاضي نور الله الشهيد المتوفى س ١٠٢١ في مجالس المؤمنين، وتبعه مؤلف روضات الجنات المتوفى س ١٣١٣ من غير استناد إلى أصل موثوق به، وسواء أكان تدخل العلقمي في هذه الحادثة معلوماً أم مشكوكاً فأصول الشيعة تأبى عن الرضا بهذه الكارثة، وماجرى فيها من القتل العام، وذبح المسلمين والمسلمات، فالشيعي لا يجوِّز قتل مسلم واحد سنيا كان أو شيعياً إلا بالحق، فكيف يرضى بهذه المذبحة العامة وقتل الشيوخ والأطفال، وتغلب الكفار على المسلمين، وليس في فقهاء الشيعة من أفتى بجواز قتل واحد من أهل السنة لأنه سني، فضلاً عن قتل عامة أهل بغداد مع ما فيهم من العلماء والأشراف من السنيين والشيعيين، وأما الخواجه نصير الدين المحقق الطوسي فشأنه أجل وأنبل من التدخل في هذه الفاجعة، وقد كان هلاكو قبل استخلاصه الخواجة من يد الإسماعيلية أرسل إلى الخليفة وطلب منه أن يعينه بالجنود والعساكر، وكان غرضه من ذلك توطئة الوسيلة للخروج عليه، وفتح بغداد كغيره من البلاد، ولم يكن لمنع الخواجه في فسخ عزيمته

قليل تأثير، فهو وإن كان مكرماً عنده ظاهراً، وكان هلاكو يفتخر بوجوده في البلاط السلطاني، وأراد أن ينتفع بعلمه وحكمته، لكن لم يكن الخواجة ممن لازم السطان وصحبه بالإختيار، بل كان مكرها مجبوراً في ذلك، لم يكن له بد من صحبة السلطان، وما كان حاله عند هلاكو أحسن من حاله عند الإسماعيلية.

ومما يبعد نسبة وجود مواضعة بين هذا الفيلسوف وابن العلقمي أن ابن العلقمي كتب إلى الأمير ناصر الدين المحتشم أن نصير الدين الطوسي قد ابتدأ بمكاتبة الخليفة، وأنشأ قصيدة في مدحه، وأراد الخروج من عندك، وهذا لا يوافق الرأي فلا تغفل عن هذا، فلما قرء المحتشم كتابه حبس المحقق(١).

وعلى كل حال فمثل هذا الحكيم الفيلسوف الذي قلما يجود الزمان بمثله في العلم والأخلاق، والفضائل النفسانية، والكمالات الإنسانية، ويضرب به المثل في التواضع والحلم، والرحمة البشرية، لا يقدم على أمر لا يقدم عليه إلا من ألقى جلباب الإنسانية عن نفسه، ورفع اللّٰه الرحمة عن قلبه، وأين هذا من رجل كان معلم الأخلاق، ولايزال يكون تصانيفه فيالحكمة العملية من مصادر التربية، وتعليم إصلاح الباطن وتهذيب النفس(٢).

---

(١) تاريخ وصاف الحضرة: ص ٢٩ و ٣٠ ـ مجالس المؤمنين: ص ٣٤٠.

(٢) قال ابن كثير في تاريخه: (ج ١٣، ص ٢٦٧) وعندي أن هذا لا يصدر من ←

نعم ليس لمثل الخواجة ذنب غير حب أهل البيت، فصار بهذا الذنب غرضاً لسهام الجهال، كما أن الشارح المعتزلي السني الذي توفي قبل استيلاء المغول على بغداد[١] ليس له ذنب غير شرح نهج البلاغة، وما أبان فيه من الحقايق التاريخية، وفضائل أهـل البيت، ومثالب مبغضيهم، فلم يحرمه الخطيب من افتراءاته، ونسب إليه الإشتراك في هذه الفاجعة، ولم يسند ذلك إلى أي كتاب من كتب التراجم والتاريخ، ولم يأت في تحامله على هذا الشرح الذي يعد من نفائس كتب المسلمين في الأدب والتاريخ واللغة، والكلام وغيرها، إلا بالفحش والشتم، والخروج عن أدب الكتابة.

هذا مختصر الكلام حول هذه الحادثة وأسبابها، ولا ريب أنها من أعظم عبر التاريخ، ويجب على المسلمين الإعتبار بها وإن يعرفوا ضرر التنازع والتدابر، والإنهماك في المعاصي، والإشتغال بالملاهي والملذات.

﴿وما كان الله لِيَظلمهُم، ولكن كانُوا أنفسهم يظلمون﴾[٢].

←

عاقل ولا فاضل، وقد ذكره بعض البغاددة فأثنى عليه، وقال: كان عاقلاً فاضلاً كريم الأخلاق.

(١) فإن سقوط بغداد كانت في سنة ٦٥٦ وابن أبي الحديد توفي سنة ٦٥٥ «تاريخ ابن كثير: ج ١٣، ص ١٩٩ و ٢٠٠».

(٢) العنكبوت / ٤٠

من عجيب افتراءات الخطيب على الشيعة

لم يدع الخطيب شيئاً من الإفتراء والبهتان إلا أسنده إلى الشيعة، وترك عنان القلم في ذلك حتى قال في ص ٢٧: «إنهم لا يرضون من المسلمين إلا بأن يتبرؤا من كل من ليس شيعياً، حتى آل البيت من بنات رسول الله صلى الله عليه وآله».

الشيعة أعظم الناس احتراماً وأشد حفظاً للرسول في عترته وذريته، ليس عندهم أعز من أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وبناته وذريته، ويتوسلون إلى الله تعالى بحبهم، ويتقربون إلى رسوله بولايتهم، ولم ينفك شيعي عن ذلك قط، ولا تجد لهذا الإفتراء أثراً عند الشيعة، لا في كتبهم ومقالاتهم، ولا في محافلهم وأنديَتهم، فاذهب أيها المفتري إلى مجالس الشيعة حتى تعلم مبلغ تحسرهم وصراخهم، وصياحهم عند ذكر مصيبة الرسول بفقد ولده العزيز إبراهيم، وعند ذكر ما جرى على زينب بنت رسول الله من

هبار، وحاشا ثم حاشا أن تكون في نفوس الشيعة إلا محبة أولاد الرسول وشيعتهم ومحبيهم، وهل التشيع غير الولاء الخالص لأهل البيت، وكم من الفرق بينهم وبين من هو عندك معدود من أهل السنة ممن سب علياً وساير أهل البيت عليهم السلام وترك التمسك بهم وتقرب بذلك إلى الأمراء طمعاً في جوائزهم وصِلاتهم.

نعم الشيعة يفضلون فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين على إخوتها وأخواتها وغيرهن من النساء، لفضائلها ومناقبها التي عرفها الخاص والعام، ولاختصاصها بأبيها.

قالت عايشة: ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً من فاطمة برسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت إذا دخلت عليه رحب بها وقام إليها، وأخذ بيدها فقبلها وأجلسها في مجلسه[1].

وفي رواية أخرى عنها: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ولادلاً وهدياً برسول الله صلى الله عليه وآله من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. قالت: وكانت إذا دخلت على النبي صلى الله عليه وآله قام إليها فقبّلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته في مجلسها[2].

وقال صلى الله عليه وآله: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها

---

(١) مستدرك الصحيحين: ج ٣، ص ١٥٤.

(٢) سنن الترمذي: ج ٢، ص ٣١٩، وأبي داود: ص ٣٤٥، والمستدرك: ج ٤، ص ٢٧٢.

أغضبني[١].

وقال صلى الله عليه وآله: هي بضعة مني، وهي قلبي، وهي روحي التي بين جنبيَّ من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله[٢].

---

(١) صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق: ص ١٨٥، ج ٢، وفي كتاب النكاح: ص ١٦٤، ج ٣ (هي بضعة مني يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها).

(٢) نور الأبصار: ص ٤١.

منزلة زيد الشهيد
وساير أهل البيت عند الشيعة

أخذ الخطيب عن أسلافه المنحرفين عن أهل البيت عليهم السلام ما اخترعوه من الكذب الفاحش، والإفتراء البين على الشيعة، ومن أفحش هذه الإفتراءات البراءة من زيد بن علي بن الحسين وغيره من أكابر أهل البيت عليهم السلام، وهذا بهتان يكذبه كتب الشيعة ورواياتهم، فإن من أظهر شعائر التشيع الحب الخالص والولاء لأهل البيت والعلويين، لاسيما الفاطميين منهم.

فهذه كتب التاريخ تنبئ عن ذلك، وتشهد على مواقفهم ومشاهدهم في سبيل الدفاع عن أهل البيت، وتخبرك عمن قتل منهم دون العلويين.

وهذه الشيعة ضيقوا عليهم أعداء أهل البيت والنواصب، وابتلوهم بأنواع الإضطهاد والمصائب والفتن، من القتل وقطع الأيدي والأرجل، والسجن والجلد، والقذف بالكفر والخروج عن الدين، والآراء المفتعلة، وليست لهم جريمة إلا حب علي وفاطمة

وابنيهما، والتمذهب بمذهبهم.

وهؤلاء الشيعة تخاصمهم أنت ونظراؤك لأنهم يكرمون أبناء علي وفاطمة، ويعرفون لهم ما حباهم الله من الكرامة والفضيلة، ثم تنسبون إليهم أنهم لا يرضون من المسلمين إلا أن يتبرؤا من آل الرسول مثل زيد الشهيد.

وهذه كتب الإمامية في التراجم والنسب، مشحونة بالثناء البليغ لزيد الشهيد، ووصفه بكل جميل ـ وجلالة قدره وكرامة مقامه عند الشيعة، أشهر من أن يذكر، وأمره في الورع والعلم، والبسالة وشدة البأس وإباء النفس، والحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى ما فيه الصلاح وخير الأمة غني عن البيان، حاز الشرف النبوي، والمجد العلوي، والسؤدد الفاطمي، والروح الحسيني، خرج الشيعة عنه الأحاديث وأثنوا عليه، ومدحه شعراؤهم وأبنوه، وللإمامية في ترجمته كتب مفردة تنبئ عن منزلته عندهم، وخرجوا أيضاً في شأنه وفضله روايات كثيرة عن النبي والوصي، والإمام الباقر والصادق والرضا عليهم السلام.

هذا حال الشيعة وسيرتهم في احترام العلويين، وأهل هذا البيت المبارك، فيا أهل الإنصاف هذه كتب التراجم والتاريخ اقرأوا فيها كيف هدردم زيد خلفاء الأمويين وأتباعهم الذين يفتخر الخطيب بهم، ويعتبر حكوماتهم شرعية، وينقم على الشعية بأنهم لا يعتبرونها شرعية.

إسألوا الخطيب عن أسماء قتلة زيد، وعمن أمر بقتله ومن

قطع رأسه الشريف، والخليفة الذي أمر بإحراقه، وبعث رأسه إلى المدينة، فنصب عند قبر الرسول صلى الله عليه وآله يوماً وليلة واسألوه عن الخليفة الذي أمر أبا خالد القسري بقطع لسان الكميت ويده بقصيدة رثى بها زيداً، وابنه يحيى، هل كان هؤلاء من الشيعة أو من أسلاف الخطيب؟

أيها الخطيب! أو ليس محمد بن إبراهيم المخزومي عامل خليفتكم بالمدينة يعقد الحفلات بها سبعة أيام، ويخرج إليها، ويحضر الخطباء فيلعنون هناك علياً وزيداً وشيعته من قومك الماضين؟

أو ليس الحكم الأعور القائل:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ... إلخ.

من شعراء رهطك الأولين؟[1]

إقرأ كتب التاريخ، وانظر هل تقدر على إحصاء أسماء من قتل من الشرفاء الأجلاء، ثم انظر هل تجد في قاتليهم غير بني العباس وبني أُمية وعمالهم؟ واسأل عن مذاهبهم، هل كانوا من الشيعة أم من غيرهم؟

إسألوا الخطيب عن أبي البختري وهب بن وهب الذي شق

---

(١) ومن طريف أخبار زيد ما ذكره عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمداني في كتاب «الألفاظ الكتابية» المطبوع لمرة ثامنة في بيروت، سنة ١٩١١ في ص ١٤٣. قال: ولما أصاب زيد بن علي السهم، وأحس بالموت قال لرجل سأل عنهما: أين السائلي عن أبي بكر وعمر هما أقاماني هذا المقام.

أمان الرشيد ليحيى بن عبدالله بن الحسن بالسكين، وجعل يشقه ويده ترتعد حتى صيره سيورا، فأجازه الرشيد بألف ألف وستمأة ألف، إنه كان من قضاة الشيعة أو من أصحاب مذهبه، وأرباب نحلته؟

هذا كتاب مقاتل الطالبيين، اقرأ فيه شيئاً من مصائب أهل البيت ومحنهم، وما أصابهم من الخلفاء وحكوماتهم الشرعية من الظلم والقتل، وقطع الأيدي والأرجل والحبس في أعماق السجون، وتعذيبهم بمنع الماء والطعام، وارجع إلى نفسك وانظر هل تقرُّ القول بشرعية حكومة هؤلاء الجبابرة؟ وهل ترى من أيد تلك الحكومات وأفتى بوجوب طاعتها، واشترك في مظالمها وجرائمها على الإسلام والمسلمين لحطام الدنيا لم يرتكب ذنباً، ولم يقترف إثماً؟.

المشهد العلوي المقدس

من الحقائق المسلمة التاريخية، والأمور التي لا تقبل الريب والإنكار كون مدفن أمير المؤمنين علي عليه السلام في المكان المشهور الذي يتشرف الناس بزيارته، وقد أخفى أهل بيته وأولاده قبره الشريف عن أعدائه من بني أُمية وغيرهم، فلم يعرف هؤلاء موضع مضجعه، وأهل بيته وأولاده كانوا عارفين بموضع قبر أبيهم عليه السلام. وقد أخبروا بذلك شيعتهم وخواصهم، وكانوا يزورونه في هذا المكان الطيب، فزاره علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام بالزيارة المأثورة عنه، المعروفة بأمين الله، وزاره أيضاً أبو عبدالله جعفر بن محمد عليهما السلام وغيرهم من الأئمة ومشايخ أهل البيت، والنصوص في تعيين محل القبر وأنه بالغري في هذا المكان الذي يزار فيه عن الإمام الحسن والحسين وزين العابدين وابنيه محمد الباقر وزيد الشهيد، وأبي عبدالله الصادق، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى الرضا، ومحمد بن علي الجواد، وغيرهم

من الأئمة وأكابر أهل البيت متواترة، ومن يكون أعرف بموضع قبر الميت من أبنائه، وأقاربه، وعشيرته وخواصه.

وأخرج أبو الفرج في مقاتل الطالبيين ص ٤٢ بسنده عن الحسن ابن علي الخلال، قال قلت للحسن بن علي: أين دفنتم أمير المؤمنين؟ قال: خرجنا به ليلاً من منزله، حتى مررنا به على مسجد الأشعث حتى خرجنا به إلى الظهر بجنب الغري.

وأخرج ابن أعثم الكوفي أيضاً في تاريخه «على ما في ترجمته» عن الحسن بن علي عليهما السلام إنه قال: دفناه بالغري.

وأخرج في أيضاً[(١)] بسنده عن أبيْ قرة قال: خرجت مع زيد بن علي ليلاً إلى الجبّان، وهو مرخي اليدين لاشيء معه، فقال لي: يا أبا قرة أجائع أنت؟ قلت: نعم، فناولني كمثراة ملأ الكف، ما أدري أريحها أطيب أم طعمها؟ ثم قال لي: يا أبا قرة أتدري أين نحن؟ نحن في روضة من رياض الجنة، نحن عند قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وأخرج الحافظ الصغاني في «الشمس المنيرة» أن من المشهور أن زيد بن علي عليه السلام الذي ينتسب إليه أهل هذا المذهب الزيدي قال لأصحابه، وهم يسلكون معه طريق الغري: أتدرون أين نحن؟ نحن في رياض الجنة، في طريق قبر أمير المؤمنين عليه السلام.

وأخرج العلامة المحدث الثقة ابن قولويه المتوفى س

---

(١) مقاتل الطالبين: ص ١٢٨.

٣٦٧ أو س ٣٦٨ في كامل الزيارة، والسيد ابن طاوس في «فرحة الغري» النصوص المأثورة المتواترة في ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين، والحسن والحسين والسجاد، وساير الأئمة عليهم السلام.

نقول هذا، وفيه الكفاية وفوق الكفاية، غير متعرضين لما ظهر من كرامات كثيرة، وآيات بينة عند الضريح المقدس، مما لا تسعه الأوراق، وتعجز عن إحصائه الأقلام، ذكر طائفة منها العلماء والمحدثون في كتبهم بأسناد معتبرة، وصرح بذلك ابن بطوطة في رحلته[١] وذكر بعض ما يتعلق بليلة المحيا ليلة السابع والعشرين من رجب.

وقد أفرد الباحثون والمحققون في تعيين قبره، وأنه مدفون بالنجف، وفي تاريخ هذا المشهد الشريف مؤلفات قيمة، منها كتاب فرحة الغري للسيد النقيب العلامة غياث الدين عبد الكريم بن طاوس، المتوفى س ٦٩٣، وهو كتاب حسن نافع جيد جداً.

وكتاب «موضع قبر أمير المؤمنين» لأبي الحسن محمد بن علي بن الفضل بن تمام الكوفي الدهقان أحد أعلام القرن الرابع.

وأيضاً كتاب «موضع قبر أمير المؤمنين» لأبي جعفر محمد بن بكران عمران الرازي من القرن المذكور.

وكتاب «الدلائل البرهانية» في تصحيح الحضرة العلوية «للعلامة الحلي»، وكتاب نزهة الغري للشيخ محمد الكوفي.

---

(١) رحلة ابن بطوطه: ص ١١٠، ج ١.

وكتاب «نزهة أهل الحرمين في تعمير المشهديـن»، «الغروي والحائري» للسيد العلامة السيد حسن الصدر.

و«ماضي النجف وحاضرها» للشيخ جعفرالنجفي آل محبوبة.

و«اليتيمة الغروية» للسيد حسون المتوفى ١٣٣٣.

و«لؤلؤ الصدف» للسيد عبدالله ثقة الإسلام الإصبهاني.

و«حد الغري» وغيره، وصرح بكون القبر في الغري جمع من أكابر المورخين كاليعقوبي المتوفى س ٢٩٢ فقال على سبيل الجزم في تاريخه: ودفن بالكوفة في موضع يقال له الغري.

وقال أبو الفداء في المختصر:[١] «والأصح وهو الذي ارتضاه ابن الأثير وغيره أن قبره هو المشهور بالنجف وهو الذي يزار اليوم».

وقال ابن الطقطقي في الفخري:[٢] «وأما مدفن أمير المؤمنين عليه السلام فإنه دفن ليلاً بالغري ثم عفي قبره إلى أن ظهر حيث مشهده الآن صلوات الله وسلامه عليه».

وفي «معجم البلدان»[٣] وهو «يعني النجف» بظهر الكوفة كالمسناة تمنع سيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها، والنجف وقشور الصليان، وبالقرب من هذا الموضع قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

---

(١) تاريخ ابى الفداء: ج ٢، ص ٩٣.

(٢) الفخرى في الآداب السلطانية: ص ٧٤.

(٣) معجم البلدان: ص ٢٧١، ج ٥، ط بيروت.

وفيه أيضاً[١] «والغريّان طربالان، وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة، قرب قبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه».

وفي «مراصد الإطلاع»[٢]: والنجف أيضاً بظهر الكوفة كالمسناة تمنع سيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها، وبالقرب من هذا الموضع قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب المشهور.

وأخرج الكنجي الشافعي[٣] بسنده عن الحاكم أبي عبدالله الحافظ بإسناد رفعه قال: «لما حضرت وفاة علي عليه السلام قال للحسن والحسين عليهماالسلام: إذا أنامت فاحملاني على سرير ثم أخرجاني ليلاً ثم آتيا بي الغريين، فإنكما ستريان صخرة بيضاء تلمع نوراً فاحتفرا فانكما ستجدان فيها ساجة فادفناني فيها فدفناه وانصرفنا».

وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة:[٤] «وقبره بالغري» «إلى أن قال» وأولاده أعرف بقبره، وأولاد كل الناس أعرف بقبور آبائهم من الأجانب، وهذا القبر الذي زار بنوه لما قدموا العراق، منهم جعفر بن محمد عليهما السلام وغيره من أكابرهم وأعيانهم».

وقال أيضاً في شرح النهج:[٥] «وهذا القبر الذي بالغري

---

(١) ص ١٩٦، ج ٤.   (٢) ص ٣٩٤، ط س ١٣١٠.

(٣) كفاية الطالب: ص ٣٢٣.

(٤) ج ١، ص ٥ ط مصر مطبعة دار الكتب العربية الكبرى.

(٥) ج ٢ ص ٤٥ ط مصر مطبعة دار الكتب العربية الكبرى.

هوالذي كان بنو علي يزورونه قديماً وحديثاً، ويقولون: «هذا قبر أبينا» لا يشك أحد في ذلك من الشيعة ولا من غيرهم، أعني بني علي من ظهر الحسن والحسين وغيرهما من سلالته المتقدمين منهم والمتأخرين ما زاروا، ولا وقفوا إلا على هذا القبر بعينه، وقد روى أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي في تاريخه المعروف «بالمنتظم» وفاة أبي الغنائم محمد بن علي بن ميمون الرسي المقري بأبي نجودة قرأته قال: توفى أبوالغنائم هذا في سنة عشر وخمسمأة، وكان محدثاً من أهل الكوفة، ثقة حافظاً، وكان من قوام الليل، ومن أهل السنة، وكان يقول: ما بالكوفة من هو على مذهب أهل السنة وأصحاب الحديث غيري، وكان يقول: مات بالكوفة ثلاثمأة صحابي ليس قبر أحد منهم معروفاً إلا قبر أمير المؤمنين، وهو هذا القبر الذي يزوره الناس الآن، جاء جعفر بن محمد، وأبوه محمد ابن علي بن الحسين عليهما السلام فزاراه ـ إلخ».

وقد زاره أيضاً جمع من الخلفاء كالمنصور والرشيد والمقتفي، والناصر، والمستنصر، والمستعصم[١].

وفي كتاب «السيدة زينب» الذي وضعته لجنة نشر العلوم والمعارف الإسلامية بالقاهرة: وخفي قبره إلى أن ظهر حيث مشهده الآن (وفيه) قد ثبت أن زين العابدين علي ابن الحسين، وجعفراً الصادق، وابنه موسى زاروه في المكان المذكور، ولم يزل قبره

---

(١) فرحة الغري: ص ١٠٠، ١٠٤، الحوادث الجامعة: لابن الفوطي، ص ١٨٨، ٢٥٧.

مستوراً لا يعرفه إلا خواص أولاده، ومن يثقون به بوصية كانت، لما علم من دولة بني أُمية في عداوتهم له، فلم يزل مختفياً حتى كان زمن هارون الرشيد «ثم ذكر حكاية خروج هارون إلى ظهر الكوفة للصيد، وما رأى من كرامة الإمام عليه السلام، وظهور القبر له بدلالة بعض شيوخ الكوفة، وأمره ببناء قبة عليه»[(١)].

هذا وإيضاح موضع دفن جثمان الإمام عليه السلام وأنه في النجف في المحل الذي يزار الآن غني عن البيان، قام عليه اتفاق أهل بيته والأئمة من ولده وشيعته، لم يختلف في ذلك منهم اثنان، ولكن الخطيب أنكر هذا الواقع المسلم حسداً وبغضاً، لأن في رحاب هذا المشهد تحيى مآثر العترة الطاهرة، وتأسست منذ ألف سنة أعظم جامعة إسلامية لا تزال ترسل أشعتها إلى أرجاء العالم الإسلامي.

يحسد الخطيب أهل البيت على ما آتاهم اللّٰه من فضله، ومنحهم من المحبة في قلوب المؤمنين، وعلى أيامهم ومشاهدهم ومواقفهم التي ترسخ في النفوس حب الشرف والفضيلة.

هذه المشاهد تقول إن أعداء الحق وأتباع الباطل، وإن

---

(١) السيدة زينب: ص ٥، ٦، ٧ وقال ابن حوقل في «صورة الأرض ص ٢١٥» وقد شهر أبو الهيجاء عبداللّٰه بن حمدان هذا المكان، وجعل عليه حصاراً منيعاً وابتنى على القبر قبة عظيمة مرتفعة الأركان من كل جانب لها أبواب، وسترها بفاخر الستور، وفرشها بثمين الحصر السامان، وقد دفن في هذا المكان المذكور جلة أولاده وسادات آل أبي طالب من خارج هذه القبة، وجعلت الناحية مما دون الحصار الكبير ترباً لآل أبي طالب.

جهدوا جهدهم وسعوا سعيهم، وقتلوا أصحاب الحق وهدموا بيوتهم، وفرقوا جموعهم، وعذبوهم في قعر السجون، وسبوهم على المنابر، لا يقدرون على إطفاء نور اللّه، ويأبى اللّه إلا أن يتم نوره ولوكره الكافرون.

هذه المشاهد تصيح في وجوه الظلمة وتنادي البشرية وتقول: كونوا أحراراً وأنصاراً لدين اللّه وأعواناً لعباد اللّه، وادفعوا عن كيان الإسلام، وشرف الإنسان يبقى لكم الذكر الخالد وتقول:

قف دون رأيك في الحياة　　　إن الحياة عقيدة وجهاد

هذه القبور شعائر الحرية، وشعائر إخلاص أبناء البشر، وأهل الاباء والحمية، وتدعو الناس إلى إعانة المظلوم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدفاع عن حقوق الإنسانية الكبرى.

هذه القبور تقول: إن أنصار الحق هم الغالبون، وإن حزب اللّه هم المفلحون، وإن المستقبل لهم، وإن الدهر لا ينساهم، واللّه يورثهم الأرض ويجعلهم الأئمة ويجعلهم الوارثين.

لقد حارب هذه القبور، و أراد هدمها، ومنع الناس عن زيارتها جبابرة الأرض وأعداء الحرية، والخطيب ومن كان فيه نزعة أموية يتبع أثر هؤلاء فيثقل عليه ما يرى من ميل النفوس إلى زيارة هذه المشاهد، فكأنهم يحبون أن يكون هذه الضرايح التي تهوي إليها الأفئدة، وتحن إليها القلوب لأعداء أهل البيت، وجبابرة التاريخ الذين حاربوا الفضائل الإنسانية، وسعوا في إطفاء نور الحق وكان

من ألذ الأشياء عندهم قتل الأبرياء، وتعذيب الصلحاء، فيقول في جملة من كلماته التي يظهر منها التعصب والعناد، وبغض أهل البيت عليهم السلام، بعد تكرار افتراءاته السابقة على الشيعة من القول بوقوع التحريف في القرآن في ص ٢٧ و٢٨: وقد زعموا ذلك «يعني القول ـ بالتحريف»[١] في جميع عصورهم وطبقاتهم على ما نقله عنهم، وسجله لهم نابغتهم العزيز عليهم، الحبيب إلى قلوبهم الحاج ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي في كتابه «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» الذي اقترف جناية كتابة كل سطر منه في جانب قبر الصحابي الجليل أمير الكوفة المغيرة بن شعبة (رض) الذي تزعم الشيعة أنه قبر علي بن أبي طالب[٢].

(١) قد أشبعنا الكلام في صيانة القرآن من التحريف وذكرنا جملة من أقوال أكابر الشيعة وأحاديثهم في جميع طبقاتهم، وعصورهم في بطلان القول بالتحريف، فراجع تمام كلامنا في هذا الباب.

(٢) لم يسبق الخطيب في نقل هذه الفرية أحد إلا الخطيب البغدادي، فإنه حكى عن أبي نعيم عن أبي بكر الطلحي أن أبا جعفر الحضرمي كان ينكر ذلك، من غير أن يسنده إلى مأخذ أو أصل، أو ينقله عن مجهول، أو يذكر له مصدراً، ولم يعتمد على هذه الحكاية الواهية أحد من المورخين، لا قبل الخطيب ولا بعده، وعده العلامة السبط ابن الجوزي من أغلاط أبي نعيم، وقال: إن المغيرة بن شعبة لم يعرف له قبر، وقيل: إنه مات بالشام «تذكرة الخواص: ص ١٨٧، ط ٢» وقال ابن أبي الحديد في المجلد الثاني من شرح النهج: ص ٤٥، ٤٦: سألت بعض من أثق به من عقلاء شيوخ أهل الكوفة عما

←

انظر إلى هـذه الكلمات بعين الإنصاف، واقض العجب عما يريد الرجل من التفريـق بين المؤمنين، وانظر كيـف يكرر افتراءاته، وكيف يأتي بكل ما يهيج السنة على الشيعة وبالعكس، فيتعـرض لما لا يعد من الخلافـات المذهبية، ولامسـاس له بتحقيق الوحدة الإسلامية.

انظر كيف يثني على المغيرة بن شعبة، ويأبى ذلك في حق من هو مجمع الأوصاف المحمودة الإنسانية، فيأتي بعد هذا الثناء على المغيرة بذكر اسم أمير المؤمنين عليه السـلام مجرداً عن جميع أوصافه وألقابه.

وانظر كيف لا يستحيي من العلماء، ومن قلمه وقرطاسه، فيقول جازماً من دون أن يذكر خلافاً في ذلك: إن الذي تزعم الشيعة أنه قبر علي بن أبي طالب هو قبر المغيرة كأنه من أولاد

←

ذكره الخطيب أبو بكر في تاريخه أن قوماً يقولون: إن هذا القبر الذي تزوره الشيعة جانب الغري هو قبر المغيرة بن شعبة، فقال: غلطوا في ذلك قبر المغيرة، وقبر زياد بالثوية من أرض الكوفة، ونحن نعرفها وننقل ذلك عن آبائنا وأجدادنا (إلى أن قال) وسألت قطب الدين نقيب الطالبيين أبا عبدالله الحسين بن الأقساسي رحمه الله تعالى عن ذلك، فقال: صدق من أخبرك، نحن وأهلها كافة نعرف مقابر ثقيف إلى الثوية، وهي إلى اليوم معروفة، وقبر المغيرة فيها إلا أنها لا تعرف، قد ابتلعها السبخ وزبد الأرض وفورانها، واختلط بعضها ببعض، ثم قال: إن شئت أن تتحقق أن قبر المغيرة في مقابر ثقيف فانظر إلى كتاب الأغاني لأبي الفرج علي بن الحسين والمح ما قاله في ترجمة المغيرة في الكتاب المذكور فوجدت الأمر كما قاله النقيب.

المغيرة، أو كان حاضراً حين واروه في التراب.

فاسألوه من أين عرفت موضع قبر المغيرة؟ ومن أين ثبت ذلك عندك؟ ومن أي مصدر صحيح أخذته؟ وهذا العلامة الشهير السبط ابن الجوزي يقول: لم يعرف له قبر، وقيل: إنه مات بالشام، وهذا ابن حبان يقول على ما حكي عنه في معجم البلدان في «الثوية»: إن المغيرة بن شعبة دفن بالكوفة بموضع يقال له الثوية، وهناك دفن أبو موسى الأشعري في سنة خمسين، وقال في «مراصد الإطلاع» قيل بالثوية دفن المغيرة وأبو موسى الأشعري وزياد.

أم كيف ينكر معرفة ولد أمير المؤمنين الذين دفنوا أباهم، وزاروه في هذا الموضع الذي عرفوا الناس به، وكيف ينكر معرفة شيعته بقبره، فمن كان أبصر وأعلم منهم بذلك، وما قيمة إنكار شخص بعيد عن الميت بعد إخبار أولاده وخواصه بقبره، ومن يعتد بكلام مثل هذا المجازف الذي لا مأخذ له، وأبطله الأخبار المتواترة المذكورة، وتصريحات أعلام المورخين، وظهور الكرامات الكثيرة عنه عليه‌السلام عند القبر الشريف.

سيرة يزيد

لم يقنع كاتب «الخطوط العريضة» في إظهار الإنحراف عن أهل البيت، أصحاب الكساء، وبني فاطمة عليهم السلام، والميل إلى أعدائهم ومبغضيهم بما افترى على الشيعة حتى مدح في ص ٣١ سيرة يزيد بن معاوية، وكفى به عبقرية أن يكون من أمجاده يزيد الخمور الذي أخجل تاريخ الإنسانية بما يرتكبه من أنواع الجرائم والمنكرات[١]

---

(١) راجع كتب التواريخ كتاريخ الطبري: ج ٧ وابن الأثير، ج ٣، ومروج الذهب: ج ٣ والبداية والنهاية: ج ٨، وتاريخ اليعقوبي: ج ٢ وسير النبلاء: ج ٣ (في عبدالله بن حنظلة) وسمو المعنى في سمو الذات، أو أشعة من حياة الحسين: ص ٦٦، ٦٨ وأبو الشهداء، وحياة الحيوان: ج ٢، ص ٢٢٤ والبدء والتاريخ وتذكرة الخواص وغيرها.

غلو الخطيب في الصحابة

أعلن الخطيب عقيدته في ص ٣٢، وخالف جميع الأمة فرفع أبا بكر وعمر وعثمان، وحتى عمرو بن العاص، حتى جعل منزلتهم أعلى من مرتبة جميع الأنبياء، وجبرئيل وميكائيل وسائر الملائكة، وجميع خلق الله، فانظر كيف يعلن بذلك ويصرح بتفضيل الشيخين وعثمان، وحتى مثل عمرو بن العاص على الأنبياء والمرسلين، كسيدنا إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام، وعلى جميع خلق الله، وهو الذي يمقت الشيعة لقولهم بتفضيل الإمام على سائر الصحابة، ويفتري عليهم بأنهم (ونعوذ بالله من ذلك) يرفعون مرتبة أئمتهم عن مرتبة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

وإنما ذكر عمرو بن العاص فيمن فضله على جميع خلق الله تلويحاً بتفضيل معاوية بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة، ومن يحذو حذوهما في بغض أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وسفك الدماء، وقتل الأبرياء على الأنبياء عليهم السلام أيضاً.

عقائد الشيعة، والتقريب بين المذاهب

قال في صفحة ٣٣: «إن استحالة التقريب بين طوائف المسلمين، وبين فرق الشيعة هي بسبب مخالفتهم لسائر المسلمين في الأصول، قال: ومما لا ريب فيه أن الشيعة الإمامية هي التي لا ترضى بالتقريب إلخ».

الشيعة الإمامية كما تشهد به كتبهم القديمة والحديثة المطبوعة وغيرها لا تخالف سائر المسلمين في أصول الإسلام: التوحيد والنبوة والمعاد.

يؤمنون بالله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد.

ولم يكن له كفواً أحد ويؤمنون بأنبياء الله ورسله، ومعجزاتهم وكتبهم لا يفرقون بين أحد منهم.

ويؤمنون بماأنزل على سيدنا محمد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، وأنه لا نبي بعده، وبشريعته التي ختمت الشرايع.

وأن القرآن المجيد هذا الكتاب الكريم الذي يقرؤه أهل السنة والشيعة هو الكتاب المنزل عليه.

ويؤمنون بسؤال القبر، وقيام الساعة، وإحياء الأموات للحساب، وبالجنة والنار، والصراط والميزان وبملائكة الله، لا سبيل للشك في هذه العقائد عند شيعي.

وأيضاً يؤمنون بوجوب الصلوات المفروضة وغيرها من الواجبات.

كما يؤمنون بحرمة الخمر والميسر، والميتة ولحم الخنزير، والكذب والغيبة، والربا والزنا، واللواط ونكاح المحارم، وغيرها من المحرمات المعلومة الثابتة بالكتاب والسنة المعدودة من ضروريات الدين الحنيف، فمن شك في ذلك ليس من الشيعة بشيء بل لا يحكمون عليه بالإسلام، ويحكم جميع فقهائهم عليه بالكفر والإرتداد.

وهكذا يؤمنون بسائر أحكام الله تعالى في المعاملات، والقضاء، والنكاح، والطلاق، والظهار والإيلاء، والحدود والديات.

ولا يضر في الحكم بالإسلام عندهم اختلاف أرباب المذاهب في الفروع الفقهية فيحكمون بإسلام المعتنقين بالمذاهب الأربعة المعروفة، بل ومن لم يعتنق خصوص مذهب من هذه المذاهب، لأن باب الإجتهاد عندهم مفتوح، فليس على المسلم إلا أن يأخذ بالكتاب والسنة، وليس لحصر المذاهب في الأربعة المشهورة أصل صحيح، بل يجب على من أدى اجتهاده إلى خلاف

هذه المذاهب اتباع اجتهاده، ومع هذا كيف لا ترضى الشيعة بالتقريب.

وأما افتراؤه في ص ٣٣ و ٣٤ عليهم بأنهم يرفعون الأئمة عن مرتبة البشر إلى مرتبة آلهة اليونانيين فبهتان محض، يعرف كذب هذا الإفتراء كل من كان له قليل معرفة بكتب الشيعة وعقايدهم، فهم أبعد الفريقين من هذه المقالات، لا يقولون بمثل ذلك في رسول الله صلى الله عليه وآله فضلاً عن الأئمة، ويعتقدون فيهم أنهم عباد الله تعالى، مخلوقون مربوبون، محتاجون إليه، وأن من غلى فيهم فاعتقد تأليههم، أو اشتراكهم مع الله تعالى في أمر الخلق والرزق، والإماتة، والإحياء وغيرها كافر مرتد خارج عن الإسلام يحكمون بنجاسته.

وأظن أن الخطيب أيضاً كان عالماً بتنزه الشيعة عن هذه المقالات والعقائد الباطلة، ولكن لما لم يجد شيئاً يمنع عن التقريب والتجاوب بين الطرفين جاء بهذا البهتان العظيم، ونسب الشرك والكفر بالقول بتأليه أئمة آل البيت إلى طائفة كبيرة من المسلمين المؤمنين الموحدين، الذين يشهدون في مآذنهم وإذاعاتهم بكلمة التوحيد، ويتبرأون عمن يعتقد تأليه الأئمة وغيرهم، أو يرفعهم عن مرتبة البشر.

فليس ما بينهم شيء يمنع عن التقريب والتجاوب، وليس معنى التقريب أن يترك الشيعي مذهبه ويصير سنياً أو بالعكس[1]،

---

(١) وهو صريح بيان دار التقريب أيضاً. وصرح به مؤسسها العلامة القمي في

بل معناه أن يُترك كل على اجتهاده فيعيشوا في مجال أوسع من هذا المجال، وأن يتركوا العصبيات الباردة. ويعترف كل واحد منهم للآخر بالحقوق الإسلامية، لايتهم السني الشيعي بالشرك والكفر، والإستهانة بالفرائض وفعل المحرمات، ولا يتهم الشيعي السني بالنصب وعداوة آل البيت، فلا يسيرون إلا على ضوء الحقايق فيأوّلون بعض ما يصدر عنهم بحسب اجتهادهم في الكتاب والسنة بما يتأولون بعض ما صدر من السلف، فإن حاجة المسلمين بهذه التأولات فيما بين أنفسهم في عصرنا أكثر وأشد من حاجتهم إلى تأويل أعمال السلف، فإن حسابهم على الله، والزمان حال بيننا وبينهم.

إن الشيعة لا يعتمدون على الإفتراء والأكاذيب حين يناقشون غيرهم، بل يعتمدون على الكتب المعتبرة الموثوق بها عندهم، ولا يقابلون الشتيمة بمثلها كشتائم الخطيب وغيره ممن لا نريد سرد أسمائهم، وسيحكم الله بينهم وبين هؤلاء يوم يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون.

فالشيعة أرضى الفريقين بالتقريب، وقد خطت في سبيله خطواتها الواسعة، ولكن من يريد بقاء الملأ الإسلامي في ظلمة المناقشات والمنافرات لتبقى عليهم سلطة الإستعمار لا يحب التقريب وتحقق الأخوة الإسلامية بين الطائفتين، لا يحب أن يعيش

←

مناسبات شتى (راجع النقط على الحروف) من أبحاث رسالة الإسلام.

أهل القبلة كلهم في عالم واحد معتصمين بحبل الله، فيفتري على الشيعة أموراً لم تخطر على قلب شيعي، وينسب إليهم من العقايد ما هم أبعد منه من المشرق إلى المغرب كالقول بتأليه الأئمة ونبوتهم، وتارة يكفرهم بآراء لا توجب الكفر بل ولا الفسق إذا كانوا مجتهدين، وذلك مثل التبرء من أعداء أهل البيت كمعاوية وعمرو بن العاص، والحجاج ويزيد، وغيرهم ممن ثبتت عداوته لأهل البيت وبغضه لعلي عليه السلام، وقاتلوا علياً وحسناً وحسيناً فأن ترك التبريِ لا يعد من أصول الدين، ولا بمرغوب فيه شرعاً، بل دلت الروايات الصحيحة على وجوبه.

وأما ما قال في ص ٣٤ من مخالفة أصول الشيعة لجميع اصول المسلمين فنسأل الخطيب عن معنى الأصل والأصول، وما قصد من أصول الشيعة وأصول المسلمين.

فإن كان مراده من أصول الشيعة ماامتازوا به عن أهل السنة وغيرهم من فرق المسلمين من التمذهب بمذهب أهل البيت أعدال الكتاب وسفن النجاة، فلا تجد فرقة من الفرق إلا ولها جهة امتياز عن غيرها، وليس معنى ذلك أنها تخالف أصول الإسلام.

وإن كان مراده أن أصول الشيعة تخالف أصول الإسلام والأسس التي عليها يقوم الإيمان، وأن الشيعة لم تأخذ بأصول الإسلام الثابتة بالكتاب الكريم والسنة، فهذا بهتان على الشيعة، فإنهم من أشد الناس أخذاً بأصول الإسلام وبالكتاب والسنة، ولا ذنب لهم، سوىٰ أنهم لم يؤمنوا بشرعية حكومة أمثال معاوية ويزيد

والوليد من الحكام الجبابرة والطواغيب، واهتدوا بهدى أهل البيت عليهم السلام فهل ترى الرجوع إليهم في العلوم الشرعية والتمسك بهم وبالكتاب المأمور به في حديث الثقلين موجباً لجواز تكفير الشيعة أو تفسيقهم؟

وهل يكون الإيمان بصحة خلافة الشيخين وعثمان من أصول الإسلام؟

وهل يجوز تكفير مسلم إن أدى اجتهاده إلى عدم صحتها؟

فإن جاز ذلك فلم لا تحكمون بكفر النواصب والخوارج، وأصحاب الجمل وصفين، وبني أمية وأتباعهم من الذين أنكروا خلافة علي عليه السلام الشرعية بإجماع الفريقين وفعلوا ما فعلوا.

ألا ترى أنه لم يكفر أحد من الصحابة المسلمين الذين خرجوا على عثمان حتى قتل، وكان في من نقم عليه أُم المؤمنين عايشة، ولا ينكر ذلك عليها.

وإذا كانت فاطمة عليها السلام بنت رسول اللّٰه وسيدة نساء العالمين لم ترض بحكومة أبي بكر ولم تقرها، ولم تعتبرها شرعية، وماتت واجدة عليه كيف يجوز تفسيق من اتبع مذهبها مجتهداً في ذلك، ولو كان الإيمان بشرعية هذه الحكومات من أصول الإسلام كيف خفي على سيدة نساء أهل الجنة، وعلى بعلها باب علم النبي، وعلى غيرهما من بني هاشم، كالعباس والصحابة الذين امتنعوا عن البيعة[١].

---

(١) يراجع صحيح البخاري: ج ٣، ص ٣٥، ومسلم: ج ٥، ص ١٥٤، وأسد

فيعلم من ذلك كله أن الإعتقاد بشرعية هذه الحكومات ليس من أصول الإسلام في شيء، ولا يجوز تفسيق من أدى اجتهاده إلى عدم شرعيتها، ولا يجوز لأهل السنة تكفير من لا يرى حكومة مضت عليها الدهور بادأهلها شرعية، ولا ينبغي للمسلمين الإشتغال بهذه المباحث التي قضت عليها الأزمنة، وليس حساب أهلها علينا، إن حسابهم إلا على الله، وتلك أمة قد خلت ولا مساس للقول بسوء صنيع هذه الأفراد، والقول بحسن حالهم بالإسلام، فإنه أوسع من هذه المجادلات، فإذا لا ينبغي مناقشة الشيعي بما يرى من جواز التبرء من أعداء آل محمد ومبغضيهم، وليس هذا مانعاً من التقريب والتجاوب، فكل في تلك المسائل على مذهبه، لا يضر ذلك بالتقريب بعد اتفاق الفريقين على اتباع الكتاب والسنة، فإن الخلافات ترجع إلى الإختلاف في فهم مدلول الكتاب أو السنة، واعتبار بعض الأحاديث وعدمه، فإحدى الطائفتين إن أدى اجتهادها في مسألة إلى خلاف ما اختارته الأخرى فإنما اختارته

←

الغابه: ج ٣، ص ٢٢٢ و ٢٢٣، وتاريخ أبي الفداء: ج ٢، ص ٦٣ و ٦٤ والإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٠ ـ ١٤، ومروج الذهب: ج ٣، ص ٢٤، وشرح ابن أبي الحديد: ج ٣، ص ٤٠٧، والإستيعاب في باب من اسمه منهم عبد الله، والعقد الفريد: ص ٢٥٠ و ٢٨٥، ج ٢ والطبري: ج ٣، ص ١٩٨ و ١٩٩ و ٢١٠ و ج ٤، ص ٥٢، وتاريخ الخلفاء: ص ٤٥ والصواعق: ص ١٢ و ١٣ والرياض النضرة: ج ١، ص ١٦٧، وأعلام النساء: ج ٣، ص ١٢٠٦ و ١٢٠٧، وتاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥.

تمسكاً بالكتاب أو السنة، كما أن الطائفة الأخرى أيضاً اختارت كذلك، وإن كان في أهل السنة من يعمل بالقياس فالشيعة لا يعملون به، ولا يحتجون إلا بالكتاب والسنة، فلا يليق أن يكون مجرد ذلك سبباً للجفوة والتباعد، ولا يوجب اخبار رأي في هذه المسائل، لا سيما إذا كان عن اجتهاد، وكان عارياً عن العصبية والعناد، موجباً للخروج عن الإسلام أو جواز التفسيق، أو استحقاق اللوم والتوبيخ.

الشيوعية والتشيع

زعم الخطيب في ص ٤٣٢«أن الشيوعية التي تفاقمت في العراق وبحزب توده في إيران أكثر مما كان لها من أثر في سائر العالم الإسلامي هي وليدة التشيع، والشيوعيون في ذينك القطرين من صميم أبناء الشيعة (الخ)».

الشيوعية لم تؤثر في ذينك القطرين لا سيما في إيران أكثر مما أثرت في سائر العالم الإسلامي، وقد بذلت في سبيل تحقق أمنياتها في إيران منذ ظهرت إلى الآن أموالاً كثيرة، وفعلت أفاعليها السياسية الهدامة، وعاونها في ذلك عوامل استراتيجية، وكون إيران محاددة لأم الحكومات الشيوعية، وأعظمها سلطة وقدرة، ورغبها في بسط نفوذها الغاشم في إيران ما فيها من آبار الزيت وغيرها، وكونها طريقاً للإستيلاء على الهند والباكستان، ولقد احتل الجيش الروسي في الحرب العالمية الثانية إقليم خراسان، ومازندران،

وآذربايجان وجيلان فأسست في آذربايجان تحت اضطهاد الجنود الأجنبية وإشرافها حكومة شيوعية.

ومع ذلك لم تنجح مساعيها في إيران ولم تنل ما أرادت من السلطة على إيران الشيعي، فقاومت آذربايجان الإتجاهات الأجنبية، واستقامت بالقوة الروحية الإسلامية، وتحملت الكوارث والمحن الشديدة، حتى فشلت دعايات الشيوعيين، فلم تؤثر في الآذربايجانيين ولا في غيرهم، لكونه من صميم أبناء الشيعة، وأغنياء من الأساليب الإقتصادية التي تعرض عليهم الشيوعية، ولأنهم مؤمنون بأن التعاليم الإسلامية تضمنت جميع ما يحتاجه الإنسان من النظم الإقتصادية والإجتماعية.

ولو كان التشيع سبب تأثر إيران والعراق بالشيوعية فما سببه في تأثر البلاد السنية منها، ففي بعض الممالك السنية نرى الحزب الشيوعي من أقوى الأحزاب تأثيراً في الثورات والحوادث السياسية، وبعضها كألبانيا اعتنقت الشيوعية، وهذه كتب علمائهم ومثقفيهم، حتى الإسلامية منها بين أيدينا قد تأثر بعضها بآراء الشيوعيين، ويرى القارئ ميل مصنفيها إلى النظام الشيوعي، وتفسير تعاليم الإسلام على نحو يوافق ذلك النظام، وأضف إلى ذلك جرائد الأحزاب الشيوعية ومجلاتها، ودعاياتها بمختلف الأساليب في تلك البلاد.

وأما في إيران فقد فشلت تلك الدعايات، وقضى عليها الإسلام والتشيع قضاء حاسماً، واستنكرها الخواص والعوام

استنكاراً شديداً.

ونسأل الله تعالىٰ أن يحفظ بلاد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من شر الأعداء، وأن يمن عليها بالخير والبركة والأمان والسلام.

الشيوعية وليدة مظالم المستعمرين

والحق أن الشيوعية مهما ظهرت وأنى ظهرت في بلاد المسلمين ليست إلا وليدة جنايات المستعمرين، فإن الإستعمار يمنع اجتماع المسلمين حول أحكام القرآن، ويسعى سعيه لتفريق كلمتهم ليحفظ سلطته على الممالك الإسلامية، ولينهب ما في أيديهم من الثروة ويقضي على مجدهم وكيانهم.

إن الإستعمار يرى الإسلام صخرة تقاوم مقاصده وأغراضه، فيسعى سعيه لتحطيمها، ولئلا تكون الحكومات رمزاً لعلائق المسلمين، ولا تتحقق مقاصد الإستعمار في بلادنا إلا إذا عم الجهل والفقر، وشملت أبناءنا الرجعية والتقهقر إلى الجاهلية، فالإستعمار يريد اضمحلال المعارف الإسلامية التي هي أرقى المعارف البشرية ليسلب من المسلمين حرياتهم التي منحهم الإسلام، ولا يريد إلا أن يصبحوا أرقاءه وعبيده.

الإستعمار هو الذي يرغب الفتيان والفتيات وأرباب

المناصب والرؤساء والمترفين بترك الآداب الإسلامية، ورفض الشعائر الدينية، ويشوقهم إلى الإشتغال بالملاهي والمعازف، وشرب الخمر والقمار، والفحشاء واختلاط النساء بالرجال، ويستأجر الأقلام لتشويق المجتمع إلى الفساد والمنكرات.

وإن خوف الإستعمار من اتحاد المسلمين وتيقظهم، واجتماعهم حول كلمة التوحيد أشد من خوفه من استيلاء الشيوعية، لأن العالم الإسلامي لو استيقظ من رقدته يدافع عن الإنسانية وحقوقها المغتصبة، ويعرض عليها أرقى الأساليب والنظم الإجتماعية، وأنفعها في حياتها الإجتماعية والروحية، والإقتصادية والمدنية، وينقذ الناس من مظالم المستعمرين، واستبداد الشيوعيين، ويقضي على استثمار الناس بعضهم بعضاً.

ولا تدخل الشيوعية في إقليم إلا بعد دخول الإستعمار فيه، فالإستعمار يمهد السبيل للشيوعية لأنه يأتي بالفقر والمشاكل الإقتصادية ويذهب بالحرية، ويمنع عن التقدم وعن قيام الأُمة بما فيه صلاح نفسها وعلاج دائها.

الإستعمار هو السبب للضعف وذهاب قوة الأمة، ويقضي على الدين والآداب، والشعائر الإسلامية.

فالإستعمار ينتهي إلى الشيوعية، فإذا بلغ مظالمه غايتها أخلى السبيل للشيوعيين للقضاء على ما بقي من الحريات والفضائل، ولم تفتتن الجماعات بما يعرض عليها الشيوعية من أساليبها الخادعة إلا بما جنت عليها أيدي المستعمرين الجبارين.

الإستعمار يفرق بين المسلمين، ويؤسس في كل إقليم حكومة مستعمرة لتحفظ مصالحه، ويسعى سعيه كي لا تستولي عليه الشيوعية ولا تذهب بسلطانه، ولا يدري أن الشيوعية وليدته، وأن التخلص من نكباتها خصوصاً في الممالك الإسلامية لا يتحقق إلا بهدم جميع البنايات الإستعمارية وإيكال أمور المسلمين إلى أنفسهم.

الإسلام ديننا، وعزنا ومجدنا وتاريخنا، وتعاليمه وأحكامه آدابنا وشريعتنا، وسياسته سياستنا، وحكومته حكومتنا، وبلاده في شرق الأرض وغربها وطننا، لا يصلح أمورنا إلا الإسلام، ولم يفسد ما فسد منها إلا البعد عن الإسلام، والمستعمر يريد هدم هذه المباني فيجعل لأهل كل قطر تاريخاً ووطناً، ويشجع العصبيات القومية[1]

(١) لا اعتبار في المجتمع الإسلامي بالقومية، وإذا كان مفهوم القومية شعور جماعة من الناس أنهم طائفة واحدة فشعور المسلمين أنهم كلهم أبناء الإسلام وأمة القرآن، وأنهم كلهم مشتركون في المصالح والمنافع، وأنه يجب على كل مسلم أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وأقوى وأوسع وأشمل من ذلك، والتعبير عن الرابطة الإسلامية بالقومية، ونحوها يقصر عن أفهام تلك الرابطة والأخوة الدينية التي هي نعمة الله على المسلمين، وإذا كانت القومية اتحاد جماعة في اللغة والعنصر والأرض والتاريخ والمصالح فلا اعتبار بها، ولا يجوز لمسلم أن يتميز عن سائر المسلمين بهذه الأمور، بل التمسك بها يوجب التفرق المنهي عنه، فالتفاهم والتجاوب يجب أن يكون بالإسلام وعقيدة التوحيد، وأما غير ذلك إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم، فلا يقيم الإسلام لوحدة اللغة أو لوحدة العنصر والأرض وأمثال ←

ويكثرون أسباب الإمتياز بين الأقاليم الإسلامية، ويحيون آثار الأقدمين، ويربطون كل شعب بالعصور البائدة والحياة القبلية، لأن ذلك يقطع أسباب الإرتباط بين المسلمين، فيجب على أي شعب من المسلمين الإهتمام بإحياء أيام الإسلام وشعائره، دون ما ليس منه شيء من أيامهم الماضية، وشعائرهم التي أبطلها الإسلام، وأن يعظموا رجالاتهم لأنهم رجالات الإسلام، وأن يعتزوا بتاريخ شعبهم لأنه صفحة من صفحات تاريخ الإسلام المشرقة لا لأنه تاريخ شعب خاص أو مملكة أو أُمة خاصة، لأن هذا من أضر مكائد الإستعمار على الوحدة الإسلامية.

اللهم ادفع عنا شر الأعداء

واجمعنا في ظل راية الإسلام.

واجعلنا معتصمين بحبلك وانصرنا

على القوم الكافرين.

←

هذه وزناً، سيما إذا صارت سبباً للتفرق وتميز طائفة من المسلمين عن سائر المسلمين.

هذا مضافاً إلى أن العصبية للقومية بالمعنى المذكور خصوصاً إذا كان قبال قومية أخرى من المسلمين مذمومة شرعاً، ولا ريب أن الإسلام جاء ليوحّد الناس عقيدة ومجتمعاً فليس إذاً هنا غير الإسلام، وليس نعرات القوميين والوطنيين والعنصريين في داخل بلاد الإسلام إلا شبائك للإستعمار، ولا شيء خارج الإسلام، وكل حركة يجب أن تنتهي إلى الإسلام، ولا يصغي المسلم إلى هتاف المستعمرين.

آذربايجان إقليم شيعي

زعم الخطيب في ص ٣٤: «أن علي محمد الشيرازي الذي ادعى قبل مائة سنة أنه باب المهدي المنتظر ثم ادعى أنه هو المهدي نفي إلى آذربايجان لأنها مباءة السنيين من أهل المذهب الحنفي، ولم تقم الحكومة بنفيه إلى بلد شيعي لأن من طبيعة مذهب الشيعي قبول أهله لهذه الأوهام».

هذا من آثار جهله العجيب بأحوال البلدان، ولا تثريب عليه لأنه لا يحترز من القول بغير علم، فيقول ما يوافق هواه، بل ينكر الحقايق الظاهرة، فإن إقليم آذربايجان من الأقاليم العريقة بالتشيع والولاء الكامل الخالص لأهل البيت عليهم السلام، ومعاهد الشيعة العلمية ومدارسهم وجوامعهم فيها كثيرة، وسكان هذا الإقليم مهتمون غاية الإهتمام بالإلتزام بالشعائر الإسلامية. وقد أبلوا في سبيل الله والتشيع بلاءاً حسناً، ظهر فيه ثباتهم وصدق عزائمهم

وحسن إسلامهم، وقوة إيمانهم، ونفي علي محمد إلىآذربايجان كانلأسباب سياسية أشيرإلى بعضها فيكتاب «بىبهائيباب ويها» وكتاب «يادداشتهاى كينياز دالكوركيالروسي» وقد منع أهل آذربايجان من الإفتتان بدعاوي علي محمد تشيعهم والتزامهم بأصول الإسلام، وولاء أهل البيت عليهمالسلام، فصلب علي محمد هناك (في تبريز) بعد أن تاب ورجع عن دعاواه، وأظهر الإسلام وكتب توبته بخطه، لكن لم تقبل منه لعدم قبول توبة المرتد عن الفطرة في الظاهر.

حركة البابية والبهائية

وليعلم أن حركة البابية والبهائية في جميع مراحلها كانت تحت حماية السياسة الإستعمارية[1] فهي التي ربتها وقامت بنفقاتها، فاستعملتها أولاً الحكومة الروسية لأهداف سياسية معينة، فشجعت عمالها هذه الحركة للقضاء على الحكومة الإيرانية، أو التدخل في الشؤون الحكومية وتفريق كلمة المسلمين، وكانت

(١) المذاهب والأديان التي أحدثتها السياسة، أوربتها في القرن الأخير في الشرق كثيرة ليست منحصرة بالبهائية، ولافرق بينها وبين الجمعيات والأحزاب السياسية التي تأسست بنفقة بعض الحكومات في أهدافها إلا في الإسم ومن هذه الفرق القاديانية التي تسمى بالأحمدية، والآقاخانية، فكل هذه الدعوات أوجدها الإستعمار واليهودية العالمية والبهائية كما صرح به الباحثين في أفكارها لا تتعدى كونها فكرة ماسونية، ولا سيما في النظام المحفلي «راجع حضارة الإسلام ـ العدد ٩ و ١٠ من السنة العاشرة».

حكومة إيران في تلك الأزمنة لأسباب معلومة مضطرة إلى المسامحة في الأمور مع حكومة روسيا، ولكن مع ذلك لم تنجح سياسة حكومة روسيا، ولم تتحقق أمنياتها لأن إيران الشيعية قامت في وجه هذه السياسات وأخمدت نار فتنها.

ثم دخلت هذه الفرقة في مرحلة جديدة، حيث استخدمتها حكومة إنكلترا للعمل في إداراتها الجاسوسية إلى أن اتخذت لها «حيفا» و«عكا» مركزاً للدعاية، لأنهم أدركوا أن الظروف والأحوال في إيران لا تساعد على قبول مثل هذه الدعايات السخيفة، فخدم الحزب البهائي حكومة إنكلترا خدمات خانوا بها الشرق والإسلام والمسلمين، لا سيما في الحرب العالمية الأولى، فالتمس عباس أفندي رئيس البهائية من القائد الإنكليزي اللورد اللنّبي الذي دخل بيت المقدس في الحرب العظمى الأولى وقال: اليوم فقد انتهت الحروب الصليبية أن يحصل له لقب «سير» فحصل له، فكانت البهائية في أحضان جواسيس إنكلترا إلى أن شاركتهم في ذلك حكومة آمريكا لتستخدمها أيضاً في مقاصدها السياسية في الشرق الأوسط وغيره، فأصبحت البهائية حركة صهيونية أمريكية.

قال الكاتب الكبير الدكتور شلبي في كتابه «مقارنة الأديان ج ١ ص ٣٠٩» فيما كتبه حول الجمعيات السرية الخطرة التي كانت ولا تزال من أهم المؤسسات التي اعتمد عليها اليهود لتنفيذ أغراضهم، والوصول إلى هدفهم، فعد منها البابية والبهائية «ومن الواضح أن حياة البهائية في عكابين جماعات اليهود أثرت فيها تأثيراً واسعاً،

وقطعت ماكان باقياً بينها وبين الإسلام من صلات طفيفة إن وجدت فأصبحت البهائية وجهاً آخر لليهودية وللصهيونية.

وقال «في ص ٣١٠» بعد ذكر موت البهاء: وخلفه ابنه «عباس أفندي» الذي كان في خدمة الحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى فأنعمت عليه بريطانيا برتبة «فارس» مع لقب «سير»، وتوفي سنة ١٩٣١ فخلفه ابن بنته شوقي رباني الذي مات بعد ذلك دون أن ينجب ولداً.

وفي ظل الفكر الجديد للبهائية دفعها اليهود إلى أقطار الأرض ورعوها بالمال، ومنحوها الرعاية التامة فأصبحت البهائية «حركة صهيونية أمريكية» كما يسميها الكتاب والمحدثون، وأسفرت البهائية عن وجهها الصهيوني إذ بعد وفاة ميرزا شوقي رباني اجتمع المجلس الأعلى للطائفة البهائية في إسرائيل وانتخب صهيونياً آمريكياً اسمه «ميسون» ليكون رئيساً روحياً لجميع أفراد الطائفة البهائية في العالم «انتهى كلام الدكتور شلبي».

وليس لتدخل البهائية في بعض الأمور سبباً غير السياسة، وليس لأكثرهم لو لا الكلّ سيّما زعمائهم. ورؤسائهم إيمان بالبهائية، فلم يعتنقوها للتدين بها بل اعتنقوها ليتقرّبوا بها إلى أعداء الإسلام ويكسبوا الدراهم والدنانير.

هذا: وأخيراً نلفت أنظار الباحثين في تاريخ البابية والبهائية وآراءهم، ولعب السياسات بهم إلى كتاب «تاريخ الباب أو مفتاح باب الأبواب» المطبوع في مصر مطبعة المنارس ١٣٢١، تأليف

الدكتور محمد مهدي زعيم الدولة، وصاحب جريدة «حكمة» نزيل القاهرة، وكتاب «مهازل البهائية على مسرح السياسة والدين»، تأليف أنور ودود المطبوع في حيفا مطبعة الكشاف، وكتاب «ساخته هاى بهائيت در صحنهٔ دين وسياست» له أيضاً وكتاب «بى بهائي باب وبهاء» تأليف محمد علي الخادمي الشيرازي، وكتاب «ياد داشتهاى كينياز» تأليف كينياز دالكوركي الروسي الوزير المفوض للحكومة الروسية في طهران، وكتاب «محاكمه وبررسى در تاريخ باب وبها» تأليف الدكتور ـ ح م ت وكتاب «نصايح الهدى» تأليف العلامة البلاغي، وكتاب «بزبگير شرح دزد بگير»، وكتاب «يار قلى» وغيرها.

كما نلفت الأنظار أيضاً إلى التواريخ المؤلفة في عصر حدوث فتنة الباب مثل «روضة الصفا» و «ناسخ التواريخ» وغيرهما، وإلى كتاب «كشف الحيل» في ثلاثة أجزاء للفاضل البحاثة «الآيتى» الملقب عند البهائية بـ«آواره»، وهذا الرجل كان داعيتهم العظيم ونحريرهم الكبير، ومنتهى أملهم، وكانوا يعتزون به كمال الإعتزاز فاستبصر وتاب عن ضلالاته، واعتنق الإسلام وأظهر بطلان مقالات هذه الطائفة، وأظهر حيلهم ومخازيهم وشنائع أعمال رؤسائهم، وصنف في ذلك كتباً كثيرة كِكتاب «كشف الحيل»، ومجلة «نمكدان»، وغيرهما[1].

---

(١) ومما ينبغي أن نلفت إليه أنظار الباحثين أن للآيتى كتاب تاريخ موسوم ←

←

بالكواكب الدرية في تاريخ البابية والبهائية، وهو كتاب ألف لقلب الحقايق التاريخية، وإخفاء فضايح هذه الفرقة، وقد شهد مؤلفه «الآيتي» بعد ما استبصر بعدم اعتبار هذا التاريخ، وأنهم قد دسوا فيه أربع مرات وأسقطوا عنه ما كان ثابتاً من الوقايع التاريخية وزادوا عليه مئات من الأكاذيب، فراجع كتابه «كشف الحيل: ج ١، ص ٧٠ ـ ٦٣ و ج ٢، ص ١٩١و١٩٢ الطبعة الرابعة س ١٣٠٧ الشمسية».

وقرض «الكواكب الدرية» «الميرزا حسن نيكو» وهو أيضاً شهد في كتابه «فلسفة نيكو: ج ١، ص ١٢٥ الطبعة الأولى، سنة ١٣٠٦ الشمسية» بأن أكثر ما في كتاب الكواكب الدرية مجعول موضوع لا أصل له ـ فاحفظ ذلك حتى لا تعتمد على هذا التاريخ المزور الموضوع كما اعتمد سعد محمد حسن من علماء الأزهر، ومؤلف كتاب «المهدية في الإسلام» فوقع في اشتباهات كثيرة، وزلات عجيبة، واعتمد سعد محمد حسن في كتابه هذا أيضاً على كتب المسيحيين واليهود فنقل عقايد الشيعة بواسطة دوايت دونلدوس، وجولدزيهر وفان فلوتن ونيكلسون، وديقتسكي، ومرجليوث من الذين خدموا الإستعمار، والتبشير بكتبهم، ولم يفهموا عقائد الفرق أو لم يكتبوا ما فهموا وكتبوا ما سمعوا من المجاهيل وما لم يسمعوا، واعتمد أيضاً على كتاب «الوشيعة» المشحون بالأباطيل والنسب المفتعلة على الشيعة، ولم يراجع في ذلك ما كتبه علماء الشيعة في نقض «الوشيعة» مثل «نقض الوشيعة» لسيد الأعيان الإمام السيد محسن الأمين و«أجوبة مسائل موسى جار الله» للعلامة الإمام السيد شرف الدين.

فهذه مصادر سعد محمد حسن في كتابه «المهدية في الإسلام» وما كتب عن الشيعة، وكان الواجب عليه مراجعة كتب أهل السنة المعتبرة في المهدية ومراجعة كتب الشيعة، أو علمائهم في سوريا ولبنان، وإيران والعراق وسائر

←

وقد ردّ عليهم أيضاً «الميرزا حسن نيكو» في كتاب أسماه: «فلسفهٔ نيكو» في ثلاثة أجزاء، وكان هو أيضاً معدوداً من دعاة البهائية، ولكنه أنكر اعتناقه هذا المسلك السخيف، واعتذر أنه إنما دخل فيهم للفحص عن حقيقة مسلكهم وبواطن أمورهم وأسرارهم.

هذا آخر ما وفقنا الله تعالى في نقد «الخطوط العريضة» مع ضيق المجال وكثرة الإشتغال، والله الهادي إلى سواء الصراط، وهو حسبي ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد، وآله الهداة وأصحابه الأبرار، والتابعين لهم بإحسان.

شوال المكرم ١٣٨٢

لطف الله الصافي

←

الأقطار، أو مراجعة أقطاب التقريب من علماء الأزهر حتى يرشدوه الى عقائد الشيعة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الفهرست